
غدما تنظرين الي
أفقد إحساسي بالحرية!!
تقيدني سلاسل
وتخضعني أوامر
لكن ...
أسف مولاتي ..
لن العب
دور المملوك !!
حصريا لشبكة روايتي الثقافية
سلسلة الياذة العاشقين
أسف مولاتي ..
الجزء الثاني
بقلم كاردينيا73
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com


آسف مولاتي
بقلم
كاردينيا73
Design
بحر الندى
آسف مولاتي للكاتبة (٨٩) كاردينيا٧٣
عندما تنظرين إليّ
أفقد إحساسي بالحرية !!
تقيدني سلاسل
وتخضعني أوامر
لكن....
آسف مولاتي ..
لن العب
دور المملوك !!
www.rewity.com

مقدمة

لاشعوريا اخذت يدا حوراء تتأكدان من وضعية حجابها بينما تواري نظراتها عن نظراته المحدقة ... لم تكن المرة الاولى التي يربكها فيها .. ومؤكد لن تكون الاخيرة !! انها لعبة ممتعة بالنسبة له...

قال ببطئ مستفز " لماذا تصرين على ارتداء الحجاب امامي .." تحشرج صوتها وهي ترد بحرج " انت ابن خالي " ..!!

اقترب خطوة منها وهو يقول بنبرة شاردة " نعم ... ابن خالك ... مهدي ايضا ابن خالك "..

رفعت وجها محمرا نحوه لتقول بعفوية " لكني لااخلع الحجاب امامه "!!

لم تفهم معنى نظراته وهو يقول بسلاسة " لكنك تضاحكينه بينما لااحظى منك الا بابتسامة مترددة "..

عضت شفتها السفلى وهي تتراجع لتقول " ظافر .. علي العودة للبيت ..السائق ينتظرني في الخارج "..

قال بلهجة واثقة " هل ما زال شعرك كستنائيا ؟؟ ..." تلعثمت وهي ترد " نعم .. لا .. اقصد لايجب ان تسألني "..

هز كتفيه باستخفاف ثم قال ببساطة " لماذا ادّعي عدم المعرفة وانا كنت اضمك لصدري احيانا بينما يفتتني لون شعرك وانا الامسه باناملي "...

تحول لون وجهها للقرمزي ولكنها شعرت بغضب يتسلل اليها فقالت بثقة لاتتلائم مع لون خديها " ظافر كنا صغارا مجرد اطفال ..." امال رأسه جانبا وهو يقول " نعم ... اطفالا ... وعندما اصبحت في العاشرة قرر والدك ان يحجبك عني "...

ارادت ان تقول (ليس عنك فقط) عندما ابتسم وعيناه تتوهجان وهو يركز نظراتهما على عينيها ثم قال " انا ممتن انه غير قادر على حجب عينيك ... " ..

تهدجت انفاسها رغما عنها بينما تواجه نظراته .. لم تعرف يوما سر جاذبيته ؟!! ليست جاذبية عادية انه شيء يحوم حوله .. يجعله كبصمة لاتتكرر في عالم الذكور ... امها تقول ان خالها آسر كان هكذا وهي تعترف ان خالها ما زال يحمل الكثير من الجاذبية لكن ظافر ... انه مختلف ... وقفته هذه وهو يضع يدا واحدة في جيب بنطاله الاسود بينما يده الاخرى تتراخى بجانبه ...قميصه الذي يماثل لون بنطاله تراخت ازراره هي الاخرى ليكشف عن جزء من صدره حيث سلسلته الفضية احدى هدايا صديقاته في عيد ميلاده الماضي!!... سارعت لابعاد عينيها عن صدره لتعود لمواجهة عينيه ... ما زال يحدق فيها بغموضه المعتاد ولولا الابتسامة الصغيرة التي علت ثغره فربما كانت ستأمل انه لم يلحظ تدقيقها السخيف فيه ... استغفرت الله في سرها ثم تنحنحت لترفع ذقنها قليلا وهي تقول بابتسامة ناعمة " اراك في عيد ميلاد الغلامين الليلة ..." تحركت وهي تقول ذلك ... كان يجب ان تمر بجانبه لتغادر وبينما هو التزم عدم الرد عليها التزمت هي الاطراق براسها والتركيزعلى اداء خطوات متناسقة واثقة...

كتمت شهقتها عندما اقترب منها فجأة بخطوتين فقط ليقف في سد جسدها وهو يقول بصوت جذاب " الا يمكنني رؤية شعرك لمرة واحدة على الاقل ؟ "!!

رفعت وجهها نحوه ترمقه بتأنيب ثم قالت بحزم " ظافر ... الامر ليس لعبة ... انا محجبة وملتزمة ... لااحب ان تسخر من حجابي او تقلل من قدسيته .."
تراقصت ابتسامة عابثة على شفتيه وهو يقول بهمس " اذن لاخيار امامي الا ان اتزوجك لاحظى برؤيته "..

زمّت شفتيها بتبرم لكنها لم تتفاجئ من وقاحته .. لقد اعتادت على اسلوبه الصادم وتحركاته المفاجئة ولذلك تتحفز حواسها وتتأهب كل دفاعاتها كلما لاح لها وجود ظافر قريبا منها خصوصا بعدم وجود الآخرين ..

طال صمتها الغاضب فاضاف ظافر باستفزاز متعمد " ما رأيك يا ابنة عمتي ... هل تقبلين بظافر الغازي زوجا لك ؟ "!!

نظرت اليه ببرود وقالت وهي تميل قليلا لتبتعد عن طريقه " في احلامك "..

ودون ان تهتم بصدى ضحكاته تحركت لتتجاوزه وهي مرفوعة الرأس...

مع ضحكاته المتراجعة لم يستطع ان يمنع نفسه من ملاحقة قدها الممشوق وهي تتهادى في مشيتها نحو باب البيت ... رغم ارتدائها كل ما هو طويل وفضفاض الا انها تبقى مغرية في نظره .. لافائدة مما تفعله لاخفاء انوثتها .. قبل اسبوع حطم فك صديقه المقرب عندما علّق امامه على جمال عينيها وقدها ...



رآها تفتح الباب وعيناه ما زالتا تلاحقانها.. كان ينتظر نظرتها الاخيرة نحوه .. ولم يخطئ في توقعه... منحته ما اراد .. فابتسم بشغف لتهرب سريعا بينما هو يهمس لنفسه " مولاتي.. "....

الفصل الاول

"هل تستمتع بالامر ؟!"

التفت نحو والده وهي يرخي تعابيره في لمحة عناد او تمرد لاتفسير لها ...

ابتسم ظافر ببساطة وهو يقول " تقصد الملاكمة ؟ "!

ضحك آسر ملئ شدقيه وهو ينزل درجات السلم ليواجه قامة ابنه التي تماثل قامته طولا وحجما ... عينا آسر لمعتا بالمكر والدهاء بينما يحدق في عيني ابنه المتمردتين على ذكاء والده ...

قال آسر بصوت منخفض مستفز " الملاكمة لها سحرها لاانكر ذلك ... تمنحك الشعور بالسيطرة

والتفوق والاثارة .. لكن ... هل انت غبي بما فيه الكفاية لتقارن فاتنة آل الغازي بالملاكمة ؟ "!!

رفع ظافر ذقنه قليلا ليرد بكبرياء " انها ليست من الغازي ... انها حوراء الناجي ام انك تناسيت ذلك ابي ؟؟ "

للحظات ظل آسر يدرس ملامح ولده ... لقد ورث عن امه روحها العنيدة التي تعشق المواجهة والتحدي ... لكنه يملك كبرياء آل الغازي ... يملك الكثير منه ... ربما اكثر مما يجب!!

قال آسر وهو يسبل اهدابه " ربما هي لاتحمل لقب الغازي لكنها تحمل دماءهم "...

ثم رفع عينيه نحو ابنه وقال بنظرات اخترقت دواخله واضاف " والاهم انها تملك صفة الغزاة ... انها تغزو كل قلب تمر به ... هل لديك فكرة كيف ينظر اليها الرجال وهي محجبة فما بالك بخيالاتهم عنها بدون حجاب "...

للحظة اوشك آسر على الضحك من نظرة الغيرة الوحشية التي مرت في عيني ابنه بينما يلمح تقبض يديه... لم يقاوم ان يستفزه اكثر فقال وهو يستدير متحركا بعيدا عنه " لااطيق صبرا لارى من المحظوظ الذي سيتمكن من غزو قلب .... مولاتك"..

لكن ظافر لم يتنبه لكلمات والده الاخيرة فعقله كان يعمل في اتجاه آخر....

)خيالاتهم عنها بدون حجاب) جملة تجعله يفقد اتزانه الراسخ ...

اقسم بغلظة انه سيحطم خيالاتهم المريضة واحدا تلو الآخر ... لن يسمح لاحد بالاقتراب منها بأي طريقة... لن يترك الفرصة لاي رجل ان يحظى باهتمامها ولو للحظة ... لن ... توقف ليواجه نفسه " (لن) ماذا يا ظافر ؟!! ماذا تريد منها بالضبط ؟! انها لاتميل لشخصك حتى وانت في المقابل تأبى الانصياع لتملكها لك ... تحارب بضراوة تلك الاغلال التي تتسلل اليك دون ان تدري كلما نظرت في عينيها "...

شعور بالقهر اكتسحه ... حوراء نقطة ضعفه التي لايستغني عنها ... !! ضعف يلاحقه كمسحور منذ الصغر .. فيلجمه كبرياؤه ليفك السحر ويوقظه من هيامه بها ثم ...يتقهرقر متراجعا !!... وما بين مده وجزره يعيش بين تملك لها وهروب منها...

لم يهرب يوما من احد او من شيء .. كان دائما مسيطرا جموحا هادرا كموج البحر ... يهاجم بقوة يقاتل بشراسة .. لكن... حوراء ؟!! شيء مختلف !! كل ما يخصها مختلف .... فهي من تقاتله بل وتقتله ببطئ دون ان تدري حتى بذلك .. !! وكيف تدري وهي لاتملك ادنى فكرة عن تأثيرها عليه بينما تتوراى خلف حجابها الروحي لتذله اكثر بتباعدها الناعم عنه ...

نفض راسه وكأنه ينفض كلمة الذل !! شعر بالغضب المألوف يعود اليه ... غضب موجه لنفسه في معظمه ... لماذا يغضبه تباعدها هكذا وهو لن يقترب منها اصلا ؟!! هل يريدها ان تتعلق به حقا ليتنهد براحة ويضمن انها لن تكون لغيره ...؟ عبس ظافر كارها نفسه لانانيته معها ... كارها ما يمارسه على براءة الانثى فيها ..

ابتسم بعاطفة رغما عنه وهو يتذكر ردود افعالها على مشاكساته التي تزداد ضراوة بمرور السنين ... في داخله يدرك ما يفعل وضميره يجلده بالسياط لذلك !! لكنه يتعذب ويجد نفسه ينتقم لعذابه فيها .. ينتقم لحرمانه من اهتمامها الفطري الذي تنثره اينما حلّت ليقع الجميع في غرامها ... لم يحظى بلحظات صفائها معه الا قليلا ... عندما يغلبها طبعها الحنون وتتصرف بتلك العفوية التي تهز قلبه كما حدث يوم لوى كاحله في بيت عمته نجلاء قبل بضع سنوات .. لم تتردد لحظة وهي تسنده بجسدها حتى اجلسته على اقرب كرسي واخذت تتفحص كاحله برقة شديدة

بينما دموعها تنساب قلقا ولهفة عليه !! لتتركه يعايش ألما اكبر من ألم كاحله .. ألم انها ليست له...

تأوه رغما عنه وهو يهمس باسمها " حوراء"..

علا صوت رنين هاتفه فتنهد ظافر وهو يعود لواقعه الذي لايغادره الا بسببها هي!!

مد يده لجيبه ليخرج هاتفه بملل .. رآى اسم سالي يضيء .. ابتسم بسخرية وهو يغلق الهاتف دون ان يرد ثم قال " اسف عزيزتي .. اليوم لاينفع ..."
اتسعت ابتسامته وغامت عيناه بالعاطفة وهو يهمس بشجن " مولاتي قالت (اراك الليلة) ولااملك ان اقاوم اطاعتها .. على الاقل في هذا اترك نفسي

بارادتي تنقاد لسحرها دون أية معارك مرهقة .. فمراقبتها عن قرب تستحق الاستسلام" ...

كان يضع كلتي يديه في جيبي بنطاله ..يميل براسه جانبا ..يبتسم وهو يمسك طرف شفته السفلى باسنانه ... عيناه تنسابان على جسدها الانثوي بتفصيل دقيق بينما يستمتع وهو يراها بملابسها الرثة ترتكز على ركبتيها وقد انهمكت يداها في اقتلاع الاعشاب الضارة من بين حشائش الحديقة ، اما شعرها فقد تناثرت خصله كالعادة في فوضى جذابة ...

لقد عجز عن جعلها تترك هذه المهمة المحببة لنفسها كما يعجز عن مقاومة انجذابه كرجل نحوها ...

نادية ... امرأته التي سرقها عنوة من البحر ... ام ولده ظافر وابنته سلسبيل .. كل سنة من سنين عمره معها جعلته يمتزج بها يختلط بروحها يتعشق بكيانها ...

تنهد برضا شغوف وهو يقترب منها ليقول بمكر " انا شاكر لك انك اعفيتِ البستاني من عمله والا كنت ساضطر لمراقبته اثناء تواجده معك "..

ضحكت نادية وهي ترفع جسدها لتجلس على ركبتيها وهي تمسح جبينها وتقول " هل انا من اعفيته ام انت من كنت تضطهده ليفر هاربا ؟ "!!

احنى آسر رأسه وهو يضحك بخفة بينما عينا نادية تراقبان بعاطفة حانية اشعة الشمس اللامعة على شعره الرمادي... لم يصبغه يوما بل كان فخورا به

يغيظها احيانا ان الشابات يجدنه اكثر جاذبية هكذا !! ...

رفع راسه فجأة ليلتقط نظراتها نحوه .. رفع حاجبا واحدا وهو يبتسم بمكر ويقول " هل تجدينني جذابا سيدتي ؟ "!

رفعت ذقنها بكبرياء مرح وهي ترد " لا تستسلم لغرورك ... فرغم انك تجاهد لتحافظ على لياقتك الا اني ارثي لحالك وانت تواجه شيخوختك "...

ارجع رأسه للخلف وهو يقهقه عاليا بينما ادّعت نادية تجاهله وهي تنحني مرة اخرى لتقتلع مزيدا من الاعشاب ... تكتم ابتسامتها وهي تشعر بخطواته المقتربة وفي لحظات كانت يداه على خصرها ترفعانها بسهولة شديدة وبينما هي تقاومه ضاحكة كان هو يضعها بخفة وبساطة على كتفه!!

سار بها عبر الحديقة ليدخل بها البيت وهو يقول متجاهلا ضحكاتها " مضى زمن يا امرأتي لم اعلمك فيه من هو آسر الغازي "..

مرّا في طريقهما بابنتهما سلسبيل وهي تنزل درجات السلم بصخب كعادتها .. لوحت لهما بمرح " مرحبا "...

ابتسم آسر في وجه ابنته وهو يقول " مرحبا صغيرتي ..." واكملت سلسبيل طريقها وهي تقول " انا سالحق بحوراء في بيت عمتي نجلاء ... ساساعدها في حفل التوأمين " ...

واكملت طريقها نحو باب البيت دون ان تبدي اي ملاحظة على غرابة وجود امها على كتف والدها !! لقد اعتادت على جنونهما بل وتستمتع به ايضا...

قالت نادية وهي تستسلم لتدلي جسدها على كتف آسر " لقد افسدنا ابنتنا حقا !! انها حتى لم تبدِ اي دهشة " !!

لكن آسر لم يقل شيئا واكمل طريقه نحو غرفة نومهما منذ سبعة وعشرين عاما ...

دخل الغرفة واغلق بابها بقدمه .. ودون مقدمات رماها على السرير ولم يخدعه استسلامها فكان مستعدا لمحاولتها الهرب فامسكها من خصرها واعادها للسرير وهي تضحك بهستيرية ...

وجهه مقابل وجهها ينظر اليها بعاطفة فيّاضة .. هدأت ضحكاتها وهي تراقب ملامحه بحب ...

همست له " هل نحن مجنونان ..؟؟ " رد آسر بصوت أجش وهو ينحني ليطبع قبلة على رقبتها "

نحن محظوظان .." ثم تنشق رائحتها ليهمس "
احب رائحة العشب العالقة بك .. تجعلك بريّة كما
احبك "..

غامت عيناها وهي تلامس وجنته وتقول بصوت
متأثر" بعد كل هذه السنوات ما زلت قادرا على
أسري بأرادتي !!.. ما هذا الذي فيك ليجعلني استسلم
بسعادة هكذا .." ضيّقت عينيها وهي تضيف
بتساؤل محبب " كيف فعلت هذا ؟ " !!

ابتسم بغرور وهو ينظر لعينيها " منحتك قلب آسر
الغازي ... هذا كل ما في الامر .." ضربته على كتفه
وهي تقول بمرح " كم انت مغرور متبجح "..

ذابت عيناه عشقا وهو يتطلع اليها ثم شاب نظراته
بعض الاحباط وهو يقول " كم اتمنى لو يدرك ظافر
مدى حماقته ..كم اتمنى ان يجعل مشاعره تتآلف
مع كبريائه العنيد "!!

اسبلت نادية اهدابها وقالت بغموض " ما زلت تأمل
انه سيستسلم لعاطفته نحو حوراء ..؟" عبس آسر
قليلا وهو يقول " عليه ان يستسلم ... الغبي راسه
عنيد جدا كوالدته "!!

ترددت نادية قبل ان تقول " المسألة ليست فيه
فقط آسر.. هو ليس الجانب الوحيد .." ازداد عبوس
آسر وهو يتساءل " ماذا تقصدين ؟ " رفعت نادية
عينيها نحو زوجها لتقول بجدية " اعني حوراء...
اليست هي الجانب الآخر ؟؟ انها بعيدة عنه آسر ...
وايّاك ان تخدع نفسك .. اننا حتى لانشعر انها تكن
له عاطفة خاصة .. صحيح هي ترتبك بوجوده ولكن

هذا لايعني شيئا .. فولدك قادر على ارباك جيش من الفتيات المحنكات "!!

ابتعد آسر بجسده عن نادية ليتخذ وضع الجلوس بجانبها وهو يقول بهدوء " ماذا تريدين ان تقولي ؟ "

اعتدلت نادية هي الاخرى لتجلس على السرير ثم ردت " حوراء مختلفة عن ظافر .. انت تعلم كيف رباها بلال .. صحيح هي متقاربة مع اولادنا واولاد شاهر لكنها تبقى مختلفة عنهم .. كما هل تتصور ردة فعل بلال نفسه على فكرة الارتباط بينهما ؟؟ "

قال آسر ببعض الحدة " اذا كنت تقصدين علاقات ظافر النسائية فأبني شاب طبيعي وحاله كحال باقي الشباب العازبين من سنه .. وهو ليس مستهترا فاسقا بل رجل شاب شديد الذكاء وقد اثبت قدراته في عالم التجارة باعتراف بلال نفسه ... والاهم من كل هذا انه يعشق حوراء ولن يتزوج غيرها .. ومسألة كونها تربت على التزام ديني هذا من مصلحته ظافر لتهذب جموحه قليلا "..

قالت نادية بلهجة مؤنبة " لقد حذرتك سابقا من جموحه هذا لكنك منعتني بتعنت من محاولة تقويمه " ..

مرر آسر يده في شعره وقال بضيق " رجاءا نادية لاتدعينا نعود لنفس الموضوع ... ظافر شخصية قوية جدا ولم يكن ينفع معه التكبيل الذي اردت فرضه عليه .. كان يجب ان يطلق كل طاقاته ليهذبها وينسقها فيما بعد بذكائه الحاد .." رفعت نادية يدها وهي تقول " حسنا حسنا .... لنوقف الجدال حول امر مضى وانتهى ... ربما تربية ظافر كانت نقطة خلافنا الاقوى .. وبما ان الامر انتهى وظافر

اضحى رجلا فلن نضيع جهودنا في مناقشات غير مجدية " ...

رد آسر وهو يميل بجذعه ليسند ظهره الى الوراء " مسألة رفض بلال له ليست مشكلة بالنسبة لي لاني ساعالجها بطريقتي في حينها ... ما يقلقني ظافر نفسه ... انه يتمرغ حبا بها ويعشق الارض التي تسير عليها ومع ذلك لديه من القوة ما يجعله يقاومها ويدعي اللامبالاة !! قد يخدع الجميع لكنه لن يخدعني انا "

مطّت نادية شفتيها لتقول " بصراحة لاافهمه !!" نظر آسر اليها وهو يقول " انا عن نفسي افهمه!... انه ببساطة يرفض القيود مثلي تماما .. في سنه كنت جامحا جدا وخارج نطاق اي نوع من انواع السيطرة .. لكني اختلف معه في نقطتين .." صمت قليلا ثم

اكمل " الاولى اني لم اكن عنيدا بغباء هكذا .. لقد ورث هذا عنك "..

هتفت نادية به وهي تعبس " آسر !!.." هز كتفيه وهو يقول " هذه الحقيقة حبيبتي ... لديه نفس عنادك عندما تعلق فكرة في راسه رافضا اي فكرة اخرى تناقضها .. انا لست كذلك .. انا عنيد لاحصل على ما اريد " !!

اطلقت نفسا قبل ان تقول بتبرم " وما هي النقطة الثانية يا فيلسوف ؟!" رد بابتسامة صغيرة " انا لم التقِ بحب حياتي الا في سن السادسة والثلاثين ... اما هو فقد عايش الحب منذ كان في الثالثة !! هل تذكرين كيف كان يضرب مهدي كلما اقترب ليحمل حوراء ؟؟ لقد كان مفتونا بها منذ الصغر ويعتبرها ملكه " !!

تكتّفت نادية وهي تقول بحاجبين معقودين " الامر لايعجبني آسر ... ما تقوله لايعجبني ابدا ... اشعر انك تلعب دورا في دفعه نحو حوراء دون اساس صحيح وبصراحة.. ابنك لاتؤتمن افعاله !!" اسبل آسر اهدابه وهو يقول " حوراء لن تكون لغير ظافر ... قلتها مرارا لك "..

ضاقت نادية باصرار زوجها فانزلت قدميها من السرير بنزق وهي تقول " انت لاتقل جنونا وتهورا عن ولدك " ..

ثم وقفت على قدميها لتلتفت نحوه وتقول بحزم وهي تحرك سبابتها " ولكني اخبرك الان ... لن اسمح لظافر باذيتها ... ليس من حقه ولا من حقنا الحجر عليها وعلى مشاعرها لتكون تحت بند (املاك خاصة لظافر الغازي حتى اشعار آخر) .. لاانكر اني اتمناها

زوجة له عسى ان تصلح فيه ما لم استطع انا السيطرة عليه لكني بنفس الوقت لن اظلمها واذا وجدت رجلا يناسبها اكثر من ظافر فسأقف بجانبها "..

اتسعت عينا آسر في ذهول ليقف على قدميه هو الآخر يواجهها قائلا " لااصدق نادية !! سعادة ابنك مع حوراء .. حتى نجلاء تريده لها .. لقد اخبرتني صراحة بذلك حتى دون ان تعرف بمشاعر ظافر نحو ابنتها .. فكيف وانت امه والتي تشعر بعاطفته نحو ابنة عمته ؟ "

تحركت بهدوء نحو الحمام وهي تقول " سعادة ابني كل ما اصبو اليه لكن كما قلت لك .. لكل شيء حدود واصول "..

ثم التفتت نحوه قبل ان تفتح باب الحمام لتقول " ظافر مرعب كفاية عندما يريد .. فلا يحتاج لجهودك المضنية لربطه بحوراء .. " ثم رفعت حاجبا واحدا وقالت بابتسامة مستفزة " رغم اني اعلم ان جزءا من اهدافك هو الانتقام من بلال لاستحواذه على صغيرتك نجلاء المدللة .. تريد اخذ ابنته منه لتنعم بسعادة سرقة صغيرته منه "..

تحرك آسر شاخرا بغضب فهربت منه نادية لتدخل الحمام وتغلق الباب خلفها بالمفتاح .. كانت تخلع ملابسها عندما شعرت بقفل الباب ينفتح .. لم يعصِ يوما على آسر اي قفل !!

ضحكت وهي تلتفت لتنظرلملامحه المتوعدة فقال وهو يخلع سترته " امرأة آسر الغازي لاتتهمه بالغيرة من رجل كبلال ومؤكد لاتقفل باباً في وجهه.. "..

"مهدي .. تعال وساعدني رجاءا "..

"حسنا حوراء .. قادم "..

الكأس سيتحطم في يده وهو يراقب بجفنين شبه مطبقين هذه الالفة بين حوراء ومهدي ... يسحق اسنانه وهو يفكر بسحق رقبة ابن عمه ... عندما كان في التاسعة عشرة هدده فعليا بعدم الاقتراب من حوراء وشبت معركة بينهما لاجل ذلك فقد اتهمه مهدي وبكل صراحة انه مجنون!!

عاد لينظر اليهما وقد عادا وهما يحملان اواني الطعام ويتضاحكان ... هي بالذات كانت تضحك من قلبها فتزداد جمالا وفتنة .. وبغض النظر عن كل

انفعالاته المجنونة هذه كان يتمسك بواجهة باردة .. خصوصا وهو يشعر بمراقبة عمه بلال له ...

الاجتماع العائلي كان موفقا كالعادة لولا بعض الامور التي يلاحظها ... كضيق امه بحديث خالته نهى عن آخر صيحات الازياء بينما عمته نجلاء تحاول تخفيف وطأة الامر عليها فتدفع الحديث في اتجاهات اخرى ...

والده كالعادة يتصرف بذكاء فما بين اهتمامه بشرود عمه شاهر وبين محاولاته لالهاء عمه بلال عن مراقبته ...

رفع ظافر كأسه لفمه ليرتشف العصير دفعة واحدة ثم وضعه على اقرب منضدة ليتحرك بخفة نحو عمته نجلاء التي لاتفارقها هذه الابتسامة الجميلة وهي تتنقل بحيوية بين الجميع...

احتضنته عمته وطبعت قبلة على خده وهي تهمس بعينين متآمرتين " انت اكثر وسامة من ابيك في شبابه.. لكن اياك ان تخبره اني قلت لك ذلك .."
ضحك ظافر بخفة بينما تناهي لمسامعه صوت (معذبته) وهي تقول لامها " امي .. اين الشموع ؟"
عدّ ظافر في سره حتى رقم خمسة قبل ان يوجه نظرات لامبالية نحوها..

انتابه الرضا وهو يرى ارتباكها وتهرب عينيها من النظر نحوه ... بدت حلوة كقالب الحلوى الذي تحمله .. فستان بالوان متعددة مبهجة وحجاب لائمه ... بدت مختلفة قليلا وقد ادرك انها تضع القليل من الكحل وملمع شفاه ...

همس في سره " فقط لو تكتمل الصورة برؤية خصل شعرها تحيط بوجهها الفاتن هذا"...

تطلع آسر لوجه اخيه وقد انتابه الفضول لحالة الشرود التي تنتابه .... كان قد لاحظ حالته هذه منذ اشهر لكن الامر في ازدياد ملحوظ .. ومن جهة اخرى يقلقه حقا التباعد الواضح بين شاهر ونهى !! لقد اندمجت نهى في المجتمع المخملي اكثر من اللازم بينما تصب اهتمامها الاكبر على ولديها مهدي وماهر ... كم هي غبية لتستغل صبر رجل كشاهر قد يفاجأها يوما بما لن تحتمله او تتوقعه حتى!!

وسط هرج التوأمين (محمد ومحمود) تم الاحتفال بعيد ميلادهما الثالث عشر ... انتحى ظافر احدى الزوايا وهو يشعر ببعض الراحة لابتعاد مهدي عن حوراء اخيرا لتستحوذ اخته سلسبيل عليها ... الان

يحلو له مراقبتها حقا وقد استكانت غيرته ونامت في مخدعها الذي يفضله .. في اسفل اعماقه المخفية ..!!

تتبعت عيناه كيف تتحرك اناملها وهي تشرح شيئا ما لسلسبيل كيف تتسع عيناها دون شعورها وهي تستمع لترهات اخته .. تلك الابتسامة الحانية التي يغرق في دفئها ويتمنى ان يحظى بابتسامة من نوع آخر .. تكون خالصة له ..

رن هاتفه فاخرجه من جيبه ليتأفف وهو يرى اسم سالي مرة اخرى ! اوشك ان يغلقه كما فعل سابقا عندما رآى تلك العينين تنظران نحوه في فضول ..

ودون ان يحلل اسباب ما يفعل وجد نفسه يبتسم وهو يفتح الخط ثم رفع الهاتف لاذنه وهو يقول بلهجة مغوية مدروسة " مرحبا .." تعمد المرور من

امامها بينما اذناه تلتقطان همسات اخته سلسبيل لحوراء وهي تقول " انها صديقته الجديدة (سالي " (...

كل الرضا السخيف الذي شعر به تلاشى ما ان استمع لتفاهات سالي ولكن هذا لايعد شيئا يذكر لما شعر به لاحقا عندما عاد للجلسة العائلية...

تفاجأ بوجه حوراء المورد بينما مهدي وماهر وسلسبيل يحاولون اغاظتها حول امر ما والجميع يضحك ... لايعلم لم عيناه انتقلتا سريعا لوالده ليجده ينظر اليه نظرة هادئة تخفي الكثير من التحذيرات بينما جذبته رغما عنه نظرة عمه بلال المترقبة لردة فعله...

رفع ذقنه قليلا وهو يرسم ابتسامة مغيظة على شفتيه ويقول " هل فاتني حدث عائلي ؟ "

كان بلال السبّاق في الرد ليقول بابتسامة هادئة " ربما ستبارك قريبا لابنة عمتك ... تقدم اليها شاب محترم يعمل معها في نفس المعهد "...

فتيل اشتعل ... ببطئ ... بطئ شديد ... انه بطئ يفرضه علينا العقل احيانا على امل ان ما لانريد ان يحدث لايحدث حقا ... لكن في النهاية انه يحدث والفتيل يصل القلب ليشعله فيجعل الرؤيا حولنا تكتسي بلون ضبابي احمر ..ناري ...

لم يسيطر على حدة التفاتته وهو يبحث عن عيني حوراء لينظر اليهما مباشرة ... كان وجهها محمرا بشدة لكنها لم تتراجع عن مواجهته بصلابة ... كم يكره تلك القوة التي تظهر عندها فجأة!!

احتاج للكثير من ضبط النفس ليقول لها بتهكم بارد لايعكس احتراقه الداخلي " مبروك يا ابنة عمتي .."

ففاجأته وهي تقول له بهدوء " انا لم اوافق بعد ... لقد طلبت منه مهلة لاسبوع حتى افكر ... لكن حقا الامر ليس جديّا ... "

هزّ رأسه كأبله !! لم يكن يستطيع قول شيئا آخر لانه ببساطة استنفذ كل طاقته ليقول كلاما مناسبا...

لكنه لم يستطع منع عينيه من بث الكثير من الرسائل نحوها وهي تحاول تجاهل استلامها...

خرجت خلفه تناديه " ظافر ... توقف ..." لكنه كان غاضبا ... غاضبا الى درجة مخيفة ... مخيفة له شخصيا وهو يشعر ان كل الابواب المظلمة في اعماقه تفتح على مصراعيها ...

وصلت اليه عندما ضغط على جهاز الغلق والفتح الآلي لسيارته وقبل ان يمد يده ليفتح عتلة الباب كانت هي تمسك بذراعه وتقول بتوسل لم يعتاده منها " ظافر لماذا خرجت غاضبا هكذا ؟!!" نظر ليدها الرقيقة وهي تتشبث بساعده في مبادرة هي الاولى من نوعها ... فهي لم تحاول لمسه يوما بل انها تأبى مصافحته !! نظر في عينيها فتاه منه الغضب وتمكن منه الاشتياق ... ابتلع ريقه وهو يحاول السيطرة على تعابير وجه ويناضل ضد الارتعاش الذي يمر على طول جسده...

قالت بعينين متوهجتين " ارجوك عد الى الداخل ... لااحتمل ان اراك تبتعد "..!!

افلت زمامه ! دون تردد سحبها بعنف ليحجزها بينه وبين سيارته ثم قال غير آبه باحمرارها واعتراضها

الواهن " ان ابتعد افضل من ان احول اجتماع عائلي الى حدث كارثي "..

لم ترد بشيء والحياء والارتباك كسيا تعابيرها وهو التزم الصمت يستلذ بلحظات نادرة استطاع فيها الوصول اليها عن هذا القرب الحميم...

في ثقة تبثها نظراته تناقض رجفة اعترت يديه بينما يمدهما اسفل ذقنها حيث مربط حجابها ... اتسعت عينا حوراء في ذهول وهي تشعر بحركة يديه اللتين تحاولان فك الدبوس الذي يجعل حجابها ثابتا ... بارتعاش يعكس تخبط مشاعرها رفعت احدى يديها لتمسك يده تمنعه بضعف مما يريد ان يفعل وقالت بتعثر مصدوم " توقف ..ظافر ... ماذا تفعل ؟ "..!

ابتسم لها بشغف كعادته وبلحظة احنى رأسه ليطبع قبلة ناعمة على يدها المستقرة على يده ... سحبت

يدها بقوة وارادت ان تسحب راسها ايضا بعيدا عنه عندما حصل كل شيء في اللحظة التالية!!

لايعرف التسلسل لما حدث بالضبط .. فما بين قبلته على ظاهر يدها وسحبها لتلك اليد فك حجابها وحل شعرها وأسرها في قبلة اجتاحت براءتها دون رحمة بينما ترك لانامله حرية اجتياح خصلات شعرها الناعم الذي طال اشتياقه له ولصاحبته..

عندما ابتعد كادت ان تتهاوى بين ذراعيه فهمس لاهثا " كنت اعرف يا مولاتي ... كنت اعرف اني غبي لاضيع كل هذا "...

ذابت تماما وهو يدفن وجهه في شعرها ويهدر بعاطفة خارج نطاق السيطرة " حوراء انا ... انا ... اهيم بك ..." همسها اطاح بصوابه وهي تنطق اسمه " ظافر .. " ......" حورااااااء ..." هبّ ظافر في

فراشه وهو ينادي اسمها " حورااااء .." كان العرق يتصبب من جسده رغم انه لايرتدي الا بنطال قطني قصير ...!! " لقد كان حلما !!" هذا ما واجه به نفسه وهو يشعر بألم الحرمان يعصف بروحه...

شتم في سره وهو يقول بحنق " كله بتأثير سهرة الليلة ... وخبر ذلك الاحمق الذي تقدم لخطبتها "..

دون تفكير مد يده للمنضدة الجانبية حيث يضع هاتفه النقال وضغط على الازرار المناسبة وانتظر طويلا حتى اتاه الرد..

صوتها الناعس اصابه في الصميم وهي تقول ببعض القلق " ظافر ؟!! " تنهد وهو يستلقي على ظهره ويقول " اجل ظافر .." قالت وقد بدأت تستعيد وعيها " ماذا حصل ؟!! هل الجميع بخير ؟ "

رد بنعومة " الجميع بخير الا انا .." قالت بلهفتها الرقيقة الحنون " ما بك ؟ هل تشكو من شيء ؟" قال بتحشرج وقلبه يقرع كالطبل " مضى وقت طويل جدا لم اشعر بلهفتك عليّ "..

صمتت قليلا لتقول بعدها بهدوء " ظافر لماذا تتصل في هذا الوقت ؟!! انها الثالثة بعد منتصف الليل .. لااحب ان اغلق الخط في وجهك"..

شعر بالخوف من فقدان التواصل معها الان وهو بحاجة ماسة لهذا التواصل ... قال اول ما خطر في باله " آسف .. كنت ..مشوشاً قليلا .. حلمت حلما .. ووجدت نفسي اتصل بك دون تفكير بالوقت "..

كان سعيدا بعودة الدفء لصوتها وهي تقول باهتمام " هل رأيت حلما مزعجا ؟" رد بمواربة " لااعلم ان كان مزعجا ام لا .." صمت قليلا ليضيف

بصوت مبحوح " كل ما اعرفه اني استيقظت غارقا بالعرق وانا اشعر بالألم الجسدي "!!

كان يذوب مع كلماتها وهي ترد عليه قائلة بعفوية ورقة " انها اضغاث احلام ... استعذ بالله من الشيطان الرجيم واقرأ آية الكرسي ثم الفاتحة وقول هو الله احد ثم اتبعهم بالمعوذتين ... ستنام بعدها قرير العينين صدقني "..

اخذ صدره يعلو ويهبط في تأثر ... انها الجنة ان يحظى باهتمامها هكذا .. اهتمام له وحده.. قال بصوت اجش " هل ازعجك ان طلبت منك ان تقرأينها لي ؟؟... اشعر اني ما زلت مشوشا .. هلا تفعلين هذا من اجلي ؟؟ "

قالت بطيب خاطر " حسنا .. عد للاستلقاء وضع الهاتف بجانب اذنك ثم اغمض عينيك واسترخي .. انا ساغلق الخط عندما انتهي "..

لم يحاول التفكير بما يفعله حقا او معنى استسلامه هذا ... لقد توسل اليها فعليا !! استغل كالعادة طيبة قلبها وحنانها الذي لاينضب .. وهو بحاجة ليحصل على اي شيء منها .. اي نوع من انواع العاطفة لتجعله يستعيد قوته فيقاومها من جديد !!

لذلك اعتبر ما فعل الليلة حالة من حالات جنونه الخاص ... ترك الهاتف على وسادته جنب اذنه ثم اغمض عينيه بينما هي بدأت تقرأ الايات .. صوتها العذب تسلل اليه كريح تحمل المسك ... وآخر ما يتذكره من هذا الصوت " تصبح على خير........ " ..

تطلع لوجهها النائم ليحمد الله كما يفعل كل يوم عندما يراها نائمة هكذا بجانبه ترتسم على محياها ابتسامة الرضا وهناء العيش وصفاء الروح...

صغيرته ما زالت تتعلق به كطفلة حتى في نومها وتغرق في احضانه بتملك غيور .. اتسعت ابتسامته الحانية وهو يفكر بأن وفاة والديها جعلتها تصبح اكثر هدوءا ونضجا ... وكأنها تستشعر دوما الادوار الجديدة التي تفرضها الحياة عليها وتتأقلم معها ...

كم هو فخور بها ..وكم هو ممتن لان المولى الهمه الصواب بالزواج من هذه الصغيرة الفاتنة ...

انحنى بلال ليطبع قبلة على شفتيها الناعمتين فابتسمت في نومها ..تنهد وهو يلف ذراعيه حولها ليضمها لصدره وهو يهمس " كم احبك صغيرتي " ..

....

سرحت افكاره لسهرة الامس .. اجراس الخطر تقرع في داخله لحد الان وقد اقلقت نومه ليلة الامس ... تلك الاجراس تقرع بصخب كلما تواجد ظافر قريبا من ابنته حوراء...

القى بلال نظرة لوجه نجلاء وهو يفكر " تعتقدين حبيبتي اني لااعلم كيف تتأملين زواج ابنتنا من ظافر ؟!! للاسف ما زال تعلقك بآسر يغشي بصرك عن الحقائق ... الحقائق التي تقول بوضوح ان ظافر في وادِ وابنتنا في وادِ آخر تماما " ...

تنهد بلال وهو يهمس لنفسه " كم اتمنى ان توافق على الزواج من زميلها فهو يبدو على خلق ومن عائلة كريمة .. لكني في داخلي احارب تصديق احساسي انها سترفض "...



يقف بشموخ عند نافذة مكتبه الكبيرة ... يتطلع بشرود لحركة السيارت البعيدة ... ما زال شاهر الغازي كما هو ... هادئا غامضا يحمل بين طيات روحه قلبا دافئا ... قلبا اضحى متعطشا في السنين الاخيرة!!

طرقات على باب مكتبه الخاص واجهها شاهر بقناع من السيطرة بينما قلبه ينبض بقوة .. قال ببساطة " ادخل "..

لكن لاشيء بسيط اطلاقا فيما يشعر به بينما تتقدم نحوه تلك المرأة الفاتنة التي تشغل باله منذ اشهر !! امرأة تقارب عمر اخته نجلاء ... امرأة تشغله وتشاغله...

تحدت سيطرته على نفسه وهي تنظر اليه بعينيها الزرقاوين لتقول بصوتها الساحر " هل نذهب للغداء سوية ؟"!

الفصل الثاني

رأته كيف يسبل اهدابه الطويلة ليخفي جمال عينيه التي زادتهما التجاعيد الخفيفة حولهما سحرا وتأثيرا ... كانت تشعر انها كمراهقة ! وماذا يهم ؟! حتى لو كانت قد تجاوزت الخامسة والاربعين فهي لها قلب انثى ... قلب ينبض بالحياة .. قلب استولى عليه شاهر الغازي وتملكه...

كانت تحارب لتوقف اندفاعها نحوه لكنها لم تعد تحتمل .. انه يحتاجها .. نظراته الغامضة هذه لم تستطع اخفاء وحشته التي تتملكه في ساعات خلوته .. تلك الساعات التي اخذت تتطفل عليها منذ ان اصبحت مساعدته الشخصية ..

فاصبحت تغرق في تفاصيل حياته شيئا فشيئا ... واهم تفصيلة في حياته هذه هي .. زوجته ...تلك الغبية التي لاتدرك اي رجل يتسرب من بين اصابعها وهي لاهية بسخافاتها الاجتماعية...

"اين سنتغدى اليوم ؟ "

جملة بصوته الرخيم الهادئ تجعلها تعيش لحظة مسروقة من زمنها ومن زمنه ! لتوهم نفسها ان لها مكانة خاصة مهما بلغ صغر هذه المكانة الا انها موجودة .. رغم كل محاولاته للاخفاء الا انها موجودة...

ابتسمت له وهي تقول برعشة لم تبالي بمعانيها التي تصله " اليوم سنتغدى في المطعم الايطالي"!

مرة اخرى شاهر .. مرة اخرى تفقد السيطرة ! لا شاهر .. لا .. واجه نفسك ... انت لاتفقد السيطرة لم تفعلها يوما ولن تبدا بفعلها الان ... وانما انت تفعل ما تريده نفسك بصفاء ذهن لاتشوشه حتى دقات قلبك المتسارعة تأثرا ... اذن ؟! هل هو تمرد قديم عايش سنوات حياتك لتطلق له العنان الان ؟! رفع عينيه بهدوء ليتطلع لوجه ريمة وهي تعاني مع خيوط المعكرونة الطويلة الملساء لتتزحلق من شوكتها مرارا وتكرار فتعقد حاجبيها في تركيز و مثابرة لاتنضب لتلتقطها مرة اخرى ! همسة داعبت افكاره " ماذا لو رأيت نهى تثابر من اجلك هكذا ؟"!!

ابتسمت له ريمة بفرح وهي ترفع حاجبيها وعيناها تبرقان كالاحجار الكريمة لتقول بانتصار ساحر " لقد تمكنت منها تلك التي تتصور انها تجيد التهرب مني "...

ابتسم لها باعجاب لم يحاول حتى اخفاءه ... ارتبكت ! ثم لاح على وجهها ابتسامة نصر من نوع آخر!

وضع بلال احدى يديه في جيبه بينما يسبح بمسبحته باليد الاخرى ... كان ينتظر ان تكمل نجلاء اعداد حقيبته فها هو سيسافر من اجل عمل مهم لاسبوع وهو يشعر بالقلق على حوراء .. ترى بماذا تفكر ابنته ؟ دوما تجيد اخفاء مكنونات صدرها عن الجميع رغم انها ليست انطوائية لكنها لاتفصح عن دواخلها ..

"لقد اكملت اعداد حقيبتك حبيبي "..

التفت بلال مبتسما لنجلاء .. ملأه الحنان وهو ينظر لصدرها يعلو ويهبط من التعب .. دوما كانت رقيقة الجسد وتبذل جهودا تفوق قدراتها ولكنها لاتيأس .. محاربته الصغيرة ...

تقدم نحوها ليضع كفه على خدها فابتهجت وهي تضع يدها فوق يده غامرة وجهها اكثر بباطن كفه مبتسمة بطفولية...

قال برقة " صغيرتي .. تكلمي مع حوراء .. يقلقني صمتها وعدم بوحها لنا بما تفكر .." طبعت قبلة على باطن كفه وهي تقول ببشاشة " لاتقلق عليها .. انها ذكية وتجيد الاعتناء بنفسها .." لانت ملامحها بالفخر وهي تقول " انها تشبهك ... في صمتها .. في هدوئها .. حكمتها ... حنانها ورقتها .. انت هكذا فلمَ تستغرب ابنتك "..

ابعد بلال يده عنها ثم قال والقلق يعاوده " لكنها تبقى صغيرة لتقرر امرا هاما كالزواج بمفردها .. صحيح انا ربيتها ان تتخذ قرارتها بنفسها لكنها بحاجة لرأينا ايضا " ..

تراجعت ابتسامة نجلاء لتقول وهي تنظر اليه بعمق " هل حقا هذا ما يقلقك يا بلال ؟! انها تحتاج لنصيحتنا ؟ ام انك تخشى رفضها للعريس "..

اسبل بلال اهدابه وهو يقول " ماذا تقصدين ؟ وماذا ان رفضت العريس ؟ هذا لايدعو للخشية ! فهي ما زالت صغيرة .. صحيح يبدو زميلها هذا عريسا مناسبا لكن امامها فرص اخرى"..

ردت نجلاء بصراحتها المعتادة " انت تخشى ان يكون سبب رفضها تعلقها بظافر اليس كذلك ؟"!

رفع بلال نظراته نحو عينيها النجلاوتين الذكيتين ليقول بهدوء وصراحة تماثل صراحتها " نعم ... اخشَ ذلك " ..

للحظات ظلا يحدقان ببعض لتقول نجلاء بتأثر كئيب " لماذا ترفض ابن اخي آسر ؟ "!

رد بلال بحيادية " اولا المسألة ليس لها علاقة بأخيك آسر فلا تجعلي الامر عاطفيا .. ثانيا ابن اخيك لم يتقدم اصلا لها .. انه لايفكر بالزواج وهذا واضح .. ثالثا وهذا الاهم انت تعلمين في داخلك ان ظافر لايلائم طباع حوراء .. انهما لايتلائمان من كل النواحي " !

تخصّرت نجلاء وهي تعقد حاجبيها قائلة " وكيف لايتلائمان ؟؟" رد بلال موضحا " انت تعرفين نجلاء .. لايمكن انك لاتلاحظين الفروقات بينهما .. انا اريد لها رجلا متدينا بشخصية واضحة وراكزة يتفهم طبيعتها المعطاءة ويقدر قوتها الداخلية" ..

اشتعلت عينا نجلاء فقالت وهي تحدق في عينيه " هل كانت خطيبتك الاولى هكذا ؟!" هتف بها لائما " نجلاء !" لكنها اصرّت قائلة " ألم تكن ضمن المواصفات ايضا ؟!! وانظر ماذا حصل .. لم تستطع ان تعشقها واحببتني انا رغم كل اختلافاتنا .. فهل خيّبت آمالك ؟؟"!!

استعاد بلال هدوءه ليقول بتروٍ " الرجل غير المرأة صغيرتي .. الرجل هو القائد واهل البيت يسيرون

خلفه ... صحيح للمرأة تأثيرها قوي على ديمومة الحياة في البيت لكن القيادة للرجل" ..

لكن نجلاء رفعت ذقنها لتقول باصرار متزايد " ما تقوله صحيح بشكل نسبي بمعنى يختلف باختلاف الزوجين ... وظافر ليس سيئا .. انه شاب مفعم بالحياة وقوي الشخصية ذكي طموح ولديه انتماء رغم انه لايظهره لكنه يعشق عائلته .. وفوق هذا اشعر انه لديه ميل لحوراء وسيحافظ عليها"..

هزّ بلال راسه وهو يتحرك ليحمل حقيبته قائلا " لافائدة من المناقشة معك بهذا الموضوع ! انت متحيزة له فقط ... عموما كل هذا لامعنى له ما دام

لم يظهر لنا او حتى لها رغبته بان يرتبط بها .." توقف وهو ينظر لساعته وهو يقول " كنت اريد التكلم معها قبل ان اسافر لكن لم يبقَ لدي وقت ... ساودعها هي والتوأمين وانا في طريقي للنزول "

وضع يده على مقبض الباب ليفتحه ففاجأته نجلاء وهي تتحرك نحو لتحتضنه من الخلف قال قالت بميوعة انثوية " ألن تودعني انا ؟!!" ابتسم وهو يضع الحقيبة ارضا ثم استدار نحوها ليلف ذراعيه حول خصرها يقربها منه وهو يقول " مدلّلتي .. مؤكد كنت ساودعك .. وكيف اجرؤ ان لاافعل ؟"!!

ردت بشقاوة وهي تلف ذراعيها حول رقبته " اذن ودعني هنا .. انت تعلم اني احرجك بوداعي الحار

امام الخدم .. ماذا افعل ؟! لااقاوم .." ضحك بلال عاليا قبل ان تسحب هي رأسه بتملك نحوها..

بعد أيام...

ابتعدت سالي بتذمر عنه والاحباط التام يسيطر عليها ... اطرقت رأسها بمذلة وهي تمرر يدها على قميصها الانيق الذي تجعد وهي تحاول جاهدة الحصول على عاطفة هذا الغازي الذي يثير جنونها ! وقفت على قدميها والذل يلاحقها تاركة اياه جالسا باسترخاء على كرسيه الجلدي بينما هي كانت تجلس منذ لحظات وبارادتها ... على ركبتيه!

هو لم يمانع بل اعطاها تلك الابتسامة التي ترعش قلبها وبنفس الوقت تحطم كبرياءها لانها ابتسامة تلوح فيها الاستهانة ! استهانة بها واستهانة بتحركاتها المفضوحة نحوه .. استهانة بمشاعرها التي تبديها بكل عنف تجاهه لكنه ... لايبالِ ! ولامبالاته هذه تمزقها ..

هي سالي الاجمل بين فتيات المجتمع الراقي بشعرها الاشقر وعينيها الخضراوين اللتين الهبتا قلوب الكثيرين عجزت ان تلمح في عيني ظافر ولو فتيل صغير ! كل ما استطاعت الحصول عليه اعجاب متوقع بجمالها ، غير هذا لاينظر اليها بجدية .. لايطالبها بشيء .. لايتصل بها الا اذا الحت هي في اتصالاتها التي لايرد عليها كثيرا..

مع كل هذا لاتستطيع تركه ... انها تدمنه .. تدمن لمسته الرجولية التي لايخصها بها وحدها ! تدمن نظراته المتوحشة في لحظة انسجام لكن.. توحش متأصل فيه ولايعنيها به ..

شعرت بالارهاق وهي تبتعد عنه توليه ظهرها وتقول بارتعاش مفضوح " ما بك ظافر ؟! ألم اعد اعجبك ؟!! لم يمضِ على علاقتنا الا شهر واحد !!!" لم تسمع الا صوت كرسيه يتأرجح باستفزاز فاستدارت نحوه لتراه يحدق فيها بغموض تكرهه .. تكره انها لاتفهمه ولاتفهم اختلاجات نفسه .. تقبضّت يداها وهي تقول بانفعال " انظر لنفسك ! كنت اقبلك بكل شوق قبل لحظات وانت .. وانت "...

ضاعت منها الكلمات وسط هياجها المتفاقم واوشك صوتها ان يتخذ طابعا هستيريا عندما اجفلها صوت

تحرك ظافر من على كرسيه ليقف على قدميه ويقول بغضب بارد " انا لم اطلب منك المجيء هنا بل اني حذرتك سابقا من اقتحام مكان عملي ! ومع هذا كنت متسامحا معك اليوم فلم اطلب منك المغادرة فورا وها انت تتصرفين بهستيريا غير مبررة " !

اوشكت ان ترد وهي تقاوم ضعفها امام قوته ليرفع يده وهو يقول بقساوة جارحة " عليك المغادرة الان سالي اذا اردتِ لعلاقتنا الاستمرار " ..

ابتلعت ريقها وهي تحدق بملامحه الصارمة فاضاف بقساوة اكبر " امامك خمس ثوان فقط لتغادري وعندها سانسى هذه المسرحية الهزلية الهابطة ! ست ثوانِ .. وسانساك انت شخصياً وعندها ساطلب من الامن مرافقتك كأي شخص غريب متطفل الى خارج

الشركة مع التشديد بعدم السماح لك بالدخول مرة اخرى"..

راقب بهدوء مريع كيف رفعت كفها لفمها وهي تختض بينما عيناها تظهران تخبطها بين الشعور بالاهانة وعدم القدرة على خسارته! ثانيتين فقط لاغير لتهرول بخطوات متعثرة تلتقط حقيبتها وتخرج من باب مكتبه....

استدار ظافر بتمهل ليعود نحو كرسيه .. لااحد يراه كيف جلس ببرود اعصاب هكذا يصدق كيف تعتمل نفسه بالمشاعر الحارقة ...

مشاعر غضب مضطرم ... ليس نحو سالي ولا نحو نفسه ولكن ... نحو روح تأسره .. روح تحوم حوله او ربما هو من لايقاوم ان يحوم حولها كما لايقاوم نسج من رحيق العسل يلتف ويلتف ليتملك قلبه ووجدانه ...!

عض على شفته بقوة حتى ادماها دون ان يشعر ليهمس متأوها وهو يغمض عينيه " حوراء ...ماذا تفعلين بي ؟" !

خرجت حوراء من باب قسم الابحاث التقنية وهي تتنفس الصعداء ... وقت العمل انتهى لتغادر اخيرا عائدة للبيت حيث غرفتها وفراشها الذي سيستقبل جسدها التواق لبضع ساعات من النوم ...

خطواتها كانت تعبر عن ارهاقها .. ارهاق عدم النوم بشكل كافٍ منذ ايام ... كان اتخاذ القرار صعبا ...

تنهدت وهي تتذكر وجه زميلها الذي اعتلاه البؤس ثم همست لنفسها " وتبيلغ القرار اصعب"!

هاجس صغير ضعيف هاجمها على حين غفلة كالعادة .. (هل هذا كل ما يؤرقك ؟؟) اسرعت بخطواتها في حزم وكأنها تعذب ذهنها المتوقد ليستكين ويعتقها .. رفعت ذقنها بقوة رافضة الانصياع لذلك الاغواء المتجسد به ... هو ... هو..

"انسة حوراء ... انسة حوراء .." صوت يناديها ما ان عبرت بوابة المعهد الرئيسية لتخرج للشارع .. ابتسمت بحنان وهي تلتفت نحو الصغير عبد الرحمن ..

لاتملك الا ان تشعر بالبؤس لحاله وهو يصر على العمل بكبرياء تاركا تعليمه كبقية الذين من سنه ! انه لايكبر التوأمين الا بسنة واحدة وها هو يتحمل مسؤولية امه واخوانه الصغار بعد ان هجرهم والدهم السكير ... حاولت اقناعه بالعودة للمدرسة وهي تتكفل بمصاريف عائلته لكنه رفض وظل مصرا على العمل في بيع الفطائر الشعبية الرخيصة على ناصية الشارع .. انصاعت باعجاب لرغبته وكانت تكافأه بأن تشتري منه يوميا العديد من فطائره وتحضر له بعض الكتب ليتثقف ... وليزيد امتنانه لها عندما اخذت الشرطة يوما عربته الخشبية التي يعمل عليها فساعدته حوراء بعدها ليفتتح كشك صغير مطابق للقوانين المسموحة..

قالت برقة " مرحبا عبد الرحمن ؟ " ابتسم بحبور وهو يمد يده بلفافة ورقية مما يستخدمه للف

الفطيرة وهو يقول " تفضلي انستي .. اليوم لم تأخذي حصتك "...

كان يصر على تسميتها حصتك كما يصر على عدم اخذ المال منها فهو يعتبرها شريكة حقيقية في العمل ...

ضحكت حوراء وهي تأخذ الفطيرة ثم صمتت بتردد وهي تنظر لي ديّ عبد الرحمن القذرتين .. ادرك عبد الرحمن معنى نظراتها فارجع كلتي يديه لخلف ظهره وقال بخجل " اعتذر منك انستي ... اعرف انك حذرتني مرارا وطلبتِ مني الاعتناء بالنظافة اكثر ..لكني ... لكني انسى .. لم اتعود .. اقصد .. لم يعلمني .. احد " ..

غامت عيناها بالاشفاق وقالت تواسيه " لاتقلق ستتعلم وستتعود ... فقط ثابر على تذكير نفسك وتذكر انه محل رزقك انت وعائلتك لذلك عليك ان تهتم به وتحافظ على النظافة والا سيصاب احد الزبائن بالمرض وعندها سيلومونك انت .." صمتت قليلا ثم اضافت بتركيز " وتذكر ايضا انك مسؤول امام الله اذا تاذى احدهم بسبب اهمالك "...

احمر عبد الرحمن قليلا لكنه هزّ رأسه بتأكيد وهو يقول " اعدك آنستي" ..

ابتسمت له وقالت " حسنا .. ساذهب الآن .. اشعر بالارهاق اليوم .." ودعها عبد الرحمن قائلا " في حفظ الله آنستي ... اعتنِ بنفسك"..

ودعته وهي تلتفت ثم اخذت عيناها تبحثان عن السائق ابو جميل الذي يفترض به ان يكون بانتظارها

ولكنه كالعادة تأخر ! شعرت بالاستياء منه فهذه ليست المرة الاولى وهو يستغل تسامحها معه مما يصيبها بالغضب..

خطواتها تقودها نحو احدى الاشجار تتفيء بها في هذا الجو الحار عسى ان يظهر ابو جميل قريبا .. اخذت تقضم بالفطيرة لتسد بعضا من جوعها .. مرت خمس دقائق اخرى عندما قررت الاتصال به ولكنه للاسف لايرد ! انهت فطيرتها وقد ازداد حنقها منه بينما حرارة الجو تضاعف من ارهاقها ..

"مرحبا يا جميلة .. هل تحتاجين لمن يوصلك ؟"

شاب بابتسامة سخيفة يخرج رأسه من نافذة سيارته ينظر اليها بوقاحة تماثل وقاحة تحرشه بها ... تلك النظرات ازدادت وقاحة وهو يتطلع لوجهها مدققا النظر فيه دون رادع!

ادارت وجهها بعيدا وهي تهمس في سرها " سمج"!

لكن الشاب تمادى وهو يصفّر باعجاب قائلا " هل تعلمين لديك اجمل الوجوه على الاطلاق "..

ارتبكت حوراء قليلا وهي تشعر به يترجل من سيارته متجها نحوها ... همست في سرها " اين انت يا ابو جميل ؟!! لن اسامحك هذه المرة"..

قال الشاب الوقح وهو يقف قريباً منها بينما هي تصر على تجاهل وجوده " فاتنة تتوارى خلف الحجاب ! كم اعشق الصعب .. ما اسمك يا فاتنة "...

لم ترد ايضا بينما اخذت تنظر لساعتها بنزق .. الشاب لم ييأس فاضاف بلهجة ممطوطة " لماذا تنتظرين من تأخر عليك ؟! ساوصلك بنفسي اينما تريدين ... سنتكلم فقط " بدات حوراء تشعر بالقلق

فهذا الشاب لجوج حقا ... عادة هي تتجاهل امثاله فيتركونها ليبحثوا عن اخريات اكثر تجاوبا ...

عاد صوت الشاب يضايقها وهو يقول بهمس متعمد " يبدو انه اليوم سيكون اسعد ايامي"..

لحظة وهدر صوت خشن بينما الشاب ينسحب للخلف " بل تأكد انه سيكون الأسوأ "!

ارتاعت حوراء وهي تنظر بعينين مصدومتين لذلك الشاب المطروح ارضا وهو يتلقى لكمات وحشية من ... ظافر..

الناس اجتمعوا حولهم والشاب المدمى اخذ يتوسل لكن ظافر لم يعتقه ! حاول البعض تهدئته ظافر لكنه كان كالمجنون ... استعادت تركيزها وهي تدرك ما يحصل حولها فتقدمت سريعا تحاول الاقتراب من

ظافر وهو منهمك بما يفعل رغم محاولات البعض لايقافه ... وضعت طرف يدها المرتجفة على كتفه وهي تقول بتوسل هامس " توقف ظافر .. ارجوك "..

ادار وجهه بقوة نحوها فتوقف كل شيء ! عيناه اللتان تخوضان في عنف سكنتا فجأة ثم التمعتا بمشاعر غامضة لم تفهمها ... لكن .. اخافتها!

تحرك ظافر بعنف وهو يبعد الايادي عنه ودون ان يلتفت لضحيته الملقى على الارض وهو خائر القوى اقترب من حوراء الشاحبة ليهمس قريبا من وجهها بانفاس حارة " تحركي امامي .. سيارتي هناك... "..

لم تخالفه .. ليس خوفا منه ولكن لتنهي هذا المشهد العاصف امام الناس....

في السيارة ادارت وجهها جانبا وكأنها تعاقبه ! لكنها في حقيقة الامر تتجنب مواجهته خصوصا وهو في هذا المزاج الناري الذي نادرا ما تراه يطفو على السطح .. لكنها دوما تستشعر وجوده يجيد اخفاءه كما يجيد التحكم به...

صوته ما زال خشنا من اثر الانفعال وهو يقول " اين ابو جميل ؟" ردت دون ان تلتفت اليه " لااعلم ... اتصلت به اكثر من مرة دون ان يرد"..

شتم بصوت منخفض فكزّت على اسنانها ضيقا ..
شعرت به يفتح هاتفه النقّال ويجري اتصالا وفي كل مرة يشتم ويعيد الاتصال مرة اخرى .. اخذ عدة مناديل ورقية ليجفف عرقه بينما يرفع درجة مكيف السيارة...

عاد ليتصل بنزق .. تصورت انه تأخر عن موعد مهم في عمله حتى تفاجأت عندما سمعته يتكلم بعنف " معك ظافر الغازي ... لماذا لاترد على هاتفك ؟؟!" هذه المرة لم تقاوم الالتفات لتنظر اليه فتفاجأت بحالته ! كانت وجهه مشدودا ينضح بالغضب الذي لم يستكين بينما هدر صوته مرة اخرى " اقسم بالله اذا تركت الانسة حوراء تنتظر في الشارع مرة اخرى ساحطم اسنانك دون مراعاة لسنك .." اتسعت عينا حوراء وهي تكتشف انه يكلم سائقها ابا جميل ! ثم قال ظافر اخيرا بصوت مرعب بارد " اعذارك لاتهمني في شيء ... عملك هو انتظارها دوما غير هذا لاافهمه ولا اريد فهمه"...

ثم اغلق الهاتف ورماه وهو يشتم مرة اخرى...

همست حوراء بدهشة " لم اكن اعرف انك تحتفظ برقم هاتف ابي جميل !!" ادار وجهه ليواجه وجهها وعيناه تنطقان بمشاعر كثيرة مختلطة ... مشاعر غلفتها وكأنها تقبض على روحها .. دامت هذه المواجهة للحظات بعدها اعاد ظافر اهتمامه للطريق دون ان يرد بشيء..

الارهاق ... تمكن منها ليجعلها تطرق ابواب الغفوة .. افكارها سبحت في احلام متداخلة غير واضحة..

تنهد ظافر من اعماقه وهو ينظر اليها كيف تستند بجبينها على النافذة بجانبها غارقة في نوم عميق .. ذراعاها تراختا قليلالتسقط حقيبتها في حجرها .. شتم في سره وهو يفكر انها لاتحتمل الوقوف في الحر ..

مد يده ليخفض مكيف الهواء خوفا عليها ان تبرد وهي نائمة هكذا ... كان يقود السيارة بصعوبة شديدة وعيناه تأبيان مفارقة النظر اليها .. كيف يمكن ان يفقد لحظة من التشرب بجمال وجهها الذي يحفظ تفاصيله .. يحفظ ملامحه منذ الوقت الذي تسعفه به ذاكرته وهي طفلة رضيعة .. ابتلع ريقه وهو يحدق بشفتيها .. آهة حارة خرجت من صدره وهو يجبر وجهه على الالتفات بعيدا عنها ..

مفاصل يديه ابيضتا على المقود امامه يقاوم رغبة مجنونة لاحتضانها .. فقط احتضانها والشعور بها قرب قلبه ... لايعرف لماذا اتى اليوم ؟! فبمجرد ان اتصلت به عمته نجلاء لتخبره بمكر ان حوراء قررت رفض العريس وشعور بالابتهاج اغواه ! لم يقاوم المجيء وهو يعرف وقت خروجها فقط ليراها ..

صوت هاتفه النقّال جعلها تستيقظ فزعة ! اغلق الهاتف دون ان يرد على مساعدته الشخصية وهو يهدأ حوراء قائلا " لاتفزعي ... انه الهاتف فقط ... عودي للنوم فانت تبدين مرهقة وما زال امامنا وقتا لنصل بيتكم فالشوارع مزدحمة جدا"..

لكن حوراء اخذت ترتب حجابها ووتتأكد من ملابسها بينما ظافر يرمقها بنظرات مبهمة..

قالت وهي تستعيد ثباتها " آسفة لاني عطلتك عن اعمالك .." رد بشرود وهو يتطلع امامه " لابأس كنت مارا بهذا الطريق على أية حال"..

نظرت حوراء اليه لتنزل نظراتها رغما عنها نحو فتحة قميصه حيث تقبع تلك السلسلة ... قميصه مفتوح اكثر من العادة ربما بسبب المشاجرة التي حصلت ..

التقط نظراتها هذه لكنه لم يعلق بشيء فقط قال باسترخاء " الجو حار جدا اليوم .. هل تشعرين بتحسن الان ؟ " همهمت بما يدل انها بخير ثم التفتت بعيدا تنظر من نافذتها...

رن هاتفها هذه المرة فاخرجته من حقيبتها لتتلقى اتصالا من امها .. وبعد ان طمأنتها انها ستصل مع ظافر بعد قليل قالت الام ببشاشة " قولي لظافر انه سيتغدى معنا اليوم .." نظرت حوراء نحو ظافر لتخبره " امي تقول ستتغدى معنا اليوم"..

مال براسه يتطلع نحوها بابتسامة مستفزة " تبدين كمن لايريد حضوري ؟!" قالت بهدوء " امي تنتظر على الهاتف ظافر فماذا اقول لها ؟"!

رد بصوت مبحوح وهو يحدق في عينيها " هل تريديني ان احضر يا حوراء ؟ "

ابتلعت ريقها وهي تستشعر ذلك الطرق الذي يواصل دأبه على مشاعرها .. همست في سرها " يا الهي لماذا تجمعني به على انفراد هكذا ؟! انه .. انه .." لتتوقف افكارها وعيناها تهبطان مرة اخرى على سلسلته ... شعرت بالضيق الشديد .. وبقوة لاتعرف من اين وجدتها رفعت عينيها اليه بينما تضع الهاتف على اذنها مرة أخرى لتقول لامها " ظافر سيقرر عندما نصل امي ... الى اللقاء .." واغلقت الهاتف سريعا دون ان تعطي فرصة لامها كي تقول المزيد...

مد ظافر يده لصدره رافعا سلسلته وهو يقول بلهجة ساخرة " هل تعجبك قلادتي ؟!عيناك لا تتوقفان عن التلكؤ عليها كلما رأيتني "..

نظرتها اتسمت بالاستهجان وهي تقول بصراحة " ليس المسألة انها تعجبني ام لا .. المسألة انك لاتجد غضاضة في ارتدائها امامنا جميعا ونحن نعلم انها هدية من احدى ... صديقاتك .. اجد الامر قلة احترام لعائلتك "..

كانت تتوقع ان تسمع صدى ضحكاته الساخرة ولكنها تفاجأت بالتفاتة بسيطة من رأسه ينظر اليها بطريقته الغريبة التي تربكها ثم فجأة اجفلها بحركة عنيفة من يده تناقض هدوء ملامحه سحب السلسلة بقوة ليقطعها ! وفي اللحظة التالية فتح نافذته ورمى السلسلة الى ... الشارع ! ثم قال ببساطة " من اجل العائلة فقط "!

لم تملك الا ان تفتح عينيها بذهول بينما اضاف ظافر بنعومة " هل استحق ان تناول الغداء معكم الان ؟ "

اخذت نفسا عميقا وهي تفرد ذراعيها جانبا ثم رفعتهما للاعلى وانحنت بجذعها لتغطس في الماء....

من بعيد ومن مكان متوارٍ وقف ينظر اليها بقلق شديد ... راقبها كيف تسبح بمهارة لكن مهارتها لاتبعث فيه الطمأنينة الكافية ... لاتمنحه الثقة من غدر البحر ... !

قبضته متشنجة بالقلادة التي تحملها ... تلك القلادة التي اشتراها لها منذ عامين وبالتحديد في عيد ميلادها الثامن عشر وبدلا من ان يهديها اياها تراجع ليقدم لها هدية اخرى اقل عاطفية من هذه القلادة الفضية التي تحمل قلبا...

همس " انها صغيرة ... " ابتسم بحنان وهو يكمل " صغيرة قوية هادرة "..

عيناه لم تفارقا تلك النقطة السوداء وهي تبتعد بين امواج البحر وقلبه يابى الانصياع لرسائل التطمين التي يرسلها عقله " اهدأ ... البحر ساكن اليوم وانت موجود ... لن يحصل اي مكروه ان شاء الله "....

تأخرت بالعودة وهو يتململ في انتظار قلق عاد ليهمس " عودي سلسبيل ... يكفي ... عودي .. اعصابي لن تحتمل اكثر "..

وكأنها سمعت تضرعه فها هو يراها تعود لتقترب شيئا فشيئا من الشاطئ ثم خرجت بجسدها الرشيق والماء يقطر من ملابسها السوداء التي ترتديها للسباحة في البحر عادة .. ملابس محتشمة الى حد ما .. طقم كامل يصل لركبتيها وبكمين قصيرين مما يرتديه الغواصون وراكبي القوارب الشراعية..

تنفس الصعداء اخيرا ليتخلص من توتره بعد ان اطمأن على سلامتها ... تحرك بهدوء نحو سيارته وهو يفكر ما زال عليه الاطمئنان لعودتها للبيت..

دخلت سلسبيل من باب البيت على اطراف اصابعها آملة ان تصل غرفتها قبل ان يكتشفها احد ... كانت على وشك بلوغ السلم عندما هدر صوت والدها قائلا " اذن فعلتها مرة اخرى كسرت كلمتي وذهبت للسباحة في البحر "..

اغمضت سلسبيل عينيها باحباط بعد ان تم ضبطها بالجرم المشهود ! وكيف ستنكر وهي بهذا الرداء وشعرها ما زال مبلولا ..

اخذت نفسا قبل ان ترسم ابتسامة شقية وهي تلتفت نحو والدها لتقول ببراءة " انا لااجرؤ على كسر كلمة منك ... لكنك تبالغ في حمايتي احيانا "..

عبس آسر وهو يتقدم نحوها بملامح غاضبة لاتلين " انت تتصرفين بتهور حقا ... السباحة في البحر ليست لعبة .. انه تهور ما بعده تهور ان تسبحي بمفردك .." تلكأت سلسبيل وهي تحاول امتصاص غضب والدها فقالت بتلعثم " أنا .. أنا"..

"انها لم تكن بمفردها عمي"..

التفت الاثنان ليفاجآ برؤية مهدي عند الباب بينما جاء صوت نادية وهي تنزل درجات السلم قائلة " ماذا يحدث ؟" نظرت نادية لابنتها لتدرك سريعا ان مشهدا مكررا يحدث مرة اخرى ...

عقدت حاجبيها وهي تقول بغيظ لابنتها " لاتقولي لي انك ذهبت للسباحة بمفردك مرة اخرى ؟!!" تنهدت سلسبيل في احباط متزايد ونظراتها تتوسل لمهدي ان يتدخل...

آسر التزم الصمت وهو ينظر بغموض نحو مهدي..

قال مهدي اخيرا وهو يبتسم بلطف " لم تكن بمفردها ... كنت معها .. انا لم اسبح لكني كنت معها فعلا " ..

قال آسر بهدوء " هل حقاً كنت معها ؟" سارعت سلسبيل لتقول بحماسة وهي تتابط ذراع والدها بدلال " أرايت كيف ظلمتني ... لم اكن بمفردي .. ومن افضل من سبّاح ماهر كمهدي لينقذني عند الضرورة "...

تأففت نادية بتذمر بينما اشرأبت سلسبيل بقامتها لتصل وجنة ابيها تقبلها وهي تقول محاولة ارضاءه " اسفة لاني اقلقتك يا آسري .. " ابتسم آسر ابتسامة صغيرة وهو يسبل اهدابه بينما عبست نادية وهي تقول " لااصدق انها جعلتك ترضى سريعا هكذا ؟! انها دوما تذهب للسباحة بمفردها وهذا جنون "!

رفع آسر نظراته نحو نادية ليبتسم بمشاكسة وهو يقول " انها وراثة حبيبتي .." كزّت نادية على اسنانها بينما مهدي يخفي ضحكه..

اما سلسبيل فاختارت ان تحتمي بابيها كطفلة صغيرة .. ربّت آسر على ذراع ابنته التي تلتف حول ذراعه وهمس لها " اذهبي ايتها المحتالة وغيري ملابسك "..

هزّت رأسها بأبتهاج وهرولت تصعد السلم وهي تغمز لمهدي ومتجنبة امها الغاضبة التي لاحقتها بالقول " كلامنا لم ينتهي ايتها الصغيرة .." ثم التفتت نحو زوجها لتقول بغضب " وانت ستدفع ثمن سخريتك مني "..

اشتعلت عينا آسر بالوعد بينما رفعت نادية ذقنها لتتسلق السلم مرة اخرى وهي تقول " اما انت يا مهدي فلا اصدق ولا للحظة ان ابنتي اتصلت بك لتطلب منك المجيء معها "..

احمر مهدي قليلا بينما انفجر آسر ضاحكا ... بعد ان خلا المكان الا من آسر ومهدي قال آسر بهدوء " وانا من رأي نادية .. فلا تعتقد انك تخدع عمك"..

ابتسم مهدي وهو يطرق برأسه ليقول " انت تعرف اني لااكذب عليك واني كنت معها فعلا .." هزّ آسر كتفيه وهو يقول بخفة " اعرف انك لاتكذب حول كونك كنت موجودا قربها ولكنها لم تطلب منك المجيء بل انها لم تكن تعرف بوجودك حتى واعتقد جازما انها تتصور انك تكذب من اجلها"..

رفع مهدي نظراته نحو عمه ليقول " هذا صحيح .. هي لاتعلم ولكني كنت اراقبها لاني اشعر بالقلق عليها .." بنظرات غامضة قال آسر " ومن اخبرك انها تسبح في هذا الوقت ؟" رد مهدي " هي اخبرت حوراء وحوراء من قلقها عليها اخبرتني بموعد ذهابها .. انها عنيدة ولم تستطع حوراء ثنيها عن السباحة في البحر .." شعور بالفخر والاعجاب مرّا على وجه آسر وهو يقول " اجل انها عنيدة وصلبة عندما تريد"..

ثم نظر لمهدي بعمق ليقول " انت ايضا عنيد بنيَ اليس كذلك ؟ عنيد وصبور كوالدك " ارتبك مهدي قليلا وهو يقول " ماذا تقصد عمي ؟" رد آسر بابتسامة لم يستطع مهدي تفسيرها " لااقصد شيئا محددا ولكنك تذكرني بوالدك كثيرا .." ودون ان يعطيه فرصة للرد التفت آسر وهو يقول " تعال معي للمكتب هناك بعض الاعمال اريد رأيك بها"..

استعاد مهدي رباطة جأشه التي فقدها بينما عقله يحلل سريعا تلك المقاصد الخفية المتوارية خلف كلمات عمه...

دخل شاهر غرفة نومه وافكار كثيرة تدور في خلده .. تفاجأ بوجودها لكنها لم تشعر بدخوله ! كانت تجلس على كرسيها امام منضدة الزينة تحدق بصورتها المنعكسة في المرآة بحاجبين معقودين .. تمرر اناملها بحرص مبالغ فيه تحت جفنيها وفوق حاجبيها .. اسفل ذقنها !

زمّ شاهر شفتيه بحنق قديم تراكم عبر السنوات الاخيرة .. انه يدرك ما يدور في عقلها فهذا اصبح شغلها الشاغل ... شبابها المغادر !

كظم غيظه ليقول بهدوء " مساء الخير "..

اجفلت نهى قليلا وهي تلتفت نحوه وتقول " مرحبا شاهر .. لم اشعر بدخولك "..

رد شاهر بنبرة باردة دون ان ينظر اليها " كنت منشغلة بافكارك كما يبدو .." لم تلاحظ بروده فقالت لتعكس ما قاله " شاهر ... اريد السفر لباريس لاجراء عملية جديدة لشد وجهي"..

تنهد شاهر بملل وهو يفتح خزانته ثم قال " مرة اخرى نهى ؟ "!

ردت وهي تقف على قدميها وتتجه نحوه " اجل مرة اخرى ... لماذا تقولها بهذه الطريقة ! النساء في النادي يفعلنها سنويا .. انا لم افعلها الا مرة واحدة فقط " ..

نظر نحوها وهو يقول بهدوء " بل فعلتها مرتين .." امتعضت نهى وهي تقول " حسنا مرتين .." فاضاف شاهر وهو يكتف ذراعيه " واخر مرة قبل سنتين فقط "..

امتعضت نهى اكثر وهي تقول بحنق شديد " وماذا في ذلك ؟! الا تحب ان ابقى شابة جميلة في نظرك ؟!! انظر الي كل من يراني يعتقد اني لم اتجاوز الاربعين بينما نادية تبدو وكأنها في اواخر الخمسين "..

اشمئزاز لم يكتمه صدمها ! ثم قال بضيق " لااعرف متى سننتهي من هذه الحوارات السخيفة التي لايجمعنا غيرها "..

قالت نهى وهي ما زالت مصدومة من تلك التعابير " حوارات سخيفة ؟!! ثم لماذا تقول لايجمعنا غيرها ؟؟!! ما بك شاهر ؟ تبدو مختلفا "!!

تجمدت ملامحه فجأة مما اثار مشاعر غريبة فيها فقالت وهي تعبس " لاافهم لماذا تتهمني بالسخف بينما غايتي ان اظهر امامك ب "....

قاطعها هادرا " اياكِ ان تقولي امامي .. انت تفعلين ذلك لاجل نفسك وصديقاتك التافهات ومجتمعك الضيق ... لست رجلا تافها لابحث في زوجتي عن جمال خارجي فقط او شباب دائم مزيف .. كنت دوما اهيم بك كما انت ولم اقصر في اثبات ذلك .. تقولين نادية تبدو في اواخر الخمسين تتكلمين وكأنها امرأة غادرتها الجاذبية ولكن هذا كذب وافتراء ... نادية تبدو في اوج انثوتها الداخلية .. ممتلئة بالرضا الذي يجعلها فاتنة .. مفعمة بالعطاء والعاطفة اللتين تجعلاها متفردة بين النساء"..

انفجاره اذهلها ! جملة قالها اخذت ترددها دون ان تشعر " كنت ... كنت تهيم بي ؟ "!

عاد الجمود لوجهه ثم التفت بهدوء نحو الخزانة ليقول وهو يخرج قميصا جديدا " الليلة لدي موعد عمل ساتأخر .." ثم نظر نحوها ليقول بسخرية " هذا اذا افتقدتِ وجودي اصلا "..

ثم تركها ليتحرك نحو السرير يضع عليه ملابسه ودون ان يهتم بوقفتها التائهة توجه نحو الحمام..

"نادية .." لم تستيقظ ولم يهتم ! لقد تأخر بالعودة الليلة ليجدها نائمة .. كان يشعل ضوءا خافتا ويسند جسده بشكل جانبي على مرفقه وهو ينظر اليها كيف تنام بعشوائية .. ابتسم وهو يراقبها باحساس بالاكتفاء .. بالامتلاء ..

رفع انامله ليبعد خصل الشعر عن وجهها ثم اخذ يمرر تلك الانامل على خطوط رفيعة ناعمة تحت جفنيها ..

همس " حتى هذه الخطوط ملكي ! انها تقويم امتلاكي لك .. احفظها خطا خطا .." انحنى ليطبع قبلة على تلك التجاعيد الناعمة وهو يهمس مرة اخرى " تاريخ طويل وايام مفعمة بالحياة قضيتها معك .. كم احسد ابني المجنون المحظوظ لانه عرف امرأته منذ الولادة بينما انا لم احظ بك الا بعمر السادسة والثلاثين "...

تحركت في نومها لتنام على جانبها ووجهها نحوه .. ابتسم وهو يقول برقة نادرة منه " كم بدت سلسبيل اليوم شبيهة بتلك المرأة التي فتنتني منذ النظرة الاولى .. " ضحك بخفة وهو يكمل " هل تذكرين تلك الصفعة عند البحر ؟ " !

تذمرت نادية بهمهمة معترضة فادرك انه ازعج نومها بما فيه الكفاية .. مد يده ليطفئ الانارة ثم عاد اليها يلفها بذراعيه ليغرق هو الآخر في نوم عميق..

ينفث سيجارته متراخيا على سريره والنوم يجافيه ... اي سخافة جعلته يقدم على تناول الغداء في بيت عمته نجلاء ليقضي ساعة كاملة تتحاشاه فيها (معذبته) وتتصرف وكأنه غير موجود ؟!! بل ما الذي دفعه لقطع سلسلته ورميها للشارع !! أأرضاءا لها ؟... ام كان يكافأها لانها رفضت العريس ؟!!

اطفأ عقب السيجارة المنتهية ليشعل واحدة اخرى .. لقد اصبحت حوراء تشوش على ذهنه اكثر من اللازم ... يجب ان يوقف ما يحدث له وما يفلت منه .. لايعرف كيف خرج اليوم من الشركة تاركا خلفه تلولا من الاعمال من اجل ان يراها فقط وكأنه يحتفل بأنها لن تكون لرجل آخر !

رجل آخر ... تشنجت عضلات جسده وضغط على فكيه بقسوة ليطفأ السيجارة وهي في بداية احتراقها ثم تحرك ليغادر سريره وروحه تنتفض مزمجرة...

توجه نحو شرفته ليفتح بابها فيستقبله الهواء الدافئ ... خرج حافي القدمين عاري الصدر يستنشق الهواء علّه يجد فيه متنفسا...

شرفته تطل على حوض السباحة .. جذبته المياه اكثر ووجد نفسه يقرر فورا ...

بعد خمس دقائق كان يسبح في الظلمة وهو يتلمس بعض الصفاء من هذا التشويش الذي يحيط بعقله ...

حدّث نفسه وهو يسترخي على ظهره في الماء " ما تفعله غباء يا ظافر ... انت تعلم انك لن تكون سعيدا اذا استسلمت لها .. لايمكن ان تعيش بتلك القيود التي تفتنك ... اجل ... لايمكن .. انت ولدت لتكون حرا .. ولدت لتختار الاشياء ولا تتملكك " ..

انقلب على بطنه واخذ يسبح بقوة ذهابا وايابا لثلاثين مرة حتى قرر انه اكتفى ليخرج جسده من حوض السباحة ويتقدم نحو الكرسي الطويل حيث يلقي منشفته .. التقطها واخذ يجفف نفسه ويقول بحزم " انتهى ... اتخذ قرارك .. عليك ان تتعامل

معها كابنة عمتك فقط ... اعتقها من هجومك
ا لمستمر عليها علّها تعتقك نهائيا من تأثيرها عليك
"...

وضع المنشفة حول رقبته وهو يهمس " افضل شيء
ان تمتنع عن رؤيتها وتعرف نساء اخريات .. الكثير
من النساء .. وبمرور الوقت ستنساها مسامات
جلدك التي تسربت خلالها فأدمنتها ... حتى الادمان
يمكن معالجته ..." ... بثقة وعزم حديدي تحرك
بهدوء ليعود لغرفته وهو متأكد انه سيحظى بالنوم
العميق...

"ظافر ... ظافر ... استيقظ " تململ ظافر في نومه
وهو مستلق على بطنه بينما صوت اخته سلسبيل
يضايقه .. قال بتذمر " سلسبيل ما بك ... كم الساعة
الان"..

قالت بحنق " انها السابعة ولكن هذا ليس مهما ...
استيقظ .." رفع راسه قليلا وهو يقول بعينين
يغشاهما النعاس " بالله عليك ما زال الوقت مبكرا
اتركيني لانام"...

ردت سلسبيل بعصبية " استيقظ الا تفهم ؟!! هناك
امر مهم يخص حوراء"...

كل حواسه تنبهت رفع راسه بقوة وهو يقول " ما بها
حوراء ؟!" ردت سلسبيل والشحوب يكسو وجهها "
عمتي نجلاء اتصلت بابي قبل قليل ... حوراء مصابة
بحمى شديدة منذ ليلة الامس والطبيب يعتقد انها
مصابة بالتيفوئيد"!

الفصل الثالث

كم مضى على ذلك الصباح ؟ هل حقا ما يقارب الاسبوعين ؟!! اطلق ظافر انفاسا من الدخان الابيض وهو يقف في حديقة بيت عمته نجلاء تحت شباك غرفة نوم حوراء بالضبط...

هذه اقرب ما استطاع الوصول اليه .. لم يرها بينما يعلم انها تعاني اعراض المرض خلف ذلك الباب الذي يعزلها عنه ... باب واحد يجد لديه القدرة ليقاوم تحطيمه رغم كل ما يهيج في صدره ... هي تعاني الألم وهو يعاني بصمت معاناتها!

اطلق نفسا دخانيا آخر وهو يتذكر بشكل ضبابي حضوره الى هنا في ذلك الصباح الذي اوقظته فيه سلسبيل لتخبره عن مرض حوراء ... لم ينتظر ولم يقل كلمة حتى وهو يهب من سريره ليرتدي ملابسه بعشوائية ثم وبنفس الصمت الهادر المريع غادر وهو لايفقه كلمات سلسبيل اليه .. قاد سيارته بجنون حتى وصل ..

اغمض عينيه وهو يرمي عقب السيجارة ليكمل شريط خيالاته عن ذلك الصباح ... فقد كان وصل اليها ولم يصل ايضا ! فرحلته الجنونية استفاق منها وهو يلتقي عمه بلال عند الدرج ! لايزال يذكر نظراته ووقفته التي بدت كجبل شامخ يقف في وجه الطوفان فيردعه ...

للحظات وقف هناك والخادم الذي فتح له الباب يتململ حوله لايعرف ما يجب ان يفعل ! اما هو فأخذ يستعيد اتزانا فقده في بضع لحظات بينما سلسبيل تنطق بتلك الكلمات ...عنها..

وكيف لايفقد اتزانه ؟!! انها حوراء ... حورااااااء ... حتى والدها بلال بكل ثباته المميز بدى شاحب الوجه مرهق الملامح .. تلك الملامح التي نطقت بالقلق ... هذا القلق الذي حطم شيء ما في داخل ظافر ... لايحتمل ان تكون حوراء في خطر .. لايستطيع ... هذا فوق طاقته...

قال له العم بلال بهدوء يحسده عليه " مرحبا ظافر شكرا لحضورك بني لقد وصلت لتوي انا الآخر فقد ركبت اول طائرة ما ان سمعت بمرض حوراء"...

لملم ظافر حروف كلمتين ليكون جملة واحدة متماسكة " كيف هي ؟ "

قال له العم بلال بهدوء مستكين " الحمد لله على كل حال.. الطبيب يقول ان الحالة تعتبر بسيطة الى حد ما ولذلك لم يمانع بقاءها في البيت مع اتخاذ التدابير اللازمة للعناية بها واعطائها العلاج "...

وهكذا كان ... تدابير لايشارك فيها الا بدور المتفرج من بعيد ... يحضر يوميا ويسأل باقتضاب عنها ليجد اجابات متفاوتة بين قلق وتطمين ودعاء ... الايام الثلاثة الاولى كان يقضي لياليها الطويلة خارج بيته يحوم حول بيت عمته ولايعرف لماذا ! فقط يريد ان يكون قريبا ...

اليوم السابع تنفس الصعداء في سره بينما ماهر
يهرّج مع التوأمين في فرح محتفلين بزوال الحمى
اخيرا عنها ....

اما هو فطاطأ رأسه وهو يشعر بيد مهدي الداعمة على كتفه ثم غادرهم وهو يلملم شتات روحه التي بعثرتها مولاته...

لم يعد يحتمل نظرات الجميع اليه ... نظرات عمه بلال المتوجسة لاي بادرة منه او محاولة لرؤيتها .. لم يعد يحتمل نظرات امه المراقبة في تدقيق ذكي متعاطف ونظرات والده المتحينة للحظة ضعف منه حتى يسنده..

لم يطلب رؤيتها رغم انه يموت فعليا لحرمانه هذا الحق .. لم يستطع ان يفعل هذا الامر وهو يعرف جيدا انه قد يقابل بالرفض كما لم يستطع ان يفعلها بنفسه دون اذن لا لشيء الا لانه يخشى عليها من نفسه !

لايعرف كيف سيتصرف اذا رآها .. يتخيلها ضعيفة محمومة متألمة فيشق صدره الألم ويشعر بعجز يقتله...

"ظافر "...

التفت ظافر لمصدر هذا الصوت الفتيّ فابتسم بوجه محمود المفعم بالحيوية والذكاء بينما يقف خلفه في هدوء متأصل توأمه محمد .. هذا ال (محمد) شبيه والده في هدوئه وشبيه اخته بعينيها ... وخلف هذا الهدوء يكمن ذكاء مختلف ... خلطة من نوع خاص ... رغم انه يبدو في هيئته النحيلة اصغر من محمود الا انه العنصر الاكثر رزانة ونضجا في علاقتهما الخاصة كتوأم...

قال ظافر " مرحبا .. كيف حالكما ؟ "

هزّ محمود كتفيه وهو يقول " نحن بخير ... ما دامت العطلة الصيفية ابتدأت فنحن مؤكد بألف خير .." ضحك ظافر بخفة وهو يفرك رأس محمود بيده ثم قال مناكفا اياه " ايها الولد المشاغب .. " حرّك محمود حاجبيه بمشاكسة مرحة بينما محمد يضحك..

اقترب محمود من ظافر وفي عينيه نظرات تآمرية قائلا " ساسجل بدورة للملاكمة .. امي وعدتني باقناع ابي " ..

وقبل ان يرد ظافر سبقه محمد قائلا ببساطة " ابي لن يوافق فهو يعتبرها رياضة مؤذية للجسد دون فائدة وهذا حرام ..." عبس محمود وهو يولي اهتمامه لاخيه قائلا بحنق " لم يقل حرام قال لايجوز "...

لكن محمد اصر قائلا " انه نفس المعنى ..." اشتد حنق محمود وهو يقول كازّا على اسنانه " انها رياضة ... ريااااااااااضة .. تقوي الجسد وبنفس الوقت متعة واثارة........ "...

واستمر التوأمان يتجادلان بينما ظافر وجد في جدالهما هذا ملجأ لعقله من التركيز معهما ليعود لغايته التي يتحرق لتحقيقها ... رؤيتها ....!

سحق فكيه على بعضهما وهو يفكر " خصوصا ان (غيري) زارها دون حرج او تمنع من والدها"..

عيناه عادتا تتابعان الصبيين .... فجأة خطر له ... ماذا لو ؟!! ابتلع ريقه وهو يشعر بامواج عالية تغرقه ! وبينما روحه تضيع مع الامواج تدافعت الافكار لرأسه ... نظر لوجه محمود بالذات وهو يدرس الاحتمالات ...

همس في سره " استعن بجوهرك الجامح ظافر واقدم على فعل ما تريده نفسك بتعطش ... استغل كل ثغرة بذكاء "...

نظر لساعته وهو يفكر بعمه بلال الذي سيصل البيت بعد ساعتين كما ابلغته عمته نجلاء قبل قليل ... كان الجدال يحتدم بين التوأمين عندما تنحنح ظافر قائلا " مهلا مهلا ... تبدوان كديكين يتقاتلان بمنقاريهما "!

عبس الصبيان وهما يتطلعان لظافر فابتسم لهما وهو يضيف " ما رأيكما بأخذ رأي محايد بالموضوع ؟؟ "

صمت قليلا يدرس تعابيرهما المهتمة ليكمل بتمهل " ما رأيكما بأخذ رأي حوراء مثلا؟ انها بارعة في تقييم الامور بمنطقية وبامكانها اعطاء رأي الدين في هذا الموضوع ايضا"..

كما توقع محمود هو اول من تحمس للفكرة قائلا بانفعال " هذا رائع ... رائع جدا .." فقال ظافر بابتسامة متأنية " طبعا يجب ان يشرح لها احدهم ما هي الملاكمة بالضبط لتحسن التقييم "...

زادت حماسة محمود وهو يسحب ظافر من ذراعه " لااحد افضل منك ليشرح لها عن الملاكمة ... تعال .. هيا بنا الان ظافر لتحدثها بنفسك "

اسبل ظافر اهدابه دون ان يفته تململ محمد خلف اخيه و كأنه غير راضٍ عن الاقتراح ليقول محمد اخيرا " لاجده اقتراحا جيدا .. فحوراء ما زالت مرهقة ولاتغادر غرفتها .. امي قالت يجب ان لانزعجها حتى تستعيد قواها الخائرة"..

التزم ظافر الصمت وهو يتمسك بواجهة اللامبالاة بينما في داخله يستعر حريق الاشتياق واللهفة ... وكلمات محمد عن (قواها الخائرة تذبحه (!!

سخر من نفسه قائلا في سره " هل اصبحت تتمسك بواجهة السيطرة هذه يا ظافر ؟!! هل فقدتها في اعماقك ولم تعد تملك الا قناعا تضحك به على طفلين في طور المراهقة ؟ "!

استعاد ظافر نفسه وهو يكمل ما بدأه ليقول لمحمود متجاهلا محمد " علينا ان لانتعبها اليس كذلك ؟ لااريد اثارة ضجة ومناقشات عقيمة بينكما "..

هزّ محمود رأسه موافقا باثارة بينما عدم الاقتناع ما زال يزين ملامح محمد...

قلبه يختض بين اضلعه وهو ينتظر خلف باب غرفتها بينما التوأمان سبقاه الدخول ليجعلاها ترتدي الحجاب وتستعد لاستقباله لكنه تمكن من اقناعهما بأن لايخبراها بقدومه وجعلها مفاجأة لها وهو في حقيقة الامر كان يخشى ان ترفض رؤيته!

كان يسمع صوتها الضعيف وهي تعترض على امر ما بينما صوت الغلامين كان واضحا وهما يقنعاها بارتداء حجابها لاخذ صورة لها...

تنهد اخيرا عندما سمع خطوات تتحرك بنشاط نحو الباب ... لحظات واطل وجه محمود المرح وهو يغمز له بصمت...

ابتسم ظافر وشعور مثير يغمره بالحرارة ... هذه المرة الاولى التي يدخل فيها غرفة نومها كما انها المرة الاولى التي تغيب عن ناظريه هذه الفترة الطويلة نسبيا...

كانت حوراء تعبس وهي تنادي محمود بنزق " محمود ! ماذا تفعل عند الباب؟؟!! تعال وخذ لي الصورة لاخلع الحجاب ... اشعر بالضيق"..

اطلت قامته السوداء متخفيا بواجهة السيطرة والابتسامة التي يغلب عليها السخرية بينما يقول بصوت مبحوح " مرحبا ابنة عمتي ..." همست حوراء بذهول وهي تستعدل في جلوسها على السرير " ظافر ! ماذا تفعل هنا ؟ "!

سارع محمود ليقول " انها مفاجأة رائعة ... اليس كذلك ؟ "

بدى عدم الرضا على حوراء وهي تنظر بعتب للغلامين فتراجع محمد عابسا بينما تمسك محمود بابتسامة واثقة وهو يضيف " اردنا ان تري ظافر اولا ليطمأن عليك وثانيا ليتحدث معك في موضوع يخصنا انا ومحمد "..

عقد محمد حاجبيه ليقول بحنق " الموضوع يخصك وحدك انت ..فأنت من اثاره " رد محمود بحنق

مماثل " بل يخصنا نحن الاثنين ألم تبدأ انت المناقشة ؟؟ "

نظر ظافر نحو حوراء فابتعدت بنظراتها عنه وقد بان الحنق على وجهها المرهق بينما المعركة محتدمة بين التوأمين .. تدخل منهيا الجدال بصوت هادئ " توقفا الان وتصرفا كرجلين وليس كطفلين سخيفين "!

ران الصمت عليهما ثم اعتذرا بهمهمة خافتة ... تحرك ظافر نحو سرير حوراء وهو يلاحظ توترها كلما اقترب ... ابتسم وهو يسحب كرسيا في طريقه ثم وضعه قريبا منها على بعد خطوة واحدة وجلس عليه بوضع مقلوب وعيناه تتأملان هيئتها بمشاعر فياضة .. ادرك من تجاهلها النظر اليه انها غاضبة منه اكثر من غضبها من الغلامين فتسلسل شعور بغيض بمقته انها تدفعه بعيدا عنها..

تصلب هو الآخر ووجد نفسه يتحدث ببرود نابع من غضبه العميق " الموضوع في الحقيقة ليس زيارتك فحسب كما فعل مهدي وماهر البارحة ولكن لان محمود يريد ممارسة الملاكمة ويبدو ان محمد له رأي في الامر نابع من رأي العم بلال حول مدى جواز ممارسة هذه الرياضة شرعا "..

تمكن منها .. تمكن من جذب اهتمامها وبنفس الوقت احراجها بموضوع زيارة مهدي وماهر وبهذا ليس لديها حجة لرفض زيارته ...

شعور بفرح وحشي سيطر على حواسه كلها وهي تستدير نحوه لتنظر اليه بجدية وتلك العينين الآسرتين المتعبتين تحدقان في وجهه بثقة بينما تقول " ذلك يعتمد برأيي! هل يمارسها لتقوية جسده وتعلم

حماية نفسه اما يتعلمها ليمارسها بشغف مجنون يسعى للمشاركة في مباريات حقيقية " ...

كم هو امر صعب التركيز في شيء وعقلك غارق في شيء آخر تماما ! فها هو اخيرا في محراب مولاته تستلقي على سريرها بضعف بينما تمتلك القوة لتناقشه ... سمعها تقول بجدية وعيناها تبرقان بالسحر " اخبرني اولا عن مدى الاصابات التي تحدث في الجسم خلال التدريب وخلال المباراة نفسها"...

ما ان غادر ظافر غرفتها مع التوأمين بعد ان غرقت فجأة في نوم عميق حتى رن هاتفه ففتحه ليقول " مرحبا ابي "..

جاء صوت والده يحمل في طياته بعض الحنق قائلا " انت في بيت عمتك مرة اخرى اليس كذلك ؟؟" تحرك ظافر لينزل الدرج وهو يرد ببساطة " نعم "..

قال آسر " لقد حذرتك من استمرار ذهابك ... قلت لك لاتستثر غضب بلال "..

خرج ظافر للحديقة وهو يقول بنزق " ارجوك ابي لاتعِد كلمات امي لي هذا الصباح "..

رد آسر " امك معها حق ! لاتختبر صبره يا ظافر فبلال قد يبدو هادئا مسالما لكنه ليس ضعيفا ابدا وعند الضرورة سيتصرف بشكل لن يعجبك "...

قال ظافر بلا مبالاة " لايهمني كيف سيتصرف معي ... ثم ان عمتي نجلاء موجودة في البيت وهي من طلب مني مشاركتهم الغداء بل انها منذ ساعات في المطبخ لتعد طعاما خاصا من اجلي .." صمت آسر قليلا ثم قال ساخرا بمعانٍ مبطنة " حقا ؟! منذ ساعات ؟؟ وانت اين كنت ؟ تساعدها في تقشير

البطاطا ! ام لاتقل لي انك تركت عملك لتلاعب التوأمين ؟"

ابتسم ظافر وهو يتذكر اي نوع من اللعب لعبه مع التوأمين .. لعب يستحق ان يترك العالم لاجله...

صورتها وهي تغفو كملاك على سريرها سترافقه الليلة في احلامه دون شك!

ناداه آسر بغضب " اين سرحت وتركتني يا ابن الغازي ؟! " ضحك ظافر رغما عنه بينما قال والده متنهدا " ظافر ... اترك غداء عمتك نجلاء وغادر بيتها فورا ... لااعلم ما الذي فعلته اليوم ولكني استشعر تلك السعادة التي تسكرك وهذا غير مطمئن لي ! فأنا استطيع تصور مدى تهورك عندما يتعلق الامر بحوراء"...

قال ظافر بهدوء " ابي ... لماذا اتصلت ؟" رد آسر بعملية " هناك بعض المشاكل في مواقع العمل في مدينة(......) عليك السفر خلال ساعتين لااكثر وانت تعرف ان الطريق يحتاج لثلاث ساعات بالسيارة وعندما تصل هناك عليك التعامل سريعا مع الوضع وايجاد الحلول ..." ردد ظافر " لامشكلة سانطلق الان .." قال آسر " لا ... عليك الذهاب للبيت واخذ ما تحتاجه لبقائك لاسبوعين على الاقل ... " تشنج فك ظافر وهو يقول " اسبوعين على الاقل ؟!! لكن .. ماذا عن عملي في الشركة ؟ تعلم ان الاتصالات رديئة هناك "

ضحك آسر بغموض وهو يقول " حقا ؟! عملك في الشركة ؟؟ لاتقلق ... سنتمكن من السيطرة على

الوضع انا ومساعدتك الشخصية دون الحاجة للاتصال بك"...

صمت ظافر بينما اضاف والده بهدوء " اعلم انك لاتريد الابتعاد الان لكن ... المسألة هامة بنيّ ولاتحتمل التأخير ..." قال ظافر بنفس هدوء والده " ساعتذر من عمتي واذهب للبيت حالا لاعد ما احتاجه ... اراك بخير ابي...... "..

غمز ماهر لموظفة الاستقبال وهو يضع الخوذة التي يرتديها عادة عند قيادة دراجته النارية على المنضدة امامها ... ابتسم بمكر مستمتعا بخديها المحمرين وهو يقول " مرحبا يا جميلة ... هل ابي موجود ؟؟" ردت الفتاة بتلعثم وانفاسها المتسارعة تفضح تأثرها " اجل .. انه .. فوق ..اعني .. في مكتبه"..

اتسعت ابتسامته وهو يبتعد ويقول " شكرا لك ... " ثم فجأة عاد اليها لينحني نحوها وهو يرتكز على منضدتها قائلا بهمس " لايجب ان تبدي جميلة هكذا والا فكر احدهم بالتهامك"...

ضحكت بفرح بينما وجهها يتخضب بحمرة قانية...

تركها مستمتعا ثم تحرك نحو المصاعد الكهربائية وما هي الا دقائق حتى وصل مكتب ابيه الضخم بكل طاقم السكرتارية والمساعدين بينما عيناه حادتا نحو المكتب الجانبي الانيق والذي يخص المساعدة الرئيسية لوالده وذراعه الايمن ... السيدة ريمة .. غامت عيناه بالغموض وهو يجد كرسيها فارغا!..

مراقبة ذلك الشيب الذي يتخلل خصل شعره الكستنائي متعة اخرى ... كم هو ساحر ! السحر ينبعث منه بسخاء يفوق الوصف..

رفع شاهر رأسه لمساعدته التي تقف بجانبه تنتظر ان يكمل توقيع للاوراق فقال بهدوء " هل هناك شيء آخر ؟ "!

ابتلعت ريمة ريقها وهي تنظر لعينيه عبر النظارة الطبية الانيقة التي يرتديها فوجدت نفسها تقول بتهور اصبح ملازم لها " اين سنتغدى اليوم ؟؟"

اوشك ان يرد شاهر والابتسامة تعلو ثغره عندما فتح باب مكتبه ليطل ابنه ماهر وهو يقول ببشاشة " مرحبا ... لقد جئت "...

تحركت ريمة مبتعدة بطريقة مدروسة بينما ترسم ابتسامة لطيفة تخفي فيها قلقها من هذا الشاب ... قلق لاتعرف تحديده او اسبابه ولكنه يشعرها انه يصل لدخيلة نفسها بطريقة تذهلها!!

راقبت تحرك والده في كرسيه وهو يقول بابتسامة هادئة لاتعبر عن شيء " حقا جئت ؟! وماذا يفترض بهذا ان يعني ؟! طلب للمال كالعادة ام ستفاجأني بطلب للعمل"..

انسحبت ريمة بهدوء بينما تلاحقها نظرات هذا الشاب الوسيم وآخر ما سمعته منه وهو يرد على تهكم والده " اذن فهي المفاجأة"!

عندما دخل ظافر البيت كانت امه بانتظاره لتواجهه قائلة بحنق " متى ستتعلم ان تنصت لي يا ظافر .." اقترب ظافر منها مبتسما ومال ليقبل خدها لكنها ابعدت نفسها عنه بحنق اكبر وهي تقول " لاتقبلني ..." فما كان من ظافر الا ان امسكها عنوة ليطبع

عدة قبلات على خدها وجبينها وهي تهتف به ان يتوقف وتقاوم قوته الجسدية ضاحكة رغما عنها..

القى ظافر جبينه على كتف امه وهو يهمس " ارجوك امي لاتكلميني بشيء الان ... ذهني مشتت واحتاج لاستجماع افكاري حتى اركز في العمل الذي ساسافر اليه "...

احتضنته نادية وهي تتنهد قائلة " اخبرني والدك عن سفرك وقمت بتحضير حقيبتك .. " لم يتحرك من وقفته فاضافت نادية بحنان وهي تمسد اسفل شعره من الخلف " ظافر .. توقف عن اختلاق المعارك مع نفسك .. الاستسلام احيانا مربح اكثر من استمرار القتال .." ايضا لم يرد بينما شعرت بانفاسه تتسارع فأكملت " فقط لو تدرك اني اكتشفت هذا بالطريق الصعب واتمنى لو تنصت الي وتتخذ قرارا حاسما .. حوراء "...

ما ان نطقت اسمها حتى انتفض جسده بين ذراعيها لبتعد عنها بردة فعل قوية ... تفاجأت بتصرفه العنيف واربكها هدوءه الظاهري وهو يسبل اهدابه ويقول " يجب ان انطلق الان ... شكرا امي لاعدادك حقيبة لي ..." وغادرها ليصعد السلم بنشاط مبالغ فيه بينما امه تتمتم بغيظ " غبي ... عنيد غبي مثل ... امك"!

شعرت نجلاء بارتباك شديد وهي تواجه غضب بلال النادر ... بل النادر جدا ... قال وهو يواجهها مع التوأمين " كيف يدخل ظافر لغرفة حوراء وبأي صفة ؟!" نظر محمد لاخيه نظرة غضب وكأنه يقول " ألم

اقل لك ؟!!" فاوشك محمود ان يقول شيئا لابيه عندما قرصته امه من ظهره مانعة اياه لتسبقه بالكلام قائلة بابتسامة بشوشة " الغلامان احبا ان يفرّجا عن حوراء قليلا ... انها لم تغادر غرفتها منذ اسبوعين وظافر كان موجودا بناءا على دعوتي له للغداء وهما تصرفا بعفوية لكنهما كانا ذكيين وجعلاها تستعد بلبس حجابها قبل دخوله"..

هدر صوت بلال قائلا " ذكيين ؟!! لا ... لقد كانا احمقين ! وحوراء لم تكن بحاجة لدخول ظافر مخدعها الخاص حتى تتحسن نفسيتها"...

"مرحبا !" التفت الجميع ليواجه قامة رشيقة لسلسبيل وهي تحمل اغراضها الجامعية وتقول ببعض الارتباك " هل حصل شيء ؟؟ "

التزم بلال الصمت بينما دفعت نجلاء ولديها قائلة " اذهبا عزيزيّ وتحضرا لتناول الغداء فابنة خالكما هي من ستشاركنا الغداء اليوم "...

ابتسمت سلسبيل بحبور وهي تقول غامزة للغلامين " اليوم انهيت امتحا ناتي وسنلهو معا احتفالا .." هزّ التوأمان رأسيهما بفرح صامت خشية ان يثيرا غضب والدهما مرة اخرى بينما قالت سلسبيل لعمها بلال ببشاشة وهي تتجاهل الشحنات المنتشرة في الجو " عمي لدي طلب منك اتوسل اليك لاترفضه ..." قال بلال مستجيبا لبشاشتها وهو يحرك انامله بمسبحته " قولي يا صغيرة"..

اتسعت ابتسامة كل من سلسبيل ونجلاء لتقول سلسبيل وهي تقترب منه مستعطفة " هل تسمح لحوراء بالقدوم عندنا في البيت كفترة نقاهة ؟ حتى

تغير جو المرض ايضا .." اوشك بلال ان يرفض عندما سارعت نجلاء لتقول " فكرة رائعة ... خصوصا ان البيت سيفرغ لكما فقط بعد سفر ظافر"...

التقطت سلسبيل الاشارة لتكمل كلام عمتها " اجل ... بصراحة عمي كنت اكلم ابي الان وهو اخبرني ان ظافر سيغيب لاكثر من اسبوعين وبهذا سأبقى بمفردي في البيت ... ارجوك عمي اسمح لحوراء بالقدوم معي "...

ابتسامة صغيرة لاحت على فمه وهو ينقل نظراته بينهما ثم قال بلطف لسلسبيل " حسنا يا صغيرة .. لك هذا اذا وافقت حوراء "..

هلّلت سلسبيل لتقول وهي تصعد الدرج " ساذهب لاقناعها الان ..." وبينما سلسبيل تسابق خطواتها على السلالم كانت نجلاء قد استدارت نحو المطبخ وهي تنسحب ببطئ حتى لايستفرض بها زوجها ويعاود تقريعها على ما حصل مع ظافر ... لكن ذراع التفت حول خصرها ليسحبها بلال مقربا اياها جدا منه حتى اختلطت انفاسهما وقال بتحذير ناعم " آخر مرة صغيرتي يحصل هذا ... حوراء خط احمر ... لاتتهاوني بالامر مرة اخرى ... هناك فرق بين مهدي وماهر وبين ظافر خصوصا اني كنت موجودا خلال زيارتهما لها بالامس "...

بخفة طبعت قبلة على خده وافلتت منه مسرعة الخطوات نحو المطبخ بينما هو يضحك منها في سره دون ان يتجاهل الاجراس التي عادت لتقرع بقوة معلنة عن اخطار قادمة نحو ابنته ... اخطار قد يكون وجد لها حلا!

الطريق طويل ممتد امامه وخيالاته عنها وهي نائمة تدغدغ مشاعره تثيرها برقة غريبة لايألفها في نفسه ... ذلك الوجه الذي يعشقه مستكين بارهاق يتمنى لو كان هو سببه بدلا من مرض لعين ألمّ بها !

تنهد مبتسما وهو يطاوع افكاره ...هل هو مجنون ليتمنى ان يتسبب لها بارهاق ؟!! لا ... ليس مجنونا .. انه يريد ان يرهقها كما ترهقهه ... يود لو يؤرق لياليها ويغزو احلامها بعاطفة توقظها بانفاس متسارعة كما يحصل معه ...

عادت صورتها وهي مستلقية على السرير تداهمه وتعذبه ككل شيء فيها ... كل شيء فيها معذِب ! ... كان يجلس قبالتها هناك وهو يمسك بظهر الكرسي الخشبي ويشعر بتشنج كل عضلة وعظمة في جسده

... للحظة .... للحظة فقط افلتت مشاعره وهي تلهث خلف خيال جامح يجمعه مع حوراء...

ارتجفت يداه فامسك المقود وضغط بقدمه لاشعوريا على عتلة السرعة ... انه ليس غبيا ليتصور احساسه ينحصر بانجذاب جسدي بحت ... الانجذاب نحوها هكذا تمثيل لعاطفة تختنق بسجنها الذي احكمه حولها ... سخر من نفسه قائلا " اين الوعود يا ظافر ؟! ألم تقرر قبل ليلة واحدة من مرضها انك ستعاملها كابنة عمتك فقط ؟! هل هالك ان تراها مريضة هكذا فتتحطم وعودك على صخرة هيامك الجارف بها ... صخرة ثابتة لاتتزحزح تثقل كاهلك وتأبى الانصياع لاوامرك بينما تنصاع ذليلة لاوامرها هي ... رضا غريب يلف ذلّه هذا ! لكن لا ... لايجب ان

يستسلم ... عليه ان يجد مخرجا لكل ما يفلت منه ...

رنّ هاتفه .. نظر للشاشة الصغيرة فابتسم بعبث وهو يهمس " تختارين اغرب وانسب والاوقات !!" فتح الخط ليداعبه صوت مغرٍ قائلا " مرحبا حبيبي ... هل اشتقت الي ؟؟"

ابتسامة غريبة واحساس اغرب ملأه وهو يرد بصوت اجش " مرحبا سالي ... دوما ... بشوق اليك"!

"مهدي ..." التفت مهدي نحو امه فابتسم لها وهو يعود ادراجه نحوها " مساء الخير امي .." طبع قبلة على جبينها وهو يقول " الم تغيري رأيك بحضور المأدبة التي يقيمها عمي آسر لحوراء ؟؟"

ردت نهى بشرود " هل والدك .. ذهب ؟" صمت مهدي قليلا ثم قال وهو يشدد من ذراعه حولها " اجل .. لقد سبقني هناك وماهر ذهب منذ العصر ..." طبع قبلة اخرى على صدغها وهو يقول بحنان " تعالي معي .. سانتظرك تغيرين ثيابك مهما طال الامر فقط تعالي وشاركينا الجلسة .." ارتعشت شفتا نهى ونظرت لابنها البكر بضعف وهي تقول " لكن .. يجب ان .. افعل شيئا لبشرتي .. اقصد هناك بعض الامور التي تتعلق بزينة الوجه"...

اخفى مهدي نظرة الاشفاق التي تنبعت من اعماقه وهو ينظر لوجه امه الجميل ثم قال بمرح " ما دمتِ غيرتِ رأيك فسانتظرك حتى ولو لساعات يا حسناء ".. ابتسمت له بامتنان بينما تتحرك مبتعدة عنه ويدها تلامس وجهها بارتعاش...

ضاقت انفاسه بحديث زوجته السخيف كالعادة بينما يلاحظ تلك النظرة من نادية اليها وكأنها .. وكأنها تشفق عليها ! اجل ... نهى اصبحت تثير الشفقة ! شفقة الجميع وشفقته هو شخصيا رغم كل الغضب الذي يعتمل في نفسه نحوها ... ورغم الشفقة ورغم الغضب تظل تلك الشعلة الخافتة مضيئة بخجل في اعماقه ... لقد عشقها بكل جوارحه وقدم لها كل شيء وهو يعترف انها كانت رائعة في سنوات زواجهما الاولى ... لكن في السنوات العشر الاخيرة بدأ التغيير ... غيرتها من نجاح نادية في العمل جعلتها تتجه للاعمال الخيرية بدايةً ورغم انه عرض عليها العمل معه في الشركة لكنها لم تحبذ ذلك ووجدت نفسها في امور اكثر بساطة واقل التزاما

خصوصا مع رعايتها للولدين وهما في سن المراهقة ...

التباعد بدأ فعليا عندما بدأت تهتم باعمال في ظاهرها انها خيرية لكن في حقيقتها استعراض سخيف لمن يقدم عروضا اعلى تعكس قيمته الاجتماعية والاقتصادية ... حاول تنبيهها اكثر من مرة لكنها لم تستمع حتى انه حاول منعها بطرق غير مباشرة واخذها في عدة رحلات لتجديد علاقتهما علّه يستعيد نهى التي احبها واحب رجاحة عقلها وذكاءها لكن ما ان يعودا حتى تعود لمجتمعها المخملي بقوة وكأنها مدمنة تعود بشغف اكبر لادمانها..

كبر الولدان واصبحت لهما حياتهما الخاصة بينما نهى تزداد ابتعادا وانغماسا في انواع جديدة من الادمان

... فحب الظهور لديها ظهر بقوة في سني عمرها الاربعينية لتركز على استعادة شبابها بأي طريقة وليتها تفعل ذلك لاجله او حتى لاجلها هي وانما لاجل طبقة تافهة فارغة من نساء ادخلن في عقلها هذا الهوس المرضي بهيئتها لتصل لمستواهن....!!

رفع شاهر ذقنه قليلا وهو ينظر اليها بتدقيق...

جميلة دوما بل اكثر من جميلة .. طعم العسل فيك تضج به ذاكرتي .. تلك الذاكرة التي تتباعد صورها عنك ولم يبقَ الا مذاق قديم لذلك العسل الذي امتلكته يوما وضيعته انت مني ومنك!

بماذا اخطأت معك يا قارورتي ؟! وهل اخطأت فعلا ام انك تهتِ مني وانا ما زلت اقاوم لاجدك في تلك المتاهة التي ادخلتنا بها نحن الاثنين ؟!!

التفتت اليه تعلقت عيناهما ببعض وللحظة ارتعشت فخفق قلبه رغما عنه بينما عينان زرقاوتان كالاحجار النادرة تتوارى بتأثيرها عليه الى مكان ما يجهل اهميته في نفسه!

راقب آسر باستمتاع تلك اللعبة التي يلعبها ابن اخيه وهو يحوم حول ابنته دون ان يثير انتباهها وربما يثيره وتلك المحتالة تجيد اخفاء تأثرها حتى عنه هو شخصيا آسر الغازي!

سلسبيل تلك الحلوى الصعبة التوقع السهلة المعاشرة خفيفة الظل قوية الشكيمة .. محتالة جبارة غامضة في براءة ! امتلأت اوداجه فخرا وهو يقيم ابنته التي تستخدم قناعها الغامض ببراعة تفوق براعته هو شخصيا بينما روح امها المتوثبة تطفح من تلك العينين ...

عاد لينظر لمهدي ... الفتى الذي احتل مكانة ابيه في وسامته وجاذبيته ... لديه قوة ليروض ابنته حتى تكون طوع بنانه لكنه ببساطة لايفعل!

يثير غيظه انه اخذ طباع ابيه ايضا ليحيط ابنة عمه بهالة من الخطوط الحمراء لينتظر نضوجها...

لايعرف ان فتاة كسلسبيل قد تُخطف منه في لحظة غفلة .. واذا خطف احدهم مشاعرها فلن يستطيع مهدي استرجاعها .. فسلسبيل ليست نهى المتعجرفة المغرورة منذ الصغر ... سلسبيل عندما تحب ... تحب ... هكذا فقط ولا يوجد المزيد لقوله...

تطلعت حولها في وهن تستفقده ... تستفقد تلك النظرات الخفية التي تزحف اليها فيقشعر بدنها..

انه الاغواء الذي ابتليت به مُذ تعرفت مشاعرها كأنثى ... منذ ان ادركت معنى نظرة رجل اليها .. تلك النظرة التي تبهج في خوف لما تبطنه النفوس .. ذلك الشعور باثارة وجوده الصادم حولها تحيطها انفاسه وتلفها نظراته ويعزلها جموحه المتملك نحوها...

كيف لفتاة ان تقف بوجهه .. حتى هي بكل قوتها التي تستشعر وجودها في اعماقها تخافه ! تخاف ان تستسلم لاغوائه .. اجل انه الاغواء الحي المتجسد بظافر ... ظافر الذي يختلف عنها قلبا وقالبا ... فتستعين بهذه الفكرة وبدعوة من الاعماق تقاوم التحاقها بالصف الطويل من الفتيات الهائمات به الراضخات لعنفوان رجولته ... ترفض الفكرة من الاساس مع انها تدرك انها ليست كغيرها من بنات

جنسها بالنسبة له وتدرك بشكل غير واضح ان هناك بعض الضعف يعتريه نحوها لكنه يقتله في مهده فتزيد وساوسها مما يمكن ان يحصل في المستقبل مع شخصيته النارية غير المنضبطة .. فظافر بين الحين والاخر لايفتأ ان يرسل اليها رسائل خفية لاتعير اهمية لفتحها وقراءتها لانها تؤمن ان المعرفة الزائدة احيانا تضر ولا تفيد!

بعد عشرة ايام

حرّك عنقه يمينا وشمالا بينما يداه تحلان ازرار قميصه ... هدوء يعم ارجاء البيت مما اثار بعض استغرابه ... قادته خطواته نحو المطبخ.. كان بحاجة لما يروي ظمأه بعد سفر مرهق بسيارته..

لم يبالِ بقطرات الماء التي تساقطت من فمه لتسيل على صدره العاري بينما يرتشف الماء المثلج كما يحبه ..

تنهد باحساس الانتعاش وهو يخلع قميصه تماما ورماه على كرسي قريب وتوجه نحو حوض غسيل الصحون ليفتح صنبور الماء البارد ويدلي برأسه تحته مغمض العينين ...

اصوات الضحكات من الخارج جذبته ... فتح عينيه بينما يده تغلق الصنبور ... نفض رأسه رافعا اياه ثم مرر يديه عبرخصل شعره القصيرة وهو يتوجه نحو نافذة المطبخ التي تطل على حوض السباحة ...
ابتسامة شقّت فمه وهو يتطلع لاخته سلسبيل وهي تثير الزوابع بسباحتها الفوضوية .. كان الامر سينتهي عند هذا الحد وكان سيتراجع تلقائيا ما ان لمح فتاة

اخرى تشارك اخته الضحك .. الضحك فقط .. فالفتاة التي خطت من زاوية ما ليرى ظهرها وهي ترتدي ثوبا ازرقا طويل لكنه لم يخفي قدميها الحافيتين .. ضيّق عينيه في تركيز ليحاول التعرف على صديقة اخته التي اختارت ان ترتدي سترة بكم طويل - في هذا الجو الحار - فوق فستانها بينما رفعت شعرها بفوضوية اعلى رأسها بمشط صغير .. الاصوات لم تكن واضحة تماما بينما اختارات اخته ان تمارس صخبها المائي .. هذا الصخب ازداد وقد اخذت اخته ترشق صديقتها بحفنات متتالية من الماء .. ضحك ظافر وعيناه تقيّمان باعجاب قامة الفتاة وهي تتراجع للخلف تتجنب البلل ..

ما زال صخب اخته يشوش السمع لديه بينما اخذت صديقتها تهز رأسها لتنفض عنها قطرات الماء ..

لايعرف كيف حدث المشهد التالي والذي سمّره في مكانه ... فقد تحرر شعر الفتاة من مشطه فانحل ساقطا حتى منتصف ظهرها ليلتمع لونه الكستنائي المتوهج ...

شيء ما توقف .. احساس ألفة تسلل ليقبض على قلبه ويعتصره .. ابتلع ريقه بصعوبة واتسعت عيناه يحدق في الفتاة بتدقيق مختلف .. تدقيق يقارن بصورة تسكن خياله منذ الطفولة ... ازدادت ضراوة الألفة في داخله ما ان رآها تخلع سترتها ليبرز كتفاها العاريان !!

الفصل الرابع

شهق ! بل ربما اختنق !! ورغم اغراء النظر لكتفيها العاريين امام عينيه الجائعتين منذ دهور الا ان تلك الشامة السوداء الواضحة في كتفها الايمن استحوذت على كل انتباهه .. همس بنوع من الانفصال عن الواقع " يا الهي لم تكن سوى نقطة صغيرة كيف اصبحت بهذا الوضوح المغري ؟ " !!

لايعرف من اين اتت هذه الجملة ؟! فما زال تصديقه لهوية الفتاة في مراحله الاولى .. لم يكن يرفض ما تراه عيناه ويدركه عقله.. بالعكس .. كان يتذوق على مهل حلاوة التصديق وبسيطرة محكمة من ارادته لفعل ذلك ..

استدارت الفتاة.... شيئا فشيئا.. تحطمت ارادته تماما ما ان نظر لعينيها والتقط ابتسامتها ... همسته كانت كمن يتوسل الرحمة " ربااااااه "..

لم يشعر بالتصاقه بزجاج النافذة العاكسة لتخفي هويته المتلصصة .. بل لم يشعر بانامله التي ارتفعت لتلامس صورتها المتهادية بثوبها الازرق المكشوف الكتفين وكأنها حورية من الجنة ... كما لم يشعر ان انامله تلك لم تكن تلمس في الحقيقة الا الزجاج الدافئ !!

راقبها بانشداه كامل تنحني ضاحكة لتضع سترتها على احدى الكراسي البيضاء بينما اختارت كرسي آخر لتتمدد عليه وتستكين باسترخاء مدمر لاعصابه ...

لم يكن يسمع ما تقوله لاخته او ما ترد به اخته عليها .. لكنه كان ممتنا لالتزام اخته الهدوء وهي تسبح كسمكة مسالمة هذه المرة فمنحته الفسحة الكافية ليهدأ خفقات قلبه حتى لايختنق ويستوعب تلك الفرصة التي حصل عليها لينظر دون حواجز ل ....

"مولاتي "....

تأوه بحرقة وارتعش جسده مع اللفظة التحببية التي اختارتها لها روحه الأسيرة منذ سنوات ... ينطقها لاول مرة وهو ينظر اليها بجمالها الفاتن كما حلم ان يراه..

عيناه مفتوحتان على اتساعهما وتكادان لاترمشان .. قدماه تسمرتا بجمود على الارض فتناقضا مشاعر وحشية تنتفض بسجن باتت قضبانه تتزعزع...

" كفّي عن تملكي هكذا .. كفي مولاتي"..

همسته هذه قالها بثورة عارمة تواجه ثورة اخرى تعتمل في نفسه تسعى لهدم المعبد على كل من فيه !

دخلت عبر شرفة غرفة الجلوس بخطوات تعبر عن انتعاشها كانت خالية البال تدندن بلحن ما .. اخذت ترفع شعرها عاليا لتداعب رقبتها وكتفيها نسمات الهواء الباردة القادمة من المكيف ... توجهت نحو المطبخ وفي نيتها اخذ بعض العصير لها ولسلسبيل وربما بعدها ستعد الغداء بنفسها ... فالخدم اليوم في اجازة والخالة نادية خرجت في امر مستعجل للشركة طلبها من اجله خالها آسر ...

عند عتبة باب المطبخ تركت شعرها يسقط بحسيس ناعم لتتجمد خطواتها ... صدمها وجوده غير المتوقع وهو لم يشعر بالحرج من وقوفه امامها بصدر عارٍ بينما يستند بظهره وكفيه على احدى خزانات المطبخ ...بل تمادى وهو يمنحها ابتسامة عابثة واثقة ليقول بصوت مبحوح تنبعث منه شرارات مرعبة لها " مرحبا "..

عيناها اتسعتا وهي تهمس بارتياع " ظافر؟! " وفي اللحظة التالية شهقت وهي تحيط جسدها بذراعيها وكأنها قادرة على ستره هكذا لتستدير بقوة وتركض باتجاه السلم تتسلقه كل درجتين سوية..

همس يشغف " فليمت ظافر فداءا لك مولاتي .." ثم اخذ يضرب بقوة على صدره مكان قلبه الخافق برؤيتها " كفى ... كفى ... كفاك تقافزا هكذا .. كفاك تضرب اضلعي بجنون لتلاحق ظلها الهارب .. لو لحقت بها الان .... آآآآه ... فليكن الله في عوننا جميعا" !!...

في حوض الاستحمام ومنذ طويل يقف مفتوح العينين تحت المياه البارد المنهمرة فوق راسه وجسده عاجز عن فعل شيء آخر ! حتى وهو يفتح عينيه بتمرد هكذا صورتها تأبى تركه في حاله .. تناور وتناور لتبقى حية في مخيلته بينما ارادته الصلبة تكبله فتمنعه من التهور ...

همس والمياه تكاد تغرقه " ضربة موجعة يا حوراء ... رؤيتك هكذا ... لا ... انها معركة كاملة خاسرة بالنسبة لي"!

يصفر بلا مبالاة وهي ينزل درجات السلم ... لم يظهر اي اهتمام لها وهي يسمعها تكلم اخته سلسبيل اسفل السلم ... كان قد سمع توسلات سلسبيل قبلا وهي تطلب منها البقاء بينما اصرت حوراء على العودة لبيتها حالا حتى انها لم تعطي لسلسبيل سببا مقنعا لقرارها المفاجئ فقط اخبرتها انها اتصلت بالسائق ابا جميل ليأتي ويقلها...

قال بمرح وهو يمر بجانبهما دون ان يتوقف " سلسبيل .. انا سأتاخر الليلة ... اخبري والدتنا بذلك حتى لاتظل تلاحقني باتصالاتها القلقة ... قولي لها لدي سهرة .. مع ... امممممم ... اصدقاء"..

لاحقته سلسبيل بخطواتها وهي تقول بأسى " ماذا جرى لكما ؟!! حوراء ستتركني وتعود لبيتها وانت ايضا ستتركني مع انك عدت لتوك من السفر ! الا استحق ان تبقى معي بعض الوقت ؟! اشتقت اليك " ..

توقف ظافر ليستدير بخفة ويتجه نحو اخته .. ألقى نظرة عبرت اخته لتصل حوراء التي تقف بتحدٍ لذيذ منعش لحواسه فابتسم ابتسامة صغيرة ثم انحنى ليقبل خد اخته بينما عيناه مستقرتان باصرار على وجه حوراء وقال بصوت مبحوح " وانا ايضا اشتقت .. اشتقت لكم .. جميعا "!

خسرت عيناها في الصمود امام نظراته المستفزة فالتفت بوجهها المورد بعيدا قبل ان يرفع رأسه عن

وجه اخته ليصب جل اهتمامه لها وهو يداعب خدها ويقول برقة

"اعدك غدا ساتفرغ لك .. اليوم احتاج لتغيير جو العمل الخانق الذي كنت فيه طوال عشرة ايام" ...

ثم التفت وهو يلوح قائلا " الى اللقاء .." فردت عليه سلسبيل تغيظه " سأخبر امي انك ما ان عدت حتى خرجت مع صديقتك اللجوجة بدلا من البقاء معنا .." اكتفى ظافر باطلاق ضحكة مستمتعة ليخرج من البيت دون ان يرى وجه حوراء وملامحها الجميلة التي شابها الألم!

عندما صعد سيارته تنفس الصعداء ... همس بوحشية " اعدك يا مولاتي ساجعلك تهيمين بي وكأني الهواء الذي تتنفسينه !" شغل محرك سيارته وهو ينفث انفاسا لاهبة ويضيف بنفس اللهجة " لن

اعيش وحدي هذا الجحيم بعد الان .. لقد اكتفيت "!

صباح اليوم التالي

عيناه تبحثان بضراوة خطرة لمن يدركها بينما تتنقل هنا وهناك بين طلبة كلية الصحافة والاعلام ... انه يعرف غايته وما يبحث عنه لكن الوجوه الكثيرة تعاكسه وتصعب عليه ايجاد وجهها بينهم...

ابتسم اخيرا ونفس مرتاح انطلق من صدره كمن ظفر بضالته بعد طول عناء ... عيناه لم تجدا حرجا في تتبع تفاصيلها ... قامة متوسطة الطول رشيقة في انوثة واضحة ووجه مميز ... واكثر ما يميز هذا الوجه

هو تلك العينان الزرقاوتان .. شعرها بني فاتح وبشرتها حنطية صافية ...

وتلك الرقبة الناعمة يزينها عقد طويل من الخرز الملونة التف عدة مرات حولها وباحكام كالطوق بينما تتعلق به على الجانب زهرة وردية .. كل شيء فيها متناسق بطريقة محببة وجذابة ومختلفة...

عاد ليتطلع لعينيها فوجدها تنظر اليه في المقابل وقد تخضب خداها ... ابتسم بخفة فادارت وجهها بعيدا عنه ... انها تراه وتشعر بنظراته دوما وهذا شيء جيد .... بل ممتاز ...

تحرك ماهر ليستدير مبتعدا وحدسه ينبؤه انها تنظر اليه الان في اعجاب متزايد .... اتسعت ابتسامته بثقة اكبر حتى وصل دراجته الهوائية فالتقط خوذته ليضعها فوق رأسه وقفز فوق دراجته ليتحرك بها دون ان يعطي الفتاة نظرة اخرى!

تطلع شاهر نحو ريمة وهو يقول بهدوء " هل خرج ماهر مرة اخرى ؟" تلعثمت ريمة قليلا وهي تقول " سيد شاهر انه لايتاخر اكثر من ساعة ويعود مباشرة للشركة .. صدقني انه يأخذ عمله على محمل الجد "..

تنهد شاهر وهو يخلع نظارته الطبية ليضعها امامه على سطح مكتبه ثم قال " اتمنى ذلك ريمة لكن خروجه يوميا هكذا لاافهمه "!

ابتسمت ريمة وقد ارتاحت لتحسن مزاجه ثم قالت ببشاشة " انه شاب وربما يخرج ليشرب شيئا مع اصدقائه يرفه عن نفسه بعيدا عن جو المكاتب الخانق"..

ابتسم شاهر ببعض السخرية وهو يقول " صدقيني لايحتاج لتدليلك ودفاعك المستميت عنه فيكفيه امه التي لاتكف عن فعل ذلك "..

ارتعشت ابتسامة ريمة عند ذكر زوجته لكنها ابت ان تفقد السيطرة الان ... شاهر لايستحق ان تضغط عليه هي الاخرى بمشاعرها .. فليس ذنبه انها احبته وتشعر بغيرة ليست من حقها...

تفاجأت عندما قال لها بفكر شارد " ريمة .. هل تعتقدين اننا نحب حقيقة لمرة واحدة في حياتنا ؟؟

حب يسيطر علينا ويكبل مشاعرنا فلا تنهض مرة اخرى " !

كان شاردا تماما وكانه يكلم نفسه .. بدى حزينا بشكل مميز وهذا يحدث منذ اسبوعين تقريبا ... ترى ما الذي حصل له ؟ انها حتى لم تجرؤ على دعوته لتناول الغداء سوية كما اصبحا يفعلان كثيرا بالفترة الاخيرة وربما لوجود ابنه ماهر قريبا جعلها تشعر بحرج اكبر من مشاعرها نحو والده..

تنبهت انها شردت هي الاخرى ولم ترد عليه بينما هو يقول بابتسامة غاية في الجاذبية " هل السؤال صعب لهذه الدرجة ؟!! ام انني احرجتك ؟" تنحنحت ريمة وهي تقول بثقة لاتتمتع بها حقيقة " لا ابدا سيد شاهر ... كنت افكر فقط .. فالرد لايمكن ان يكون محددا ابدا ... اعتقد انها تعتمد على الشخصية وربما

الامر لايعدو ان يكون ان الشخص المعني لم يلتقِ بحب آخر ينسيه او يعوضه الحب الاول " ...

التمعت عينا شاهر بغموض غريب ليقول " هل كنت تحبين زوجك ؟" ردت ريمة وهي تسبل اهدابها " رحمه الله ... اجل احببته ... كان ابن الجيران وتقدم لخطبتي بشكل تقليدي لكنه كان رقيق القلب واتسمت حياتنا بألفة مميزة"...

ردد شاهر وعيناه تغيمان" ألفة مميزة .. ! لااجده تعبيرا قويا عن عاطفة متحكمة بالروح ... تجعلك تشهقين ما ان ترين المحبوب وتتعثر انفاسك فلا تعود تعرف هل تدخل ام تخرج "!!

لاتعرف هل الحرج ما يغلب عليها الان وهي تكلم رئيسها بهذا الانفتاح العاطفي ام الحزن على نفسها وعليه لما يشعره ... اما ربما غيرة حارقة ستقض

مضجعها الليلة ... هل حقا يحب تلك التافهة المتصنعة بهذه الطريقة ؟!!

قال شاهر معتذرا بجدية " آسف ريمة .. اعتقد اني تماديت معك في امورك شخصية ... اعتبريها لحظة تهور مني بينما مزاجي سوداوي هكذا" ...

ابتسمت له وقد فاضت روحها حنانا لاجله ثم قالت بحبور " لاتقلق سيد شاهر ... اعلم انك في مزاج خاص هذه الايام واشعر بحاجتك للتكلم بامور غير اعتيادية فلا بأس انا سأكون هنا معك دوما لاستمع اليك "...

هل توجد مكافأة تعادل تلك النظرة الرائعة في عينيه ؟؟؟ لا ... لااظن ... هذا ما انعشت به ريمة نفسها وابتسامتها تتسع لتجد في نفسها الجرأة لتطلب " ما رأيك ان ...." قاطع طلبها صوت باتت تميز نبرات

السخرية فيه وهو يقول من عند الباب المفتوح " مرحبا ... عندي دعوة خاصة جدا للغداء ... تحضرها امرأة حسناء .. ما رأيك سيد شاهر ؟؟؟ "

رفع شاهر نظراته نحو ابنه الاصغر وهو يضيق عينيه في لمحة من التدقيق والدراسة!

قال شاهر بهدوء " هل هذا ما كنت تفعله خارجا ؟؟ تعد مائدة طعام لي ولوالدتك ؟"

غمز ماهر وهو يتقدم خطوات تخطى بها ريمة وهو يتجاهلها تماما ثم قال وهو يجلس على حافة مكتب والده " اذن تعترف بأنك لاتفكر الا بأمي كأمرأة حسناء ... " حرك حاجبيه باغاظة وهو يكمل " الدعوة من امي وليست مني .. ما انا الا مرسال الغرام "..

لم تتغير ملامح شاهر وهو يمعن النظر في ابنه ليقول بعد لحظات لريمة دون ان ينظر اليها " اجلي مواعيدي لساعتين ريمة ... فيبدو ان لدي موعد مهم للغداء "..

ابتسم ماهر وعيناه تلمعان بنصر خبيث بينما يتطلع لريمة بطريقة اخافتها ! اجل اخافتها ... فهذا الفتى ذو الاثنين والعشرين عاما لديه من القوة والجبروت والقسوة ما يفوق سني عمره ليكون اكثر الوجوه انتماءا وتعبيرا لعائلة الغازي .....

بعد دقيقة واحدة كان ماهر يكلم امه على الهاتف بجدية وهدوء غريبين " امي ... لاتظهريني كاذبا امام ابي .. انه في طريقه اليك وبامكانك اخذه لاي مطعم تعرفين انه يفضله "..

قالت نهى بتردد " لكني لااعرف اي مطعم يفضل ؟! لقد ... مضى زمن لم "....

اختنقت كلماتها حتى تلاشت منها فقال ماهر بانضباط نفس لايعبر عما في داخله من غضب " انه يحب مطعم (....) خذيه اليه وكوني كما انت ... حسناء ناعمة انثى تدلل على زوجها الذي يعشقها "..

شهقت نهى رغما عنها وقد صدمتها كلمات ماهر ! قالت بعدم تصديق " منذ متى كبرت هكذا يا ماهر لتعلمني كيف اتصرف مع زوجي ؟ "!!

رد ماهر بغموض " منذ اكتشفت ان العشق الذي جمعك بأبي مهدد بالانهيار ... " صمت قابله من الطرف الآخر ... صمت دفعه ليقول بتمهل " ابي في الستين يا امي ولكنه ما زال رجلا مفعما بالحياة والحيوية ... لاتخسريه امي .. شاهر الغازي رجل لايعوض ابدا"...

همست بأسمه وكانها تعتب عليه جرأته معها " ماهر !" لكنه اصر قائلا " ارجوك افعلي ما اقوله لك لاننا بدون والدي سنخسر كل شيء .." وقبل ان تقول شيئا اضاف قائلا على عجل " يجب ان اذهب امي فقد تأخرت كثيرا على عملي ولاتنسي ان ترتدي شيئا بلون العسل لانه يحبك فيه"..

اغلق الهاتف وهو يتمتم " افعلي ارجوك امي .. فلن استطيع فعل شيء بمفردي"...

تطلعت ليديه وهما تتحركان بالشوكة والسكين لتقطعا قطعة اللحم في صحنه بينما التزم الهدوء التام ... ماذا يجب ان تفعل ؟ بل ماذا يجب ان تقول ؟ كل الحوارات التي تشاركتها معه تكررت .. كل الكلام نفذ منها ولا تشعر ان في جعبتها شيء جديد!

لم تكن هكذا ومعه هو بالذات كانت مفعمة بالحيوية النابعة من الرضا ... اجل ارضاها بكل الطرق واخرج منها انثى تنعم في دلال عشقه وتتدثر بحرارة عواطفه ... كيف تحولت هذه العواطف واستكانت للبرود ...؟؟! بل كيف تحولت هي لامرأة متخاذلة هكذا وهي تشعر بزوجها يتسرب منها فعليا ... هل استكانت لثقتها بشهامته ونبله بعد ان تغاضت عن الثقة بمشاعره نحوها ؟!

هل اصبحت تبحث عن زوج يعيش معها وتفخر به امام قريناتها من النساء بدلا من ان تبحث عن زوج يعيش معها لانه لايقوى على الاستمرار بدونها ...؟

وماذا سيحصل بعد بضع سنوات وهي تدخل الخمسينات وتذوي بلا رجعة .. كيف ستواجه شيخوخة مقبلة لامحالة وهي تشعر بهذا الخواء ؟!

"توقفي عن لمس وجهك اتوسل اليك .." اجفلت من صوته الحازم الحانق ولتكتشف انها تضع يدها فعلا على وجهها وكأنها تتلمسه !

ابعدت يدها فورا وهي تسبل اهدابها هربا من نظراته الحانقة ليقول بعدها " انظري الي نهى ..." لم تفعل فقالها مرة اخرى بحزم اكبر " انظري الي"...

رفعت راسها بتردد نحوه وجاهدت لتواجه نظراته بينما قال شاهر " لم اعد احتمل ما تفعلينه بنفسك وبي وبالاولاد "..

ارتعشت قليلا لكنه اكمل " انا اعلم ما فعله ماهر اليوم فلست غبيا وليس من عادتك ان تطلبي مني تناول الغداء وكلما كنت ادعوك كنتِ تتحججين لترفضي"

همست مدافعة عن نفسها " انا لم اكن اتحجج ... كنت فقط ... مشغولة ..." قال ساخرا " تحججين لانك كنت تريدين الذهاب مع صديقاتك في جولات ميدانية سخيفة بين اروقة تجمعات اسخف"..

احمر وجه نهى ووجدت نفسها تقول بحنق " دوما تسخر مني ومن اهتماماتي ... لم اكن اعرف حقيقة رايك بي الا الان .. ألست انا نهى التي احببتها واردتها زوجة وحبيبة لك ؟"

رد شاهر بهدوء " لا ... لست هي .. فمن احببتها امرأة اخرى اختفت !" شهقت وهي تقول بانفعال " وتقولها مرة اخرى في وجهي يا شاهر ؟!! تتكلم بصيغة الماضي عن حبك لي ... اين وعودك عن حب لن ينضب مدى الحياة وانك لن تحب غيري ابدا"..

تطلع اليها بنظرات مبهمة ليقول " وانا عند وعدي .. رغم ما اتعرض اليه من ضغوط تزلزل قناعاتي الا اني ما زلت احب تلك ال(نهى) ... قارورة العسل "...

التمعت عيناها العسليتان بالدموع بينما هو يتطلع لثوبها العسلي كعينيها وهو يقول بشجن " قارورة

العسل لم تكن تحتاج لارتداء لون العسل حتى استطعمه ... كان اللون يزهو بها بدلا من ان تزهو هي به ! طعم العسل كانت تمنحني اياه بنظرة ... بابتسامة بضحكة من القلب ومشاعر تنبع من الروح ... كل هذا كان عسلي السري الذي اضعته انت بيدك وجعلتني اعيش على هامش ذكراه"..

دموعها انحدرت بينما شاهر يسبل اهدابه ليقول بصوت مختنق " دعينا نذهب " ..

ثم وقف على قدميه ليقول بألم لم يستطع اخفاءه " رغم كل شيء اشكرك لانك اليوم حاولت على الاقل اعادة بعض الذكرى رغم انك عجزت عن العطاء "..

تحرك وهو يتمتم " سادفع الحساب وانتظرك في السيارة لاعيدك بنفسي فقد صرفت سائقك وانا اظن اننا سنقضي وقتا اطول معا"..

تبلدت الكلمات على فمها بينما تخنقها شهقات بكاء تمكنت منها ... لاتعرف هل تبكي نفسها ام تبكيه هو ... ؟!

" مرحبا يا وسيم آل الغازي ..." تبسّم لها وهي تطل براسها الجميل من باب مكتبه ترمش له بعينيها الشقيتين وتبتسم بغموض الانثى المدركة لقوتها ... هذه هي سلسبيل ... خليط متفجر بريء وغامض ...

تحرك مهدي حول مكتبه وهو يضع كلتي يديه في جيبي بنطاله الكحلي ثم قال وهو يرفع حاجبا واحدا " مرحبا بابنة العم ... ما الذي جعلك تشرفيني بالزيارة اليوم ؟؟ مؤكد ليس شوقا الي "!

تحركت سلسبيل لتدفع الباب اكثر وتدخل وهي تقول بعتب انثوي " لاتقل هذا ! انا دوما في شوق لرؤيتك"..

ارتعشت عضلة في خده وهو يقاوم شعورا هادرا يسيطر عليه ... يشعر كمراهق يحظى بنظرة اعجاب من فتاة لاول مرة ... هو مهدي الغازي الذي يضرب المثل به في هدوئه ورزانته يجد نفسه محررا من كل شيء ما ان يراها ... حرا ليحبها بجنون حرا ليترك نفسه على سجيتها فيسرح في يوم قريب كما يأمل ليأخذها عروسا له..

رفعت سلسبيل كلتي حاجبيها وقالت بمرح " انظر يا ابن العم ... انت تعرف ان عيد ميلاد حوراء بعد غد .." ثم غمزت وهي تكمل " وعيد ميلادك بعده

بثلاثة ايام ... لاتقلق انا اتذكر كل الارقام فهي موهبة حظيت بها من جينات امي "...

ضحك مهدي بخفة وعيناه تبرقان ليقول " وما هو المطلوب مني يا محتالة ؟" ادّعت الحنق وهي تقول بدلال " لماذا تصرون على مناداتي بمحتالة ؟"!!

رد مهدي وهو يميل براسه جانبا يتطلع اليها باعجاب خفي " لانك تحتالين علينا جميعا لتحصلي على ما تريدين ... واعتقد انك حظيت بهذه الصفة من جينات الغازي وبالذات آسر الغازي"...

عبست وهي تعض شفتيها " ابي ليس محتالا ... انه يجيد التلاعب فقط "...

ضحك ملئ شدقيه ليتقدم منها خطوات تنتابه هذه الرغبة الدفينة لمهاجمة مشاعرها والتلاعب بها كما

تفعل به ثم قال بصوت أجش " حسنا يا بنت ابيها ... كيف ستتلاعبين بمشاعري ؟؟"

ردت بحماسة " حسنا ... اريد ان اقيم لكما حفلة كبيرة في بيتنا ... اريد تجهيز كل شيء ليكون حفلا رائعا ومفاجأ للجميع ... " توقفت قليلا ثم اضافت برقة " انت الكتوم الوحيد الذي سيساعدني اليس كذلك مهدي ؟" اسبل اهدابه وهو يرد " قولي لي ماذا تحتاجين بالضبط وسانفذه لك في التو واللحظة "...

هتفت وهي تتقدم نحوه لتفاجأه بوضع كلتي يديها على كتفيه واخذت تقفز كطفلة وهي تقول ببشاشة " كنت اعرف انك لن تخذلني "..

ارتبك ! وتصدعت حصونه ليزداد تصدعها وهي تقول بعينين لامعتين " لولا اني كبرت الان لكنت قبّلت خدك شاكرة ولذلك ... اكتفِ بأني ساحتفل بعيد ميلادك على طريقتي يا ابن العم"...

ثم التفتت فجاة لتتحرك مبتعدة وهي تقول " ساذهب لمكتب مساعدتك واجهز ورقة بكل ما احتاجه لتساعدني في ايجاده" ...

تمتم بنعم وهو يقاوم تخبط قلبه بين اضلعه لتتوقف سلسبيل فجأة عند الباب وقالت وهي تلتفت نحوه بنظرة تشع ذكاءا ومشاكسة " هل ما زالت تلك الموظفة في الحسابات تحوم حولك ؟ "

رفع مهدي ذقنه قليلا ليواجه امواجها القادمة نحو قلبه مباشرة ثم قال بغموض " وهل ما زلتِ تغارين منها ؟؟"

ضحكت بنعومة وقالت بثقة راسخة فيها " انا لااغار الا من التي ستسرق قلبك فعندها لن اكون المفضلة لديك كما حالي الآن"...

تلك الفتاة تثير جنونه ووجد نفسه يقول بمشاكسة مماثلة لمشاكستها " ومن قال انك المفضلة ؟" !!

ردت وهي تهز كتفيها وتعاود الالتفات لتغادر " انا اعرف يقينا اني المفضلة لديك" ...

وتركته وحيدا وهو يهمس " لكنك لاتعرفين انك السارقة ايضا"!

اغلق ظافر هاتفه بنزق وهو يقول " حسنا ياحوراء لاتردين علي ؟ تعاقبيني لاني رايتك بلا حجاب ؟"

تنهد وهو يرجع رأسه للخلف مسندا اياه على ظهر كرسيه وهو يقول بشجن " وماذا عني انا ؟! اكاد لاانام لدقائق دون ان يهاجمني عذاب الحلم بك .. اليس هذا عقابا كافيا مولاتي ؟ "

أغمض عينيه وهو يقول هامسا " المسك ولا المسك ... اشعر بك لي وانت لست لي ..." عض شفته السفلى وهو يكمل بصوت ابح " اقبلك دون ان اشعر بطعم شفتيك "!

هبّ من كرسيه كنمر هائج في قفص ليمرر يده في شعره ويهدر قائلا " لم اعد استطيع حتى التركيز في عملي ... لقد اصابني التشوش .. لم ارها الا بضع مرات خلال الشهر المنصرم .. بينما خيالاتها في عقلي تتداخل مع بعض ما بين صورتها وهي نائمة على سريرها وصورتها وهي تسبح معي بذلك الفستان المكشوف .." هزّ راسه ليقول بغضب " ايها الغبي ذلك كان حلما ... انها لم تسبح معك ابدا "!

ضرب بقبضته على سطح مكتبه ليتبعه بعد لحظات دخول سريع لمساعدته رحاب ذات الاربعين عاما وهي تقول بارتباك " ماذا حصل سيد ظافر ؟ هل انت بخير ؟"

نظر ظافر لتلك المرأة المثالية في عملها ككل شيء فيها ليقول بهدوء مصطنع " لاتقلقي ... كنت افكر بموضوع فحسب ..." ثم اكمل باسلوب عملي " هل اتصلت بالصائغ لتسأليه ان كان اتم ما طلبته منه ؟"

ردت رحاب " نعم سيد ظافر ويقول انه سيرسلها لك بعد ساعتين "...

لوح ظافر بيده وهو يقول " لا .. اتصلي به واخبريه اني سآتي اليه الان لاستلمها بنفسي منه ... " رمشت المرأة من خلف نظارتها الطبية لتقول ببعض الدهشة " هل ستخرج الان سيد ظافر .." رد وهو يلملم بعض اغراضه " نعم ... احتاج للخروج وساستغله لاحضار الهدية بنفسي"..

ابتسمت رحاب وهي تقول ببشاشة " عيد ميلاد سعيد للانسة حوراء .. انا متأكدة ان الهدية ستعجبها ".. ابتسم ابتسامة صغيرة مجاملة بينما تحرك ليخرج ولسان حاله يقول " ليتني كنت بنفس الثقة "!

تطلع ظافر للاسورة الذهبية التي وضعت بعناية في صندوق من القديفة الحمراء...

كل عام يهديها شيئا ثمينا في عيد ميلادها ولكنها لاترتدي ايّا منها ... كان يشعر بالغيظ الشديد وهو يراها ترتدي ما يحضره لها الجميع وفي عدة مناسبات بينما لاتقرب ما يحضره هو لها...

وبعناد موروث في كل سنة يقدم لها هدية اغلى واغلى وكأنه يحملها عبأ اختياره لكل ما غلا ثمنه .. مع ذلك لاتمنحه الا نظرة هادئة وهي تقول بلطف مغيظ " شكرا ظافر لقد كلفت نفسك"!

عاد لينظر للاسورة .. هذه المرة وضع فيها معانٍ تخصه .. فالاسورة الذهبية عليها رسومات صغيرة ملونة لفتيات جميلات ... مأسورات بالاغلال ! ورغم اسرهن يبدين سعيدات مستسلمات...

ابتسم واحساس ضاري بقرب الهجوم يتمكن منه ..قال " اريني كيف ستتجاهليني في عيد ميلادك يا مولاتي ...؟؟"

عمّت البهجة بيت آسر الغازي بعد ان امتلأ بالجميع ليحتفلوا بعيد ميلاد حوراء ومهدي ...

اختارت سلسبيل ان تقيم الاحتفال في الحديقة الكبيرة لبيتهم كما اختارت ان تواجه امها بخطتها قبل ساعتين فقط لتضعها امام الامر الواقع ولاترفض كل الهرج والمرج الذي خططت له بمساعدة مهدي ... وكانت حجتها انه ليس عيد ميلاد عادي وانما احتفال للعائلة ككل فاعدت الزينات والالعاب النارية واحضرت مشاوي خاصة كبيرة وجعلتهم جميعا يشتركون في الطهي بمن فيهم خالتها نهى نفسها التي تناى بنفسها عادة عن المشاركة في هذه الامور ولكنها هذه المرة استطاعت احراجها امام الجميع وهي تطلب منها صراحة استلام احدى المشاوي ... كانت سعيدة حقا وهي ترى عمها شاهر يقترب من زوجته المرتبكة لينظر اليها بحنان يشابه حنان مهدي ثم اخذ يعلمها كيف تشوي ويساعدها برقته التي تذوب الصخر..

ابتسمت فخورة بنفسها ثم غمزت لوالدها من بعيد وهو يتحرك نحو امها التي اخذت على عاتقها تنظيم الالعاب النارية مع التوأمين وفي لحظة كانت منحنية على ارض الحديقة تثبت بعض الالعاب التي سيطلقها محمود عندما اصبح والدها بتماس معها وفجأة اجفلت بصدمة فادركت ان والدها قرصها خفية كعادته وها هي تنظر اليه بحنق بينما هو يرفع حاجبا واحدا بمكر مستفز...

عمتها نجلاء ترفض مساعدة العم بلال في شي اللحم بعند طفولي وهي تقول " استطيع السيطرة على الامر بمفردي " فاخذ يضحك من قلبه فاشتد غيظ العمة نجلاء واخذت تعبس وهي تمسح العرق عن وجهها...

تنهدت سلسبيل وهي تبحث عن ظافر ولا تجده ! " اين ذهب ذلك المجنون ؟؟" تقدمت حيث تجلس حوراء وبجانبها مهدي بينما تحرك ماهر في نفس الوقت وهو يقول " سأذهب للمشاركة في الالعاب النارية "...

جلست بجوار مهدي ثم مالت نحوه لتقول همسا " هل رأيت ظافر ؟" هزّ راسه بلا وقد بدى متضايقا من عدم وجود ابن عمه هو ايضا ...

وقفت حوراء على قدميها وقالت " سأذهب لاحضر الثلج والعصير من الداخل"..

ابتسمت لها سلسبيل وهي تشيعها بنظرات مبهمة بينما مهدي ينظر لجانب وجهها السارح بابتسامة عاطفية..

"اجفلتني ظافر !" هذا ما هتفت به حوراء حالما اغلقت باب الثلاجة ليطالعها ظافر بقامته الضخمة..

رد بلهجة غامضة " هل اصبحت مصدرا لضيقك الدائم يا ابنة عمتي ..؟؟ "

نظرت اليه بطرف عينها وهي تقول " لا تقل السخافات ! ولكنك احيانا تتعمد مضايقتي .. كما الان ... ما الذي يجعلك تقف هكذا دون ان تنبهني لوجودك ؟؟!! " ثم نظرت اليه مباشرة لتقول بتحد " ام ان هذه طريقتك لتقول لي عيد ميلاد سعيد ؟ "!

ابتسم بشغف وهو يقترب منها ليقف على بعد خطوة واحدة وهي تقاوم الهرب منه وهو في هذه الحالة العاطفية المربكة...

قال لها وهو يخرج علبة انيقة من جيبه " بل لي طريقة اخرى ...كأن اقولها لك وانا اقدم هديتك بعيدا عن الجميع لاحظى باهتمامك لي وحدي"..

ابتلعت ريقها وتوجست خيفة من اسلوبه الناعم المباشر هذا ... هناك شيء تغير فيه .. شيء لاتفهمه وربما تفعل وتتجاهله ... منذ ذلك اليوم .. منذ تلك اللحظة ... وفي نفس المكان هذا..

فكرت سريعا ان عليها عدم مواجهته واخذ الامور بهدوء فتغاضت عن كلماته ومدت يدها لتأخذ العلبة وهي تقول " شكرا لك ظافر ..." اوشكت ان تتحرك لتغادر عندما مد ذراعه امامها ليوقفها قائلا بصوت اجش " لا ... ارتديها امامي ..." رفعت نظراتها اليه وهي تقول بهدوء ظاهري " حسنا .. كما تشاء .." وهكذا فتحت العلبة واخرجت الاسورة..

راقبها ظافر باستمتاع كيف تدقق النظر في صور الفتيات ثم رفعت اليه عيناها بنظرة سحرته بقوتها ودون ان تعلق بشيء ارتدت الاسورة حول معصمها ثم قالت " هل راضٍ انت الان "..

ارادت ان تتحرك فاوقفها مرة اخرى بذراع ممدود ليقول بهمس " لماذا لم تكوني تردين على مكالماتي خلال الايام الماضية "..

اطرقت راسها ولم تجد ما تقوله بينما كانت قواها لمواجهته تستنزف .. " ما باله اليوم ؟ ام انه ما كنت تتوقعينه يا حوراء منذ ان رآكِ بدون حجاب ؟؟ انه التحدي الذي يجعله يرغب بضمك لسلسلة فتياته اللواتي اهداكِ صورهن على الاسورة الان وكأنه يقول لك انت التالية لامحالة"!

شعرت به يقترب اكثر فتراجعت للخلف بينما تتمتم " كنت متعبة لاغير ... ارجوك عليّ اخذ العصير للخارج .." لكن ظافر تقدم اكثر وانفاسه تتسارع فشعرت برعب من القادم .. تراجعت حتى ارتطمت بالثلاجة خلفها بينما هو يقترب حتى حاصرها عن قرب شديد يكاد يلمسها تقريبا...

شعرت بالغضب يموج فيها فرفعت عينيها اليه لتقول بحدة " ما بك ظافر ؟! هل جننت لتقترب مني هكذا ؟ ام نسيت اني ابنة عمتك ولايجوز ان تتخطى الحدود معي كأي فتاة تافهة تمر بك"...

تبسم بطريقة اقلقتها وهو يقول همسا " انا ... لاانسى .. ولا للحظة واحدة ... انك ابنة عمتي .." زمّت شفتيها وهي تقول " ابتعد عن طريقي ظافر .. لااريد اثارة المشاكل في العائلة والجميع سعداء في

الخارج " رد مداعبا " كل هذا العداء لاني رايتك بلا حجاب وبفستان يكشف كتفيك ؟؟" همست بحشرجة حانقة " لااريد ان نتكلم بهذا الموضوع ... فقط ابتعد ظافر ... الان " ...

هزّ كتفيه باستخفاف ساخر وهو يقول " انا لاامنعك ! هل ترينني امسكك لامنعك التحرك ؟!! اني حتى لاالمسك بطرف اصبعي"..

حدّقت فيه للحظات ثم قالت " حقّا ؟! وما شعورك لو اقترب احدهم مني هكذا وهو يقول اني لاالمسك ؟"!!

اتخذت ابتسامته طابعا عنيفا وهو يهمس " لاتزرعي في عقلي مثل هذه الخيالات يا حوراء لانها ليست بصالحك الان بالذات"..

ارتعشت من نبرته وتخبط قلبها وهي ترى نظرته تنحدر لشفتيها ! ... لم تعرف كيف نطقت وقالت بضعف " ظافر ... ارجوك"..

تنهيدة عميقة خرجت من صدره بينما اغمض عينيه وتراجع للخلف وهو يقول بشراسة " اذهبي"..

لم تصدق حظها ! خرجت بخطوات متعثرة وهي تحمد الله لخروجها سالمة من هذا الطوفان الهائج الثائر...

رنّ هاتف بلال فأخرجه من جيبه بيده الحرة بينما ابقى على ذراعه الاخرى محيطة بظهر ابنته ... ابتسم في وجه حوراء وهو يهمس لها " مفاجأة"!

نظرت حوراء بنعومة لابيها وهي تتساءل بعينيها بينما والدها يفتح الهاتف ويتحرك بعيدا عن الضجيج والصخب...

منذ ان هربت من ظافر وهي تعيش حالة من الضياع والضعف ... التجأت لابيها تتحصن به ولم تفارقه ابدا ولم تنظر نحو تلك الهيئة الشرسة التي تتابعها في كل حركة...

نظراتها سقطت على الاسورة في يدها وبدلا من ان تسعدها جعلتها تشعر بالشقاء ! فما فعله ظافر الليلة هو اولى خطواته فقط ليعبر الخطوط الحمراء !

طال غياب والدها فأخذت تشعر بالضيق .. الافكار تتنازعها ... كيف ستصد القادم دون ان تتسبب شرخا في العائلة ... والدها اذا علم بما يحصل ستكون كارثة

فعلا... تنفست الصعداء اخيرا وهي ترى والدها مقبلا والبشاشة تعلو ملامحه الحبيبة ... ابتسمت بانتعاش لرؤيته ثم شاب نظراتها بعض التساؤل وهي تلمح خيالا خلفه...

شيئا فشيئا اتضحت الرؤيا ووجدت نفسها تقف لتبتسم بسعادة وهي تتطلع للشاب الوسيم الذي رافق والدها ...

تقدمت وهي تقول بذهول سعيد " رياض ؟! متى وصلت ؟!" رد الشاب بابتسامة واسعة جميلة " عيد ميلاد سعيد يا حورية ... وردا على سؤالك وصلت قبل ساعة فقط"...

في مكان ما ... زاوية مظلمة لم يتنبه احدهم للكأس الذي ارتطم باحدى الشجرات ليتحطم الى قطع متناثرة ... جارحة !

الفصل الخامس

تقدمت سلسبيل نحو الجمع الذين تقدموا للسلام على رياض لتقول بابتسامة بشوشة " مرحبا رياض ... هل تذكرني ؟"

تطلع نحوها رياض ليقول بنظرة مرحة " مؤكد اتذكرك ... انت الطفلة المشاغبة التي لم تتوقف عن ايقاعي في المقالب "..

ضحكت سلسبيل فبدت ساحرة بينما مهدي يراقب من بعد بضع خطوات !

انفض الجمع من الكبار بينما الاصغر سنا يقتربون ... صوت خشن يعكس نوايا صاحبه المكبوتة قال " مساء الخير .."

التفت رياض نحو ظافر يتطلع اليه بهدوء وابتسامة لطيفة على محياه... مد يده ليصافحه وهو يقول " مساء الخير ظافر ... سعيد برؤيتك بعد هذه السنوات ... "

صافحه ظافر وهو ينظر اليه مباشرة ويقول " اجل ... مضت تسع سنوات على آخر لقاء بيننا واذكر اني لكمتك بوقتها لانك ناديت حوراء ب(حورية)"

ضحك رياض ملئ شدقيه وهو يغمز لحوراء التي كانت تداري اضطرابها بصعوبة ثم قال " اعترف اني احببت مناكدتها بأسم (حورية) لانها لم تكن تحبه وانت كنت المدافع الرسمي عنها"!

ابتسم ظافر بوحشية وهو يقول " وما زلت.. !"

استمر رياض في بشاشته متجاهلا الايحاءات العدائية في صوت ظافر فقال وهو يفرك ذقنه " اعترف ايضا ان لك قبضة حديدية يا رجل ... "

تقدم ماهر ليقطع استرسال رياض وهو يقول بلطف منمق " مرحبا رياض .." فصافحه رياض ليتبعه مهدي مصافحا ايضا بينما اقتضب سلامه وعيناه لاتفارقان عيني سلسبيل اللتين كانتا تلتمعان بغرابة وهما تنظران نحو رياض!

بعد تناول العشاء قال آسر بنظرات لاتُعرف كنهها " هل ستسقر هنا يا رياض ؟"

رد رياض " نعم سيد آسر ... على الاكثر ساستقر هنا اذا اعجبني العمل في الشركة العالمية .." صمت قليلا ليضيف بابتسامة وهو يتطلع لخاله بلال " رغم ان امي تريدني ان استقر قريبا منها .."

رفع آسر كأس عصيره لشفتيه وهو يسبل اهدابه قائلا " وماذا يمنعك عن الاستقرار في نفس البلد قريبا من والدتك ... انا اعرف ان الشركة العالمية لها فرع هناك .."

قال رياض " هذا صحيح .. لكني احببت العودة للوطن بعد سنوات اغتراب .. لااعرف.. سأجرب هنا واذا لم يعجبني الوضع سأعود ..."

عندها قال بلال " انا من شجعته ليعود للوطن .. "

ثم نظر نحو رياض بحنان ليكمل " اشتقت لاخواتي حقيقة وكل واحدة منهن استقرت في بلد ... اتمنى ان يجد رياض ضالته هنا ..."

رفع آسر عينيه نحو بلال ليقول بغموض سافر " المهم ان يعرف ضالته اولا ليجدها ثانيا .."

تدخلت نادية في الحوار لتنهي ذلك الاستفزاز المبطن بين الرجلين قائلة بابتسامة ذكية " حسنا بما ان الليلة نحتفل بعيد ميلاد حوراء ومهدي يرجى منكم ايها السادة التوقف عن التحدث بالعمل لو سمحتم "

والتفتت نحو شاهر لتغمز له سرا فابتسم شاهر متفهما ليقول " وانا اؤيد ... " ثم نظر نحو نهى التي تجلس جانبه ليقول بعينين لامعتين " خصوصا ان اجمل السيدات معنا واكثرهن رقة .."

احمرت نهى والتمعت عيناها بفرح قديم العهد جعل شاهر يتخبط بحاجته اليها.. !

عبست نادية وهي تنحني نحو نجلاء هامسة في اذنها " اين الاولاد ؟! لاارى احدا منهم !"

كانت نجلاء تشاركها العبوس وهي تنظر نحو رياض لتقول " بالنسبة لمهدي فقد اخذ التوأمين من اجل شراء المزيد من الالعاب النارية ... اما ماهر فتجدينه هناك خلف احدى الاشجار يدخن سيجارة .. انت تعرفين انه لايدخن بحضور والده ..."

حامت عينا نادية في المكان وهي تهمس " وماذا عن ظافر ؟! هل رأيته ؟ " ردت نجلاء وعيناها تزداد تركيزا على رياض " اجل رأيته يكلم آسر ثم .... غادر!"

خلعت حجابها ما ان دخلت غرفتها بينما بلال يتبع خطواتها المشحونة بخطوات هادئة...

قالت دون ان تنظر اليه " سآخذ حماما فرائحة الشواء عالقة بكل مسام جلدي .."

تمتم بلال ب(حسنا) وهو ينظر اليها بتمعن بينما لم تمنحه نظرة واحدة وهي تأخذ منامتها لتدخل الحمام مما اثار ضيقه وبعض الشعور بالذنب ... نحوها !

عندما خرجت نجلاء من الحمام كان بلال جالسا على سجادة الصلاة يسبّح ...

تحركت نحو السرير وهي تقول ببرود متعمد " تصبح على خير .."

التفت اليها بلال ليقول " ألن تصلي العشاء ؟"

رمقته بنظرة وهي تدخل تحت الاغطية ثم قالت بحاجبين مرفوعين تحديا " لقد صليت في بيت آسر ... هم ايضا لديهم سجادة صلاة ام انك نسيت ان نادية تصلي .."

اطرق بلال قليلا يركز على حبات مسبحته ثم قال بهدوء شديد " آآآ نعم ... نادية تصلي وقد علّمت سلسبيل الصلاة ولكن للاسف لم تعلم ظافر !"

كزّت نجلاء على اسنانها ثم قالت بحنق واضح " لقد علمته .. تركه للصلاة انت تعرف اسبابه .. الشباب احيانا يحيدون عن الالتزام بما تعلموه في الصغر كنوع من التحرر لكن الاساس موجود .."

رفع بلال راسه نحوها يتطلع اليها فزمّت شفتيها لتدير جسدها جانبا بعيدا عنه ملقية رأسها بحدة على وسادتها....

تنهد بلال بينما يكمل تسبيحه وبعد خمس دقائق كان يطفأ الاضاءة الخافتة ليتسلل الى السرير بجانبها ...

لفترة طويلة ظل يحدق بظهرها يقاوم هذا الضعف الذي يسكنه نحوها لكن مقاومته انتصرت ليستدير هو الآخر موليّا اياها ظهره!

جالسة على سريرها والقمر ينير جلستها الحزينة هذه وهي تسند جانب وجهها على ركبتيها بينما عيناها تستقران على الشاشة التي تضيء باسمه كل بضع دقائق ... الهاتف لم يتوقف عن الاهتزاز حتى وهو صامت يزمجر في غضب وكأنه يصرخ بصاحبته ...

همست " توقف ظافر ... فقط توقف .. لقد تعبت!"

لكنه لم يتوقف ! وكانت الاضاءة التالية تعلن عن وصول رسالة نصية ... اطلقت تنهيدة ومدت يدها لهاتفها الملقى بجانبها .. فتحت الرسالة لتقرأها بأسى (ردّي على اتصالي حوراء.. الان !)

لكنها عادت ورمت هاتفها على السرير وهي تتنهد وتدعو " ساعدني يا رب .. امنحني نور الهداية لافعل ما هو صواب دون ان اضر بنفسي او به او بأي انسان ... " تحشرج صوتها وهي تضيف " دون ان اتسبب بالقطيعة بين افراد عائلتي .."

شتم ظافر وهو يعاود الاتصال دون ان يحصل على رد ايضا ... تغضنت ملامحه بغضب لاحدود له وتفجرت في داخله الزوابع الهجومية نحوها فهمس من بين اسنانه وهو يترجل من سيارته " حسنا مولاتي ... حان الوقت لاعلمك درسا حتى لاتتجاهلي اتصالاتي مرة اخرى.."

كانت قد هدأت قليلا مع توقف اتصالاته اخيرا وبدأت بقراءة بعض السور القرآنية القصيرة حين اخذت مسامعها تلتقط بعض الاصوات القادمة من الخارج ! لم يكن لديهم حارس امن او حتى كلب حراسة فوالدها لايحبذ هذه الامور .. ودوما يقول الحافظ هو الله ...

ازداد هلعها وهي تسمع الاصوات تقترب من جهة شرفتها ... نزلت من السرير وارتدت خفيّها وتحركت بخطوات مرتعبة تبحث عن حجابها وروبها فارتدتهما على عجالى وهي تنظر ناحية الشرفة...

شهقت وهي على بعد خطوتين عندما لاح لها خيال انسان من خلف الستائر وهو يعبر سور شرفتها!

للحظات تجمدت من الخوف بينما لسانها يردد " يا حافظ يا الله ... ابعد شره عنّا .."

هذه المرة اجفلت بعنف وهي ترى الخيال يمد يده ليطرق بقوة على باب الشرفة ثم هالها ان تتعرف على صوته وهو يهدر قائلا " افتحي لي حوراء.."

بعدم تصديق وصدمة مروعة كانت تهمس بصوت مخنوق " ظافر ؟!" عاد الصوت الهادر الجامح ليقول بعنف " افتحي الباب .. ارى خيالك فلا تدعي النوم .."

استعادت حوراء بعض رباطة جأشها وحكّمت عقلها لتحاول ايجاد مخرج من هذه الكارثة!

استعانت بالله وتقدمت نحو الشرفة بارتعاش .. فتحت الباب بهدوء شديد لايعكس حالتها مطلقا لتطالعها تلك القامة العضلية التي تنبض بالغضب امامها...

تحركت لتخرج من الشرفة وتغلق الباب خلفها وهي تنظر لعنف عينيه ثم قالت بصوت خفيض تبثه بعض السيطرة والهدوء " انا لااصدق جرأتك ؟! هل تدرك ماذا سيحدث لو علم ابي بمجيئك هكذا .."

قبضتاه ارعبتاها وهو يرفعهما ليقول هادرا " لاتختبري صبري حوراء .. فاليوم انتهى رصيدك عندي .."

ابتلعت ريقها لتقول ببطئ " ظافر .. اتوسل اليك اذهب الان .. اذا كنت غضبت لاني لم ارد على اتصالاتك فاعتذر ولن اكرر الامر .. فقط ارحل الان قبل ان ينكشف وجودك.."

هتف ظافر بحدة " لايهمني من يكتشف وجودي .. ولا تحلمي ... ابدا .. ان اي شيء يمكن ان يمنعني من الوصول اليك ..." صمت قليلا وانفاسه تضيق بصدره ليكمل متوعدا " واياك ثم اياك ان لاتردي على اتصالاتي مرة اخرى ..."

كانت بوادر الغضب تلوح في اعماقها لكنها كبتتها ... الارهاق النفسي ايضا كبتته وركزت جهودها على اقناعه بالمغادرة فورا...

قبل ان تجد الكلمات المناسبة سألها بلهجة جنونية " هل يبيت عندكم ؟" تشوشت وهي تحاول التركيز على مقصده هذه المرة .. همست متسائلة " هل تقصد رياض ؟" رأت توحشه ينطبع على محياه فردت بتوجس " اجل ... " قال من بين اسنانه " في اي غرفة ؟ كم تبعد عن غرفتك ؟ "

صداع اخذ يضرب جانبي راسها بنبض تعذيبي اخذت تفرك صدغيها بيديها وهي تقول بيأس " انت مجنون ... مجنون وانا ... تعبت !... ماذا فعلت لاتألم هكذا واعاني ؟!! "

رؤيتها بهذه الحالة المتألمة شقت طريقها لقلبه .. اوقفت هدير غضبه في ثوانٍ ! اختنق بحاجته ليخفف عنها .. الان وهي تقف امامه هكذا في شرفتها تحت جنح ظلام الليل بينما يرهقها هو بغيرة جنونية لاتوصف... افلتت من عقالها رغم كل جهوده للسيطرة عليها ..

كلما يفكر انها تبيت تحت سقف واحد مع رياض يثور جنونه ليجعله يتصرف بحماقة غريبة عنه ...

عاد لينظر اليها بروب نومها الباهت الذي يحميها من نظراته المتشوقة اليها دوما بينما حجابها تمايل بعبثية ليكشف عن خصلة من شعرها اللامع بضوء القمر...

همس باسمها وقد استبدت به مشاعره " حوراء ..." لكنها انتفضت وهي تشعر به يقترب فقالت وهي ترفع يدها امامه " قف مكانك ظافر.."

ثم شعرت بدموع الغضب تسيل على خديها لتضيف بحدة " متى ستتوقف عن اهانتي هكذا؟! "

رد بصوت مبحوح والغضب يعاوده " ايّاك ان تقولي اهينك ! لااحد ... هل تسمعين .. لااحد يعرف قدرك اكثر مني ... "

دموعها تسيل وتسيل بأسى وهي ترد عليه بتشوش تمكن منها " هل تسمي تصرفاتك نحوي احتراما ؟! هل كلامك وتحركاتك المستفزة نحوي فيها ادنى احترام لشخصي او مبادئي؟ هل مجيئك لشرفتي في هذه الساعة من الليل فيها اي تقدير لي او لعائلتي

والتي هي عائلتك ؟؟ سؤالك عن مكان مبيت ابن عمتي وحده اهانة لاتغتفر !"

رفعت عينيها الباكيتين في صمت اليه وهي تكمل بقهر شديد " وهل اهداؤك لي في عيد ميلادي اسورة عليها فتيات اسيرات في ايحاء واضح لفتياتك الفاسقات وكأنك تذكرني بهن وتساويني معهن .. هل هذا قدري عندك يا ظافر ؟؟"

فتح عينيه على اتساعهما عندما نطقت عبارتها الاخيرة فقال بذهول " هل هذا ما فهمته من الهدية ؟؟!!"

صوت من الداخل جعلها ترتعب لتمسح دموعها سريعا وهي تتوسل اليه " ارحل ظافر ... الان ... ارجوك ... لن احتمل حصول كارثة بسببي.."

نظر لوجهها المبتأس الخائف للحظات فقط ثم قال بغموض هادئ وقد استكانت وحشيته السابقة وتقهرقرت " ادخلي حوراء وساذهب حالا دون ان يراني احد .. فقط لاتقلقي .."

دون اي مناقشة سارعت لتدخل واغلقت باب الشرفة خلفها ... نظرت نحو باب غرفتها تتسمع اي صوت ولكن ... لاشيء ! تنهدت بارتياح ثم التفت سريعا لتنظر ناحية الشرفة لتجد خياله قد اختفى....

لعشر دقائق تحارب قلقها عليه ... لقد تكهنت انه تسلق الشجرة الضخمة بجانب شرفتها ليصل اليها وفي هذا الظلام تخشى عليه من الوقوع بقوة على الارض وهو يعاني من التواء سابق في كاحله ...سماعها لصوت وقوع شيء بعد مغادرته بقليل الهب خيالها باسوأ الاحتمالات ...

تمكن منها الضعف فرفعت هاتفها لتتصل به وهي ترتعش ... صوته كان هادئا وهو يرد قائلا " لقد غادرت .. لاتخافي ... لم يرني احد.."

تنفست الصعداء ثم همست " الحمد لله ..." اضافت بقلق " هل .. هل انت بخير ؟" داعبت نبراته رقة ساخرة وهو يقول " هل قلقتِ عليّ ؟ هل تصورتِ مثلا اني سقطت من الشجرة ؟؟"

اغمضت عينيها وهي تعض شفتيها دون ان ترد فقال متنهدا " انا بخير ... " ثم اضاف ساخرا " ربما مجنون احيانا لكني اجيد الاعتناء بنفسي.. "

قالت بارهاق " حسنا ... تصبح على خير .."

عاجلها قائلا " انتظري حوراء .. هناك امر يجب ان تعرفيه .." صمتت ثم اكمل هو بصوت شغوف " اقسم لك لم يدر بخلدي ان اؤلمك او اقلل من قدرك وانا اهديك الاسورة ... قد اكون احببت استفزازك فقط بمنظر الفتيات المقيدات باغلال العشق وهن مستسلمات سعيدات ... غير هذا لم اقصده.."

تمتمت باختناق " لابأس .." لكنه اصر قائلا بنفس الشغف الذي يهاجم صميم مقاومتها فيصرعها " كل نساء الارض في كفة وانت يا حوراء في كفة اخرى وعندها ايضا كفتك هي الرابحة!"

تهدجت انفاسها وشعرت بهذا الضعف الذي نعشقه رغم خوفنا منه ... همست لتهرب منه " تصبح على خير ..." واغلقت الهاتف سريعا قبل ان تصلها همساته " دوما ستكون الرابحة!"

لايصدق كل هذه العاطفة التي افلتت ما ان عادا البيت وحيدين بينما ولديّهما اختارا اكمال سهرتيهما خارجا .. كل على طريقته...

بدت .. بدت بتلك الهالة الرقيقة التي تتوسل دعمه فلا يطيق الا ان يمنحها اقصى ما عنده..

اطلق شاهر انفاسا متباطئة خوفا من ايقاظها وهي تنام على صدره قريرة العين !

شعرها الذي تحافظ عليه ككنز يدغدغ بشرة ذراعه فيبهج نفسه بهذا الحنان الدافق نحوها..

امال رأسه يتطلع اليها وتلك الدمعة المجهولة المعنى تتعلق باعلى خدها...

انه يحبها ... لايستطيع انكار ذلك وما حدث الليلة ما ان اغلقا باب غرفتهما خير دليل انها تمتلك جزءا خاصا بها وحدها .. جزءا لايمحى مهما حصل .. ورغم ذلك .. ورغم استسلامها العاطفي له وتعلقها كغريقة بعاطفته التي اغدقها عليها هناك شيء خاطئ ! او ربما ناقص ... هناك احساس موحش يخنقه ويشعره بمدى تغيرها ... هل ربما لانها اصبحت تأخذ دائما ولاتعطي ؟ ام لانها تنتظر ولاتقدم ...؟؟

تتركه لتنظر لنفسها في المرآة دون ان تفكر بالنظر اليه والتعمق في روحه ولمس احساسه ... ملأ ذلك الجانب العاطفي المستتر خلف واجهة شاهر الغازي الحكيمة الثابتة ...

تلك الزرقة النادرة للعينين عادت لتهاجم ضعفه بينما نهى بين ذراعيه .. اغمض عينيه لتراوده هذه المرة ابتسامة شقيّة وروح متجددة بالحماسة والاهتمام الحقيقي ..

انوثة ملفتة وجمال صقلته السنون واظهرته روح صاحبته ...

همس في سره باصرار وهو يشدد احتضان نهى اليه " لا ... اياك يا شاهر ... اذا استمريت بالمقارنة هكذا ستفقد سيطرتك حتما يوما ما .."

استكان لنعومتها النائمة بين ذراعيه فاغرق نفسه فيها ولسان حاله يقول " عودي الي ! احتاجك ... فقط عودي ..."

انسحب آسر بهدوء ماكر من قاعة الرياضة في الطابق الاسفل لبيته ... ابتسامة صغيرة كانت تعلو ثغره وهو يتسلق درجات السلم ...

دخل آسر غرفته ليجد نادية في السرير ترتدي نظارتها الطبية وتقرأ في رواية كالعادة...

رفعت نظراتها اليه وقالت " هل تكلمت معه ؟؟"

رد آسر وهو يخلع قميصه ليرتدي ملابس نومه " لا .. وجدته في قاعة الرياضة يتدرب على الملاكمة ... فتركته دون ان اشعره بوجودي حتى .."

رفعت نادية ذقنها قليلا وهي تخلع نظارتها وتقول " هل هو غاضب ويفرغ عن غضبه ؟" رد آسر وهو يغلق خزانة ملابسه " لا ... ان يعيد تنظيم افكاره .."

تحرك آسر ليدخل السرير بجانبها ثم اخذ من يدها الكتاب والنظارة وضعهما جانبا دون ان يبالِ باعتراضها ...

نظر اليها بابتسامة مستفزة ثم مد يده يعيد بعض خصل شعرها للخلف وهو يقول " اكره كتبك!"

ابتسامة صغيرة وحاجبين ارتفعا باغاظة هو كل ما حصل عليه منها .. قال وهو ما يزال يرتب لها خصلات شعرها " لم اكلمه ايضا لاني لااريد الضغط عليه الان... خروجه من سهرة الليلة كان جيدا وهو ادرك انه لن يتصرف بلباقة ففضل الخروج .. ما اقلقني بصراحة هو اين كان بالضبط ؟! "

عبست نادية وقد اعتراها القلق ثم قالت " ماذا تقصد آسر ؟ مؤكد ذهب مع اصدقائه او حتى صديقة تافهة له ليرفه عن نفسه .."

ضحك آسر عاليا مما ازعج نادية فضربته على كتفه وهي تقول بحنق " لماذا تضحك كمجنون هكذا ؟!"

امسك بيدها التي تضربه فقبلها وهو يقول باستفزاز " اضحك لانك رغم معاشرتك للغوازي كل هذه السنوات لم تدركي كيف يفكرون عندما يعشقون .."

رمشت نادية لتقول بتوجس " اياك ان تفكر بأنه ذهب اليها مثلا ؟! " رد آسر وهي يهز كتفيه " لااعرف ... لكني كنت متخوفا من ان يفعلها "

شهقت نادية " يا الهي ! ستكون كارثة ان فعل هذا وعلم بلال !" رد آسر وهي يرفع ذقنه بكبرياء " اولا واخيرا هي ابنة عمته .. وعموما ما دام لم يحصل شيء اقصد لم تتصل بنا نجلاء معنى هذا .." قاطعته نادية لتكمل جملته براحة " انه لم يذهب .."

لكن آسر ضحك وهو يغمز قائلا " او .. ذهب ولم يمسكه احد!"

كزّت نادية على اسنانها غيظا بينما آسر يضحك من قلبه ليقول اخيرا يطمأنها " حبيبتي ... لاتقلقي ... رأيته كيف يوجه لكمات ثابتة لذلك الكيس وعيناه تلمعان بالتفكير الهادئ العميق ... مهما كان ما فعله الليلة فقد جعله يعيد حساباته ويفكر كظافر الغازي الذي اعرفه.."

التزمت نادية الصمت وعيناها تسرحان بعيدا ! عقد آسر حاجبيه وهو يقول " ما بك نادية ؟!"

ردت وهي تنظر اليه بتفكير " سلسبيل لم تعجبني الليلة بحضور رياض .."

هدأت ملامح آسر بينما اكملت نادية " كانت تبدو غريبة عن سلسبيل التي اعرفها ... بدت ... وكأنها مبهورة برياض وهذا غريب عن شخصيتها !"

اطرق آسر بابتسامة صغيرة وهو يقول " ولماذا غريب ؟ رياض شاب وسيم وملفت ولديه ذكاء واضح وشخصية محبوبة ... صحيح هو منافس لظافر على حوراء لكن عدم الاعتراف بنقاط قوة العدو غباء !"

هزّت نادية راسها باستهجان وهي تقول " ايّ عدو ؟!! اقسم اني تزوجت رجلا مجنونا لانجب منه ولدا وبنتا اكثر جنونا !!"

رفع آسر نظراته اليها وقال وهو يعض شفته السفلى " مؤكد اني مجنون وهل كنت ستجدين رجلا بكامل قواه العقلية ليتزوجك .."

كان مستعدا لثورتها ويتوقعها بينما اخذت ترميه بكل تطاله يدها وهو يضحك باستمتاع لايوصف ..

في الصباح

ارتدت حجابها وهي تتجه نحو الباب بصمت...

لم يحتمل منها هذا الجفاء فناداها وهو يكمل تزرير قميصه على عجل " صغيرتي توقفي.."

اوقفت نجلاء خطواتها دون ان تستدير نحوه ثم قالت " نعم بلال ..." تقدم خطوة ليقول بحلو النبرات " شحات الغرام لم يأخذ قبلة الصباح .."

تنهدت نجلاء بقوة قبل ان تستدير اليه لتتقدم نحوه بهدوء دون ان تنظر اليه ... وصلت اليه ومدت راسها عاليا لخده فطبعت قبلة سريعة وابتعدت..

ارادت الذهاب لكنه امسك ساعدها ليعيدها اليه ثم بيده الاخرى امسك ذقنها يرفع وجهها نحوه...

نظرت اليه بتحدٍ غاضب بينما هو يتبسّم ويقول " يالِ هاتان العينان الغاضبتان الحانقتان على بلال !"

ظلت تنظر اليه بعنفوان بينما هو يتملى فيها بتسامح ثم قال برقة " صغيرتي هل ستدعين شيئا يقف بيننا ؟!" زمّت شفتيها لترد بحنق تعكسه نظراتها " انت من تفعل هذا .."

قال وهو يميل براسه قليلا " كل هذا لاني لم اخبرك بمجيء رياض ؟" التمعت عيناها بالفطنة وهي تقول " بل لانك تخطط لحوراء دون اعتبار لرأيي .."

رفع حاجبيه قليلا ثم قال بدهشة " انا لااخطط بخبث كما تتصورين ! المسألة اني اردت .." قاطعته لتقول بصراحة " اردت ان تزرع ابن اختك بلقيس في طريق حوراء ... تريد احياء تلك الوعود التي كنتما تتبادلانها انت وبلقيس قبل سنوات عديدة حول تزويج رياض بحوراء .." صمتت لتضيف بغيظ " ام ربما يجب ان اقول (حورية)؟!"

ضحك بلال بخفة وهو يحرك انامله على خدها بينما هي تنظر اليه وشرر آل الغازي يقدح منها..

قال بلال اخيرا " اسمعيني صغيرتي ... كل ما افعله اني اعطي الخيارات لحوراء .. اريدها ان تفكر بعقلانية .. انا اب يا نجلاء ومن حقي ان اطمئن على ابنتي ... لو كانت سعادتها مع رياض فهل ستقفين في وجهها لمجرد انك تريدين تزويجها لظافر ؟؟"

نظرت اليه بعمق لتسأله هي سؤال معاكس " ولو كانت سعادتها مع ظافر فهل ستقف في وجهها ؟"

ابعد كلتي يديه عنها واسبل اهدابه ليقول بصوت محايد " انا لن اقف بوجه سعادة ابنتي مهما كان لكني لن اقف مكتوف اليدين دون ان اوجهها او على الاقل انصحها بما اراه صحيحا .. هذا واجبي كأب وساحاسب يوم القيامة عليه.."

تحركت نجلاء لتبتعد فناداها قائلا " نجلاء!"

ردت بهدوء " لدي ضيف يجب ان انزل لاعد فطورا ملائما ..." صمت فصمتت هي وقبل ان تفتح الباب قالت " انا لن اقف بوجه سعادة ابنتي ابدا .. اريدها ان تكون سعيدة وراضية .....مثلي .."

ابتسم بحنان وهو يراقبها كيف فتحت الباب بإباء وشموخ دون ان يخدعه عقله بسكونها الخارجي هذا ... فنجلاء الغازي ربيبته قبل ان تكون زوجته وهو يعرف عقلها كيف يفكر عندما تريد شيئا..

نظرت حوراء مطولا للاسورة ... هذه المرة تراها بشكل مختلف ! (فتيات مقيدات باغلال العشق وهن مستسلمات وسعيدات !) ابتسمت دون ان تشعر واخذت تلامس تلك الصور...

وجهه ... نظراته ... ابتسامته المغيظة ... جنونه المنفلت ... اختفت ابتسامتها شيئا فشيئا وعادت للواقع ... رفعت وجهها لمرآتها ... تدقق النظر فيه وتهمس " ماذا ترى خلف هذا الوجه يا ظافر ؟ هل تجدني انا حقا ؟ ام تجد ما تريد ان تجده فقط ؟؟ جمال فانٍ وتمنّع تريد قهره وحجاب تريد كشف ما يخبؤه ...؟"!

نهضت تتحرك في شعور خانق بالحيرة والاضطراب ... قالت لنفسها " وماذا الان حوراء ؟! هل اصبحت تتقبلين جنونه المتزايد هذا ورغبته الغير مفهومة للاستحواذ عليكِ ؟ ما فعله بالامس لايغتفر !"

نظرت نحو الشرفة لتهمس بوجل " هل حقا فعل ما فعل ؟! هل حقا وصل الى شرفتي بعد منتصف الليل ليسألني اين ينام رياض ؟!"

رن هاتفها فجأة ! تطلعت نحوه قبل ان تتحرك لتلتقطه من على المنضدة المجاورة لسريرها..

اسمه يضيء لتضيء كل الافكار في راسها...

فتحت الخط وهي تقول بتردد " صباح الخير.."

رد بصوت اجش " هل قلتها لاحد قبلي اليوم ؟؟"

احمرت واضطرابها يتزايد فاعاد السؤال بالحاح " هل قلتها حوراء ؟ "

يا الهي ! ما الذي يحصل ؟ والى اي شيء تنقاد ؟؟ وهذا الخوف اللذيذ منه لماذا تسمح له بالسيطرة عليها ؟؟

ناداها " حوراء ... " ردت بتلكؤ " ظافر ما تفعله لايجوز .. انا لاافهمك ... ولاافهم الاعيبك هذه .. ما زلت لااصدق ما فعلته بالامس ! ماذا جرى لك ؟!"

قال بهمس حار جعل خفقات قلبها تصل عنان السماء " آسف لما فعلته ... آسف لاني اطمع بحقوق أكثر مما استحق .. وآسف لاني استغل كل نقطة رقة وحنان واهتمام لديك لاطالبك بالعفو والصفح .."

لاتعلم لمَ دموعها اصبحت قريبة هكذا لكنها تبكي بصمت ... تبكي وهي لاتعرف كيف ستخرج من هذا النفق الطويل المبهم الغامض..

همس بنعومة فائقة " اقسم ان رؤية دموعك بالامس حطمتني ! انا لااطيق ان اراك تتألمين حوراء .. ولااطيق ان اتسبب لك بأيّ اذى .."

تحشرج صوتها وهي تقول " حسنا ظافر سانسى كل ما حدث لكن اتوسل اليك راعِ الله فيّ ولاتحملني فوق طاقتي .."

قال بلهجة غامضة لم تتبينها " اعدك اني ساسعى دوما لفعل ما يسعدك .."

صوت والدتها المنادي جعلها تترك تفسير ما يعنيه بالضبط لتقول بعجالى " حسنا ظافر يجب ان اذهب ... امي تناديني .."

ابتسم وهو يقول بانشراح " فقط ردي على اول سؤال ... هل انا اول من قلت له (صباح الخير) ؟"

عاد صوت امها يناديها فقالت بغيظ " لماذا هذا الالحاح ؟!! اجل انت الاول .. هل ارتحت ؟"

ضحك بخفة وهو يقول باستفزاز محبب " دوما ساكون الاول .."

سارعت لتودعه وتغلق الهاتف بينما على الطرف الاخر كان ظافر يطبع قبلة على هاتفه وهو يهمس " انت حق الغازي الان يا مولاتي ... لا رياض ولا غيره سيأخذك مني .. كنت مغفلا ولكن ما حصل بالامس جعلني افيق ! كأن شعلة اضاءت في رأسي على حين غفلة ..."

وضع هاتفه جانبا وهو يعود للاستلقاء على سريره .. كان راضيا عن نفسه لانه حجّم غيرته ولم يسألها عن رياض ... عليه ان يصل اليها بطريقة صحيحة .. قال بعينين تلمعان بالعزم " سأجعلك تدركين معنى العشق اللامحدود ومعنى الأسر لشخص واحد مدى الحياة ودون رجعة .."

احتدت نظراته وهو يضيف " ساجعلك أسيرتي كما جعلتك مولاتي .. "

صوته حمل بحة اللهفة " شيئا فشيئا .. خطوة بخطوة ... وساستمتع بكل قطرة ارتشفها منك .."

استيقظت سلسبيل وهي تتمطى في سريرها ... ما اجمل ان يستيقظ المرء دون ضغوط مواعيد ليفعل ما يشاء وقتما يشاء ... ابتسمت وعيناها تلمعان بينما افكارها تقودها لليلة الامس ... عضت شفتها السفلى بعبث ماكر بينما تهب من سريرها بقميص نومها القصير ... تحركت بميوعة نحو حمامها وهي تنثر خصل شعرها بفوضوية وتدندن باحدى الاغنيات ...

عندما خرجت من الحمام بالمنشفة التي تلفها حول جسدها كانت ما زالت تدندن ... هاتفها رن .. توجهت نحوه بنشاط لتفتحه وهي تقول بمرح "

مرحبا با ابن عمي الوسيم ..." ضحك مهدي بخفة وهو يقول " ألن تتوقفي عن محاولة احراجي ؟!"

ردت وهي تهز كتفيها بينما تلقي بجسدها على سريرها " ولماذا احرجك ؟! انها الحقيقة البحتة !"

تنحنح مهدي قليلا ليقول " توقفي سلسبيل عن اغاظتي والا تراجعت عن خطتي لهذا اليوم .."

هبّت من السرير وهي تقول بحماسة " لا ... لا ... اعدك لن اخبرك اي حقائق اخرى ما دامت تغيظك ! فقط قل لي ما هي خطتك يا وسيم ...؟"

ضحك مهدي مرة اخرى وهو يقول " كم انت مشاكسة ... حسنا ... بما ان هديتك لي بمناسبة عيد ميلادي كانت دراجة هوائية وبما ان الجو صباحا يكون منعشا ففكرت ان نخرج معا الى احدى الحدائق المطلة على البحر ويمكنك ان تحضري دراجتك طبعا .. ما رأيك ؟؟ "

اخذت تقفز بطفولية وهي تقول مرحبة " فكرة رائعة ... رائعة .."

لم يشعر بابتهاج كما شعر به اليوم .. هذه اول مرة يطلب منها الخروج سوية بمفردهما ... كان يتحاشى هذا رغم الحاحها ببراءة احيانا ولكنه يخاف عليها من مشاعره ويراها صغيرة لتدرك مشاعرها هي ايضا ... يريدها ان تتفتح على مهل ليستمتع برؤيتها تتفتح من اجله ... لايعلم لمَ اليوم تجاوز عن الحدود التي يضعها عادة بينهما ؟! بل ربما هو يعرف ويخشى الاعتراف ... يخشى ان يواجه نفسه بما استشعره ليلة الامس من اعجاب سلسبيل برياض !

اجفل عندما سمعها تناديه بنزق " مهدي ! اين ذهبت ؟!!" رد " انا هنا .." لكنها تذمرت قائلة " كيف هنا واناديك وانت لاترد ؟!!"

ضحك معتذرا " آسف ... ربما سرحت قليلا .."

قالت سلسبيل بحماسة غير عادية " اذن اسمعني الان بتركيز ... انا ساخبر ظافر ليأتي معنا وانت اخبر ماهر بالطبع .." ثم تنحنحت قبل ان تكمل " ثم اتصل بحوراء لتدعوها ايضا .."

تراجعت بهجته ! والتقط ذبذبات لم تعجبه منها .. غامضة مبهمة غير مفهومة ! قال بهدوء يخفي خيبته " حسنا سلسبيل ساخبر ماهر واتصل بحوراء .."

هتفت سلسبيل بفرح " شكرا لك يا وسيم .."

قال مهدي مستفسرا " لكن ... لمَ تطلبين مني دعوة حوراء ؟! لماذا لاتدعيها بنفسك ..؟!"

تلعثمت سلسبيل بغرابة وهي تقول " حسنا .. بما اننا سندعو حوراء فيجب ان ندعو ... رياض ايضا اليس كذلك ؟ وهو قد يشعر بالحرج اذا دعوته انا ولذلك من الافضل ان تدعوه بنفسك !" ...

الفصل السادس

اغلق مهدي هاتفه وهو غارق في افكاره فلم يتنبه لوقفة اخيه ماهر عند باب غرفته ولا نظرته الذكية المتفهمة لما يجول بخاطره ...

قال ماهر بنبرة هادئة " لماذا وافقت ؟!" رفع مهدي رأسه ليتطلع لاخيه وهو يقول ببعض الدهشة " لم اشعر بوجودك ؟ منذ متى تقف هنا ؟"

تقدم ماهر بضع خطوات وهو يقول " منذ دعوتك لسلسبيل .." سكنت ملامح مهدي بالغموض ليقول بعدها " هل تجد تصنتك على مكالماتي مقبولا ؟"

هزّ ماهر كتفيه وهو يجلس باهمال على سرير مهدي ثم قال بلا مبالاة " لاتهتم بي ... اهتم بمشكلتك فقط .." عبس مهدي وهو يسأل مستهجنا " ماذا تقصد بمشكلتي ؟!!"

رد ماهر وهو يميل براسه جانبا " مشكلتك في حماية سلسبيل من عنف مشاعرك نحوها والتي تجيد اخفاءها .."

نهره مهدي بغضب بارد " لااسمح لك بالتكلم معي هكذا .. الزم حدودك ماهر .."

قال ماهر بنفس اللامبالاة المستفزة " بالنسبة لنا نحن الغوازي الحدود وجدت لتكسر اخي ..."

حدجه مهدي بنظرة غاضبة محذرة فاطرق ماهر مبتسما ثم هبّ واقفا على قدميه وتحرك وهو يقول " سأكون جاهزا بعد ربع ساعة ولاتقلق .. انا ساتصل بحوراء وانا من سيدعو ذلك ال(رياض) ... وربما انا من سيلكمه ان لم يعرف حدوده ..."

تنهد مهدي وهو يعاود النظر عبر زجاج باب شرفته ثم قال " يجب ان اراها عن قرب معه .. لااريد ان اتسرع الحكم ..." ثم عصفت عيناه وهو يهمس " وان تأكد لي فأقسم لن اتركها له .."

كانت حوراء تضحك من قلبها بينما رياض يخبرها باحدى المقالب التي وقع فيها من زميله في آخر شركة عمل فيها ...

كانت لرياض طريقته الهادئة والممتعة بالسرد بينما لم تتأثر طريقة قيادته للسيارة الرباعية الدفع التي اعارها له خاله بلال حتى يقتني واحدة لنفسه ..

شعرت حوراء بصفاء البال رغم بعض توجسها من القادم ... في البداية كانت سترفض دعوة ماهر لكن نظرة منها وقعت على الاسورة في يدها جعلها تغير رأيها ... ارادت ان تراه كيف سيتصرف مع رياض ؟ فضول متوجس وامل من القلب انه سيحترم وجودها ولن يفتعل فضيحة !

سمعت رياض يقول ببشاشة محببة " وصلنا ..." التفتت اليه فابتسمت لابتسامته وشعور جميل يملؤها اطمئنانا ! لم تلتقِ برياض الا بضع مرات خلال هذه السنوات عندما رافقت والدها في بعض سفرياته لزيارة العائلة واحيانا كانت لاتراه لوجوده

في مناطق نائية من ذلك البلد بحكم عمله ... لكنها كانت دوما على تواصل معه عبر البريد الالكتروني حاله كحال باقي اقاربها لكنها تعترف ان رياض له مكانة اكبر ربما لقرب طباعه وميوله منها ...

صوت رياض المشاكس اخرجها من شرودها وهو يقول " ابناء خاليّكِ مرعبين حقا ! انظري اليهم كيف يصطفون كجبابرة في انتظار الانقضاض علينا ولا يلطف من الصورة الا وجود تلك المشاكسة المبتهجة سلسبيل ..."

ضحكت حوراء بارتجاف وهي تدير راسها لتنظر عبر نافذتها الجانبية ... اصطفت ثلاث قامات قد لاتتمتع بطول فارع ولكن مؤكد عضلية ! عيناها استقرتا على اكثرهم ضخامة تحاول لمس مزاجه من وقفته دون جدوى ! وارتداؤه لنظارة شمسية سوداء زاد غموضه .. فقط ذلك الايحاء العابث الذي تحمله شفتاه من يعطيها لمحة بسيطة عن مزاجه ..

همست في سرها " فقط لاتفتعل مشكلة ... فقط ساعدني لاجد طريقة للتعامل معك كما احب..." ..

ترجلت امام ناظريه دون ان تفوته تفصيلة واحدة من تفاصيلها ... بنطال قطني اسود عريض يعلوه قميص ازرق فضفاض وطويل يصل لركبتيها ..
حجابها الازرق لائم لون بشرتها فبدت ملفته .. نفحة هواء حارة خرجت من بين شفتيه وهو يتذكر وقوفها امامه في الشرفة ليلة الامس بملابس مختلفة .. اكثر حميمية ... ادراكه سحبه لينظر نحو الجهة الاخرى من السيارة بينما رياض يترجل منها هو الآخر وتلك الابتسامة الغريبة على وجهه ...

بارادة فولاذية كان ظافر يبتسم هو الآخر بينما سبق ابنيِ عمه ليتقدم نحو رياض ليرحب به بهدوء ..

بعد مصافحته التفت اليها بابتسامة شغوفة عوّدها عليها ثم قال " صباح الخير .." تلعثمت رغما عنها لانها تذكرت مكالمته لها صباحا فتمتمت " صباح الخير .."

ثم تحركت تسلم على سلسبيل وولديّ عمها شاهر وهي تحاول ان تداري احساسها بانها مكشوفة ..

عضلة في خد مهدي ارتجفت رغما عنه وهو يرى سلسبيل تضاحك رياض بينما رياض يرمقها باعجاب لم يستطع مهدي تحديد ابعاده ... رياض هذا رغم بساطته ووضوح شخصيته الا انه يجيد اخفاء انفعالاته ... انه يعلم يقينا بأن العم بلال احضره ليزرعه في طريق حوراء ويبعد ظافر عن الواجهة ..

فهل رياض يشارك العم بلال برغبته في الارتباط بحوراء ام ان رياض تغيرت اولوياته وتحولت رغبات الارتباط لديه نحو سلسبيل ...

" لله درّك يا رجل ! سأطرحه ارضا ان لم تفعل انت او ظافر !.." همسة اخيه ماهر الغاضبة لم تؤثر على هدوئه الخارجي بينما حرّك دراجته قال لماهر " اهدأ ... احضر دراجتك وهيّا بنا ..."

عادت نظرات مهدي لتلقي باهتمامها على سلسبيل وهي تقف قرب دراجتها برشاقة بينما ابتسامتها اشرقت وهي تتناقش مع رياض في السياسة !

التفاته حادت منه للخلف نحو ظافر وحوراء .. ابتسم في سره وهو يدرك سعادة ظافر التي يحاول جاهدا السيطرة عليها بينما يساعد حوراء لركوب دراجتها ...

هتفت سلسبيل بحماسة قبل ان يصل اليها مهدي وماهر " رياض ما رايك ان تسابقني ؟ من يصل حدود البحر اولا ؟ وسنسلك الطريق العريض المباشر .."

قال رياض مبتسما وهو يصعد فوق دراجته " مؤكد أنا الفائز ..." ضحكت سلسبيل وهي تركب دراجتها هي الاخرى عندما علا صوت ماهر الذي شابه نبرة معينة وهو يقول بابتسامة مستفزة " بل أنا من سيصل اولا .." ثم التفت نحو مهدي ليضيف " وربما مهدي .. او ظافر " ليكمل ضاحكا " او حوراء اذا تمكنت اصلا من السيطرة على دراجتها ولم تقع !"

عبست سلسبيل وكأن الفكرة لم تعجبها فتجاهلها مهدي ليقول وهو يتطلع من فوق كتفه نحو ظافر وحوراء " اتركوا حوراء خارج السباق حاليا ... مضى زمن طويل لم تركبها ... " فقال رياض ببساطة " لاباس سأبقى معها وانتم تسابقوا .." لكن ماهر وقف في طريقه مبتسما " لاتهرب من السباق يا بطل ولا تتحجج بحوراء فظافر مؤكد لن يتركها بمفردها .." اطرق رياض ولم يعقب بشيء غير " حسنا .."

حوراء وظافر كانا في وادٍ آخر تماما ! اشفق ظافر عليها وهو يراها تحمر حرجا وتوجسا .. الاصوات حوله تزعجه ! كم يتمنى ان يختفوا ليركز معها فقط ويستاثر بها لنفسه ...

قال يحثها بنعومة لايظهرها بسهولة " حوراء لماذا ترددين ؟؟ لااحد ينسى ركوب الدراجة صدقيني .. انها مهارة لاتنسى ابدا .."

عضت شفتها السفلى فابعد نظراته نحو عينيها ليقهره خوفها الطفولي الطافح من نظراتها ... ابتلع ريقه وهو يبعد نظراته عنها كليا ليركز على نقطة ما بعيدة وهو يضيف بصوت مبحوح " ثقي بي .. سنبدأ بحركة هادئة وبعدها ستستمتعين ... "

قالت بعدم راحة " انا لااخشَ الوقوع فحسب .. انا .. انا ..." التفت لينظر اليها متسائلا لتكمل بارتباك " اشعر اني سابدو مضحكة .. " رفع حاجبيه عاليا بدهشة وهو يقول " مضحكة ؟!!" فقالت وهي تعود لعض شفتها السفلى " الا ترى اني محجبة ظافر ؟! اليس غريبا وجودي بينكم لاركب دراجة معكم ؟"

استهجن كلامها وقال بحزم مؤثر " لاتقولي مثل هذا الكلام حوراء .. ليس هناك ما يعيب ركوبك دراجة هوائية مع اقاربك .. واذا كنت تتحرجين من الناس فالحديقة فارغة تقريبا في هذا الوقت وحتى لو وجد .. ملابسك محترمة وتداري جسدك بالكامل ... "

صمت لينظر لتعابيرها التي ما زالت مترددة فاضاف بلهجة لاتراجع فيها " ستركبين الدراجة حوراء وستستمتعين ولن تفكري باشياء حمقاء ... انت في الثالثة والعشرين فقط ان لم تمرحي الان فمتى ستفعلين ؟!!"

حركت شفتيها بطريقة محببة مغرية بالنسبة له ثم قالت باستسلام " حسنا ... " عندها فقط تنبهت للجمع المغادر فقالت بدهشة " لقد تركونا !"

ابتسم لها وعيناه تلمعان ثم قال " ولكني لن اتركك ابدا ..." ثم ازدادت لمعتهما وهو يضيف " شكرا لارتدائك الاسورة .."

كان يعلم انه خبيث تماما وهو يضللها بعيدا عن الطريق الذي سلكه الباقون ... لكن ما اراحه انه كان مسيطرا تماما على نفسه بينما قلّ تشنج حوراء وقد بدأت تستعيد ثقتها بنفسها لتقود دراجتها بفرح حقيقي ...

هو ايضا كان سعيدا والفرح يلقي بسحره على مزاجه ليكون طيعا لها مراعيا لحدودها التي تقدسها ...

" انتبهي حوراء !" جملة قالها بعد فوات الاوان فبينما كانت ترتب حجابها بيد وتمسك مقود دراجتها باليد الاخرى لم تستطع تفادي بعض الصخور التي ظهرت فجأة امامها ...

لم يشعر كيف رمى دراجته بعنف ليقفز نحوها .. بدت متألمة وهي ترزح تحت الدراجة بينما احدى ساقيها علقت فوقها بين اسلاك الاطار ...

خفق قلبه ولايعلم لماذا بالضبط ! لكنه فقط يتوجع ببلاهة وضعف لرؤيتها هكذا ...

مد يده اليها وهو يقول بقلق " هل انت بخير ؟" بعفوية مدت يدها نحوه وهي تهمس مغمضة العينين " اشعر ببعض الدوار ..."

التقط يدها بينما يده الاخرى خلصت ساقها العالقة وفي اللحظة التالية اوقفها على قدميها لتترنح وتسقط على صدره !

جف فمه وهو يمسك جسدها للحظات فقط قبل ان تبعد نفسها عنه وهي تقول محمرة " آسفة .."

لكنه لم يكن آسفا ! ابدا ليس آسف .. " اهدأ ظافر .. تمالك نفسك ... ابتعد الان ... اجل ابتعد ... فورا .."

لم يتأخر لحظة اخرى وهو يتعثر تقريبا بخطواته المتراجعة قائلا " اجلسي على .. الحشائش وساحضر لك بعض الماء او ربما العصير لتنتعشي .."

لم ينتظر ردها ... هرب سريعا وشياطينه تلاحقه تتعلق بجلده تؤجج النار وتهمس له كيف يطفيها !

قنينة الماء البارد تجرع نصفها ليسكب ما تبقى منها على وجهه .. تلك القنينة البلاستيكية اخذت بعدها تطلق اصوات استغاثة وهي تتعرض لبطش قبضته ..

رمي القنينة بعيدا بعد ان تشوهت بانبعاجاتها ليهمس بسحر يأبى عتقه " ملمس بشرتها على يدي كان .... آآآآآآه ..."

رفع يده لفمه يلثم باطن كفه حيث استقرت كفها الريّانة اللينة لبضع لحظات فقط ... اغمض عينيه وهو يحيي ذاكرته بملامسةِ اشد فتكاً .. ذلك الجسد وتلك الرائحة ... مزقه الشوق وهو يهمس " وتلك الشفتان آآآآآه يا ربي هل حظيت يوما بقربهما هكذا ؟ ام حظيت يوما بعذاب كعذاب تركهما تفلتان من ظمأي .."

اخذ يمسح وجهه من اثار الماء الذي سكبه عليه وافكاره تصارعه ... ماذا سيفعل بهذه النار المغوية ؟ وكيف سيصبر عليها ؟؟ كيف سيؤتى القوة ليحتمل حتى تستسلم هي بأرادتها وتخضع لعشقه كما هو خاضع متذلل بعشقها ....

" ظااافر ..."

تماسك ظافر واستعاد رباطة جأشه وهو يلتفت نحو ماهر ... قال له ماهر بابتسامة ماكرة " ماذا تفعل هنا تاركا حوراء جالسة على الحشائش كطفلة شريدة !" ابتسم ظافر بصعوبة متحديا نظرات ابن عمه الذكية ليقول " بل قل انها سقطت كطفلة مبتدئة بركوب الدراجات !"

اتسعت ابتسامة ماهر وهو يقول " لقد اخبرتنا بمأساة وقوعها ... لكنها قالت انك ذهبت لاحضار بعض الماء لها وقد تأخرت بالعودة .. " ثم عبس ماهر مضيفا " اين هاتفك يا رجل ؟! اتصلنا بك كثيرا ولا ترد !"

ارتدى ظافر نظارته الشمسية وهو يقول " نسيته في السيارة ..."

تبسم ماهر بمكر بينما قال وهو ينظر لقنينة الماء الجديدة في يد ظافر " حسنا ... اذا كنت اشتريت هذه القنينة لحوراء فيمكنك شربها فقد احضر لها رياض بدل القنينة .. اثنتين !"

رؤيتها تصعد بجانبه في السيارة ليغادرا معا استنفذت طاقته .. تلك الطاقة التي استهلك نصفها ما ان عاد مع ماهر في وقت سابق ليجد رياض يضاحكها بينما اخته سلسبيل تنظر اليهما بنظرات غريبة ! اما حوراء فقد تجنبت النظر اليه ولكنه لم يتضايق ! لقد ادرك كم هي كائن محمي من اللمس الغريب .. لمس لم تتعوده ولاتتقبله خلايا بشرتها العذرية ... انها ببساطة كانت غارقة بخجلها منه لوقوعها على صدره ولو لبضع لحظات ..

" ظافر هيّا لنعود ... الجو اصبح حارا .." التفت نحو سلسبيل بينما يستعيد سيطرته لتجذبه تعابير وجه اخته .. اخذ يتطلع اليها وقد بدت في حالة غير مفهومة للجميع لكنه ... يفهمها !

بطرف عينه لمح جمود مهدي وهو يضع كلتيَ يديه في جيبه .. وحده ماهر من بدى مستمتعا ! تحرك نحو دراجته البخارية ليقفز فوقها وهو يقول لمهدي " ارجوك اخي لاتنسى ان تأخذ دراجتي الهوائية معك ... " ثم لوح نحو ظافر وسلسلبيل وهو يقول مبتسما " اراكما قريبا ... كان يوما جميلا .."

التفتت سلسبيل نحو مهدي تبتسم ببراءة وتقول " شكرا للدعوة ... كان صباحا مشرقا .."

تطلع مهدي نحوها وقد ارتسم هدوء محير على محياه ثم همس وهو يتحرك نحو سيارته " سعيد لسعادتك ... الى اللقاء .."

" حسنا سلسبيل .. عندما يشرق محياك هكذا وتسكن عينيك هذه النظرات الغازية اعلم انك تسعين نحو هدف .. فهل اصبح هدفك رياض ؟ ام ان هناك شيئا لاافهمه ؟! لعبة تلعبينها لااعرف مغزاها .. هل غايتك قلب رياض ام ... " لم يكمل مهدي حديث نفسه المسموع هذا ... فالتفكير بالاحتمالات التي تسعى اليها سلسبيل مرهق حقا ..

والاكثر ارهاقا انه لايعد نفسه احدى هذه الاحتمالات او الاهداف !!

اخذ يطرق بانامله على مقود السيارة وهو يردد " الى ماذا تسعين يا ابنة الغازي ؟! الى ماذا بالضبط ؟"

نظر اليها بطرف خفي وقد بدت سعادة غير اعتيادية تتراقص في عينيها وتفضحها حمرة خديها ... ما الذي تشعر به نحو ظافر الغازي ؟! هما الاثنان يثيران الحيرة فعلا ! بينهما ترابط خفي .. مشحون متوتر احيانا.. لكنها تهتم به بطريقة مختلفة عن اهتمامها بالاخرين وهو يحوم حولها كأسد متوثب ... لو كان يريدها زوجة فماذا يمنعه ؟!!!

قالت حوراء بسعادة نابعة من اعماقها " اليوم كان رائعا ! لم اركب الدراجة الهوائية منذ سنوااااات .."

ابتسم رياض وهو يحرك حاجبيه مغيظا " هل تحاولين تبرير وقوعك من عليها ؟!" لايعرف لما ازداد احمرار حوراء وهي تقول ببشاشة تداري بها شيء آخر " كان عليك رؤيتي متكومة فوق وتحت الدراجة بينما ظافر لايعرف من اي يبدأ لتخليصي !"

لم تُمحَ ابتسامته وهو يقول بلطف " يبدو ان ظافر يخاف عليك كثيرا ...." ردت حوراء بابتسامة غير اعتيادية " نعم ... منذ الصغر يشعر ان حمايتي هي مسؤوليته ... وحده ... "

همهم رياض ب" امممممم.." ولم يعقب اكثر بينما في راسه يتداول افكارا مختلفة ... فما بين حوراء وكل ما يتعلق بها تبرز صورة تلك الساحرة الصغيرة ... سلسبيل ! همس في سره " يجب ان اتحدث لخالي بلال ..."

" مرحبا امي ... مرحبا آسري ..." القت سلسبيل تحيتها المرحة وهي تقبلهما واحدا تلو الآخر بينما كانا جالسين معا في المطبخ يشربان القهوة سوية...

اختصت والدها باحتضانة كبيرة وهي تلف ذراعيها حول عنقه من الخلف وتهمس في اذنه " لماذا لم تأتي معنا ؟ كنت ستلتقي باحدى الاناث المستعرضات اجسادهن ببناطيلهن الضيقة القصيرة وقمصانهن الفاضحة ... "

ضحك آسر بخفة ثم قال بخبث وهو يتطلع نحو نادية " خسارة !" بينما نادية رفعت حاجبيها قليلا لتسأل ابنتها ببراءة مصطنعة " ألم يكن معهن رجال مفتولي العضلات ؟"

اغرق آسر بالضحك بينما جلست ابنته في حجره تتنعم بالاحساس الرائع وهي تلقي رأسها على صدره ..

قالت نادية وهي تنظر لظافر عبر نافذة المطبخ " ما باله يقف خارجا ؟ لماذا لم يدخل ..؟!"

ردت سلسبيل وهي تغمض عينيها باسترخاء لذيذ " انه يفكر امي ... يفكر ... ويشحن تلك الارادة ليواجه ..."

عبست نادية وقالت بشرود " المهم ان يعرف ما يريد مواجهته !"

كاانت سلسبيل قد غفت في حضن ابيها فاطرق الاب راسه ليهمس في اذنها بابتسامة مرحة حنونة " ماذا واجهتِ انت اليوم صغيرتي واستنفذ قواك هكذا ؟!"

لم يلقَ الرد ولم ينتظره .. بل وقف على قدميه وهو يرفعها معه برفق حتى لاتستيقظ ثم قال لزوجته " ساضعها في السرير .."

تمتمت نادية ب(نعم) بينما عيناها لاتحيدان عن ظافر في وقفته الشامخة هذه وكأنه قائد حرب !

احساسه غريب اليوم .. مرهق لكنه سعيد ! ارهقه كبت رغباته نحوها التي كان يداريها عنها سابقا خلف تبجحه معها واستفزازه الدائم لها ... ارهقه ان يتصرف معها بعفوية مبطنة بنوايا خبيثة لامتلاكها ... ارهقه تسامحها معه حتى انها لم تذكر شيئا مما حصل ليلة الامس وجاءت مرتدية الاسورة في لمحة سلام ولتبدأ صفحة جديدة بينما هو تفكيره كله ينحصر بما حصل في تلك الصفحة لتشكل نقطة تحول في قراراته ..

ارهقه .... ان يراها معه ... تضاحكه ويضاحكها ... دون ان يهشم اسنانه اللامعة ... ان يراها تشاركه الركوب بنفس السيارة والعيش تحت سقف نفس المنزل ولو بشكل مؤقت .. ارهقه اكثر كبت كل العنف الذي يصحو ببدائية تخيفه شخصيا لاي اقتراب بسيط عابر من اي رجل نحوها فما بالك باقتراب حميم كهذا من رجل يعرف جيدا ان مخططات تحاك لتزويجه بحوراء !

تقبضت يداه والعنف يصحو من سباته الاجباري فتهاجمه خيالاته عنهما معا وكأنها جيوشا خفية تستحث عنفه بدق الطبول ليجمح اكثر ويتمرد على صاحبه !

هزّ راسه ينفض افكاره هذه ويستعين بعقله المخطط ليحكم زمام المعركة بدلا من تركها لغوغائية الغيرة المجنونة ...

نظر ليده فارتعش باثارة وهو يتذكر ملامستها .. حيّره ذلك الكبت الذي يمارسه على نفسه ! لم يعذب نفسه يوما بهذا الشعور الا مع حوراء ... اغمض عينيه وهو يهمس " قيد آخر اتحمله في سبيل الوصول اليك عسى ان يحررني في النهاية ان ارى عشقك لي مغروزا معجونا في روحك .. " فتح عينيه ليقول بشرود " أسرك قاتلي مولاتي .. "

رن هاتفه فاخرجه من جيبه على عجل وامل يحدوه ان تكون هي ... خابت الآمال وهي ينظر لاسم سالي يضيء شاشته الصغيرة ...

لم يفكر حتى بالرد عليها .. سالي بالنسبة له انتهت ! كل النساء انتهين ... هي فقط ولا واحدة سواها ...

اخذت سالي تشد بشعرها الاشقر الناعم عندما اعادت الاتصال للمرة الخامسة دون ان يرد عليها !

كادت ان تجن من شدة غضبها واحباطها ... منذ ايام ولم تسمع منه كلمة واحدة ..

عند الاتصال السادس جاءها الصوت الالي ليخبرها ان الهاتف مغلق ! اشتعل جنونها اكثر وهي ترمي هاتفها بكل قوة ليرتطم بالحائط ويتحطم !

اجفلت صديقتها ميس التي كانت تبرد اظافرها بتململ ثم قالت عابسة " ارعبتني سالي ! ما بك ؟"

صرخت سالي " لقد اغلق هاتفه ! لايريد مكالمتي .."

هزّت ميس راسها وهي تقول " وماذا في ذلك ؟! قد يكون مشغولا وانت تلحين عليه بالاتصالات .."

اخذت سالي تقرض اظافرها بحركة طفولية كانت تمارسها حتى سن الثانية عشرة لتتركها ما ان بدأت بالاهتمام بنفسها كانثى جميلة تريد اجتذاب كل الانظار ...

لازالت تذكر كيف مارست على نفسها اصنافا من التعذيب كلما سهت وقرضت اظفرا ! احيانا كانت تحرم نفسها من العشاء او تمزق احدى فساتينها المفضلة لديها ومرة صبغت الاصبع الذي قرضت اظفره بلون بشع لايزول بسرعة !

هذه المرة لم تهتم سالي وعقلها يتخبط بفكرة واحدة ... اريد رؤية ظافر ... الاحساس برجولته الساخرة التي تقطع انفاسها ...

نادتها ميس " سالي اتركي اظفرك !" ابعدت سالي يدها وهي تنظر لصديقتها باضطراب ..

قالت ميس بقلق " هل انت بخير سالي ؟!" همست سالي بصوت مبحوح " انا اريد ظافر الغازي لي وحدي ... اريده ان اكون له ايضا ..."

هزّت ميس كتفيها وهي تقول " سيكون لك ... دوما كنت بارعة في السيطرة على الرجال .. ودوما كنت من تتركينهم في النهاية وهم يتوسلون اليك البقاء .. "

قالت سالي باذلال " الا معه ... لقد تملكني دون ان اصل اليه .." نظرت اليها سالي بطرف عينها لتسأل " هل ... اقصد هل اقمت علاقة معه ؟ هل سلمته نفسك ..؟"

رفعت سالي ذقنها بلا مبالاة وهي تقول بصراحة فجّة " نعم ... انا احبه وامنحه كل ما يريد ... ظافر يحب التملك الكامل ولايلتفت لمن تتمنع عليه .. لقد رايته كيف يذل الفتيات اللواتي يحاولن لعب لعبة الشرف معه ويتعززن عليه ..."

اخذت ميس ترفع خصلات شعرها عاليا وهي تنظر لنفسها في المرآة وكأنها تجرب تسريحة ما ثم قالت ببساطة " اذن فعلتها مرة اخرى ... " نظرت سالي ببرود لصديقتها ثم قالت " وماذا لو فعلتها ؟!!

انا لااهتم لعذريتي السخيفة .. كما اننا في زمن يمكن اصلاحها ببساطة ليقع اي مغفل في فخ السعادة ليلة الزفاف لانه الاول !"

التفتت ميس نحوها لتقول بتردد " ولكن هل انت واثقة ان ظافر ممكن ان يستمر معك ؟"

ردت سالي بشراسة " سافعل اي شيء .. اي شيء ليتزوجني !" شهقت ميس غير مصدقة وهي تقول " هل انت جادة ؟! لم اتصورك تتزوجين زير نساء كظافر الغازي .. دوما كنا نقول هؤلاء الرجال للمرح وعند الزواج تكون اولوياتنا مختلفة ... بصراحة ظافر الغازي مرعب بالنسبة لي ... خطر جدا وقاسٍ جدا جدا ..." قالت سالي بصوت مبحوح " اعشق هذا الخطر فيه ووجدت اني ساقضي حياة رائعة مع شخصية جريئة مغامرة مثله ... لذلك " توقفت قليلا لتنظر لوجه صديقتها المدهوش بتصميم " سأتزوجه .. قريبا ..."

كان يأكل في احدى المطاعم الشعبية بشهية مفتوحة عندما التقطت عيناه هيئتها وهي تسير على الرصيف المقابل للمطعم ... ارتفع حاجب واحد وهو يقول بابتسامة ماكرة " يالَ حسن حظي !"

وخلال لحظات ترك باقي طعامه ليأخذ سريعا بضع مناديل ورقية مسح فمه ويديه ثم خرج بخطوات متعجلة بعد ان دفع الحساب ...

يسير خلفها منذ دقائق .. يراقب حملها من بضع اكياس وقد بدى عليها التعب وهي تبحث عن سيارة اجرة ترضى بايصالها ... كان مستمتعا بالمراقبة وينتظر حدث ما يجعله يقترب دون ان يثير ريبتها ..

بدت من النوع الذي لايلتقط ما يحصل حولها سريعا فهو يلاحقها في الشارع منذ عدة امتار دون ان تتنبه اليه ... حتى انها لم تتنبه لاحد الشباب الذي تعمد ان يضرب كتفها بكتفه فكانت هي المعتذرة !

جاءته الفرصة ! تمزق احد الاكياس بحمله الثقيل من الفاكهة لتتدحرج حبات التفاح والبرتقال على الارض ..

اتسعت ابتسامة ماهر وهو يتحرك بخطوات منتصرة ! اخذ يلملم معها وهي لاتنظر نحوه فقط تلملم وهي تقول باحراج ورأسها مطرق للارض " شكرا "

في النهاية رفعت وجهها المورد اليه لتقول مرة اخرى " شكرا لك ... لقد .." اختنقت جملتها واتسعت عيناها وهي تتعرف اليه بينما هو يتطلع لجمال تلك العينين وشعور غامر بالبهجة يملؤه ...

وجهها تخضب بالحمرة وهي تعود لتطرق برأسها وتتمتم " اسفة لاني اتعبتك معي .. عن اذنك ..." لكنه لم يكن مستعدا لتركها الان فقال بلطف مدروس " دعيني اوقف لك سيارة اجرة ... فقط انتظري هنا لان الاكياس لن تتحمل المزيد .." ارادت ان تعترض لكنه تغاضى عن النظر نحوها متعمدا وهو يشير لاحدى سيارات الاجرة ..

بعد عدة محاولات نجح ماهر بايجاد من يقلها فساعدها بنقل الاكياس ثم فتح لها الباب وهي ما زالت تتحاشى النظر اليه لكن ما ان جلست في مكانها وقبل ان يغلق لها الباب قال بصوت ساحر " سعدت بهذه الصدفة التي جمعتني بك يا يسرا "

واغلق الباب وهو راض عن نفسه يلوح لوجهها المصدوم بينما عيناها تبرقان بلمعة يعرفها ... لمعة الفرح !

في اليوم التالي

دخلت ريمة مكتب شاهر وهي تبتسم بوجهه كالعادة لتقدم له قهوته وتقول " قهوتك سيد شاهر .."

نظر اليها شاهر بتمعن يحاول ان يصل لتفسير تاثيرها عليه ... هل هي نزوة وهو في عامه الستين ام تجسيد لكل ما يحتاج اليه من نهى ولا يجده فيها !

شعور خانق تمكن منه وهو يتذكر نهى عندما استيقظت صباحا مبتهجة لتقول له " لقد وجدت حجزا عند الطبيب الفرنسي نهاية الاسبوع ! "

كل العاطفة التي اغدقها عليها تبخرت وكأنها لم تكن ... وجد نفسه ينظر لمرآته اليوم ويقيم وضعه بالنسبة لزوجته ... لقد اصبح بالنسبة لها داعما عاطفيا فقط ... يمنحها جرعات فقط لتستعين بها على الانغماس اكثر في نفسها والتركيز عليها ناسية او متناسية احتياجاته هو !

لقد فقط اعصابه معها وكان حازما برفضه قطعيا لاي عملية جديدة وتركها ترتجف دون ان تؤثر به شعرة !

" سيدي ... قهوتك ستبرد وانت لاتستطيع التركيز في العمل بدونها ... " رفع عينيه اليها لتغمره تلك الشلاشلات الزرقاء من عاطفة واضحة نحوه ..

انه ليس غبيا حتى لايفهم انها تكن له مشاعر عميقة وليس اعجابا فحسب لكنه كان يصدها بسيطرة محكمة على الذات ويرضي رجولته ان هناك من تتمنى اسعاده ...

ذلك الكائن المتمرد القابع في اعماق اعماقه والذي ورثه من دماء الغازي اخذ يكبر ويستفحل ... لقد استطاع منذ صغره تحجيم تأثيره عليه لانه يؤمن ان التمرد يغيّب العقل احيانا عندما تكون اهدافه انانية بحتة ...

وهو لم يكن انانيا يوما .. لقد شعر دوما ان عائلة الغازي تعتمد عليه كصمام امان لتماسكها ...

لكن هو ... شاهر الغازي ... صمام الغوازي ... سينفجر !

نظر لريمة بلمعان غريب لم تره في عينيه سابقا ليقول بصوته الرجولي الساحر " غداؤنا اليوم في مطعمي المفضل ...."

لاحقها صوت عبد الرحمن في الشارع وهو يناديها قائلا " انسة حوراء ... انسة حوراء ..."

التفتت حوراء نحو وهي تبتسم له وتقول " مرحبا عبد الرحمن .." لكن الصبي لم يستطع ان يواجهها بعينيه وهو يقترب منها اكثر .. قال برأس منكس ويداه خلف ظهره " مرحبا آنستي ... لقد.. علمت انك ... كنت ... مريضة ..."

تبسّمت حوراء بحنان وهي تقول " نعم لكني بخير الان والحمد لله ..." لم يرفع راسه وهو يقول بصوت مخنوق " أنا آسف .. انا تسببت بمرضك لاني كنت اعطيك الفطائر كل يوم دون ان اعتني بنظافتها .."

رقَّ قلبها له وهي ترد بلطف " عزيزي لاتبتأس هكذا ... ربما اخذت المرض من طعام آخر .. وحتى لو كان من طعامك لايهم ... المهم اني بخير الان وانت تعلمت درسا .. اليس كذلك ؟؟"

اخيرا رفع راسها اليها وهو يهزه مؤكدا بحماسة " اقسم لك تعلمت واصبحت اعتني جدا بالنظافة ... انظري .."

مدّ احدى يديه بينما ابقى الاخرى خلف ظهره ...

ابتسمت غامزة له وهي تقول " يدك اليمنى نظيفة جدا كما ارى فماذا عن اليسرى ؟ لماذا تخفيها وراء ظهرك ؟؟!!"

ارتبك وانتابه التردد وهو يطرق براسه مرة اخرى ليمد اليها يده اليسرى لتكتشف انه يحمل لفافة فطيرة .. ارتفع حاجباها بتساؤل بينما همس عبد الرحمن " انستي ... اخجل ان اقدم لك فطيرتي بعد الذي تسببت لك فيه .. لكني اعتنيت بها جدا من اجلك .. ارجوك خذيها .. "

ترقرقت عينا حوراء بالدموع وهي ترى بؤسه وحيرته وخجله بينما يده التي تحمل الفطيرة ترتعش قليلا ..

دمعة هطلت على خدها مسحتها سريعا وهي تبتسم ببشاشة لتمد يدها وتأخذ الفطيرة منه ثم قالت " كنت انتظرها منذ الصباح ..."

اشرق وجه الفتى وهو يرفعه عاليا ليقول بفرح وامتنان " اشكرك آنستي ... انت شديدة الطيبة "

قالت له بحنان " وانت فتى صالح وسيبارك لك الله في كل شيء تفعله ..."

غادرها عبد الرحمن مبتهجا بينما تحركت حوراء لتبحث عن سيارة سائقها ابي جميل ...

صوته الرجولي المبحوح داهمها وهي توشك على فتح لفافة الفطيرة " اياك ان تأكليها ... انت ارضيته واخذتها فلا داعي لتعرضي نفسك لخطر المرض مرة اخرى ..."

قلبها يؤلمها بخفقانه وهي تنظر اليه يقف امامه هكذا ولاتعرف اين كان وكيف ظهر من العدم هكذا !؟

ابتسمت له بارتعاش وهي تقول " مرحبا ظافر .." لاتحتمل نظراته العاطفية هذه .. لقد اصبح مختلفا جدا منذ ليلة الشرفة .. لم تعد عيناه تحمل اي سخرية او استفزاز فقط عاطفة ... عاطفة خالصة تدكّ ارادتها ...

همس بابتسامة صغيرة " لماذا اتيتِ اليوم للمعهد ؟ ما زلتِ تحتاجين للراحة ولااعتقد انهم يحتاجونك جدا بعد انتهاء العام الدراسي .."

ردت وهي تداري مشاعرها " شعرت بالملل كما ان احتياجهم لي اكثر الان لتنظيم النتائج واعلانها .."

ما زال ينظر اليها بنفس الطريقة وهدوء غريب يسكن ملامحه الغامضة ... تلعثمت وهي تقول " حسنا ... ابو جميل ... بانتظاري ... عليّ الذهاب .."

صمتت لتستدرك قائلة " لكن كيف عرفت اني في المعهد اليوم بل كيف عرفت بموعد خروجي ؟!"

امال رأسه ليقول بابتسامة لاتفارق شفتيه " لايوجد شيء لااعرفه عنك .. انها جزء من اهتماماتي اليومية ان اعرف اين انت وماذا تفعلين واين تكونين ... كمعرفتي بهذا الفتى الذي يدعى عبد الرحمن والذي ساعدته بافتتاح الكشك .."

اتسعت عينا حوراء ثم احمرت وجنتاها فأكمل ظافر وعيناه تستقران على تلك الوجنتين " اليوم اتصلت بعمتي اسأل عنك كالمعتاد فاخبرتني بذهابك للمعهد ثم اتصلت بأبي جميل لاعرف موعد خروجك وها انا اوجدت وقتا من عملي لآتي واراك .."

عضت شفتها وهي تتهرب من نظراته لتقول " هل تريد شيئا مني ؟ اقصد .. لماذا .. لماذا ..." لم تستطع اكمال الكلام وهي تشعر باستغرابٍ لما يدور بينهما فقال بحلاوة ناعمة " لماذا اتيت اليوم وقد كنت معك بالامس ؟؟ امممممم ... ربما لامنعك من ان يضعف قلبك وتأكلي هذه الفطيرة ..." مد يده وهو يتكلم ليأخذ اللفافة بسلاسة من يدها ثم اكمل بصوته هامس " وربما اتيت لاني احببت رؤيتك فقط ...." ...

" مرحبا سيد ظافر ... مرحبا انسة حوراء ... ارجو ان لااكون تأخرت !" كان صوت السائق ابا جميل مرتبكا بل ومضطربا وهو ينظر ناحية ظافر لكن ظافر قال بهدوء وهو يلتفت اليه " لا يا ابا جميل ... جئت في

موعدك ..." ثم عاد لينظر لحوراء وهو يقول " الى اللقاء .... " ردت بتشوش " في امان الله .."

تتقلب في السرير تعاني السهاد ... مشاعرها متأججة وقد فشلت في اخمادها ... ماذا يحصل لها ؟!! هتفت في سرها تعنّف نفسها وهي ترفع جذعها لتجلس في السرير تمرر يدها في شعرها باضطراب ...

ماذا فعل بها ظافر خلال ثلاثة ايام ليكسر هذا الحاجز الذي بنته باتقان وصبر حول مشاعرها لتمنع نفسها من الميل حتى نحوه ... لقد مرت سنين مراهقتها تتأرجح بين الاعجاب بشخصه الجموح الجريء والخوف منه واستهجان كثير من تصرفاته ... بعدها ازدادت تباعدا عنه بينما يزداد هو مشاكسة لها ..

كانت تجيد حماية نفسها من التأثر به عاطفيا وبنفس الوقت تستشعر انه في اعماقه يعتبرها مهمة فيرضيها بل ويسعدها ... ورغم تبجحه واستفزازاته وتهكمه الا انها كانت تدرك بشفافية احساسه بالمسؤولية نحوها وحمايته التي يفرضها عليها فتجعلها تطمأن اليه احيانا لتعود وتهابه احيانا اخرى عندما تستشعر جرأته ...

همست بحيرة " اذن ماذا تغير يا حوراء ؟!! لماذا تنهارين الان ؟! انت قوية ... وما حدث قبل ايام تناسيته وبدأتِ صفحة جديدة .. وهو ايضا التزم وما حدث في رحلة الدراجات ابهجك لانه عاملك باحترام ..."

اخذت تلامس جبينها بيدها وتقول بحيرة اكبر " اذن ؟!! ماذا يحدث لي ؟ هل بتُّ لااعرف ما اريد مثلما

هو لايعرف ما يريد ؟!" ابتأست وهي تردد كلماتها بتقطع مضطرب " حتى لو كان يحبني حقيقة .. انا ... انا ... لا ... انا ..." تذكرت نظراته ظهر اليوم لتهيم روحها وتسقط دمعتها وتخرج همستها من بين شفتيها " أنا ... احبه !"

الفصل السابع

تنهد رياض بيأس وهو يخفض صوته حتى لايسمعه احد في صمت الليل بينما يستمع لكلام امه المعنّف عبر الهاتف ...

كانت ما تزال تلقي عليه كلماتها الغاضبة قائلة " لو فعلتها رياض واخبرت خالك بظنونك السخيفة هذه فاقسم اني لن اكلم لآخر حياتي !"

زمّ رياض شفتيه وهو يشعر بالعجز عن التعامل مع امه وهي بهذا المزاج الناري الغاضب .... انه يفهمها لكن هي من لاتفهمه او انها تتجاهل فهمه !

هدأت ذبذبات صوتها وهي تضيف بنبرة مست قلبه لانها بدت وكأنها تستعطفه " لاتخذل خالك يا رياض ... انه يريد رجلا صالحا لابنته ... ويرى فيك هذا الرجل ... هو لم يقلها صراحة ولكني اقرؤها على وجهه و افهمها من نظراته ... افهم انه يريد الاطمئنان على ابنته كما جعلنا نحن اخواته مطمئنات طوال حياتنا بوجوده وبانتمائنا له ثم انتمائنا لازواج رائعين ساعدنا هو شخصيا في الوصول اليهم ... " خنقتها عبرة ذبحته وهي تكمل " انا لااطلب منك الكثير بنيَ ... فحوراء فتاة يتمناها ايّ رجل وانا سألتك سابقا وانت قلت انك فعلا تفكر بها كزوجة .. ارجوك ... لاتجعل ظافر او غيره يقف في طريق سعادتك مع ابنة خالك ... "

صمتت ليقول رياض بتفكير يظهر حيرته وتأثره " امي ... انا كنت فعلا انوي طلب حوراء للزواج .. احب فيها كل شيء .. رقتها لطفها حنانها الذي لاينضب .. جمالها البريء النظيف .. فكرها الواسع هدوءها المريح شخصيتها القوية بايمانها ... كل هذا اراه بل واكثر ... لكن ... وجود ظافر في الصورة اربك هذه الرؤية .. وجعلني اعيد حساباتي ... كما ان ..."

صمت رياض بتردد لتساله امه بحيرة مرتابة " ما بك يا رياض ؟! هناك ما يشغل بالك غير ذلك الاهتمام الذي تستشعره من ظافر نحو حوراء ... قل لي ... ماذا يحدث بالضبط ؟"

لم يجد رياض ما يقوله ... لم يستطع ان يعترف ان تلك الصغيرة المشاكسة اثرت فيه بطريقة ما

لايستطيع تفسيرها ... والاكثر انه لايفهم بالضبط بماذا تفكر هي !

نادته امه بقلق " رياض ... اجبني ... صمتك يجعلني اصاب بهستيرية ! هل هناك موضوع آخر غير ظافر ؟ هل تشعر ان حوراء تميل لظافر ايضا بطريقة ما ؟"

رد رياض يواري مشاعره المتقلبة ليخبرها امرا صادقا يشعر به " لاانكر اني شعرت بأنها تكن له عاطفة ايضا ... لااعرف امي ... لااريد ان اظلمها ربما هي توده كأخ .. او حتى كأبن عمها الذي يحاول حمايتها بكل جهده ... "

قالت بلقيس بعد لحظات تفكير " اسمعني بني ... نحن لن نضغط عليك او عليها لكي ترتبطا ان لم يكن بينكما ميل حقيقي لاتشوبه شائبة ... لكني اقول لك تريث ولا تتعجل الحكم ... "

تمتم رياض " حسنا ... ولكن ارجوكِ دعيني اقرر بنفسي ولاتضغطي عليّ ..." ردت امه " فقط كن منطقيا رياض ولاتجعل غيرة من ظافر تؤثر على احكامك ..." اعترض ببعض الاستهجان " انا لااغار منه !" قالت بحنان " بل انت تغار... ومنذ الصغر ! لاداعي لتخفي هذا عني .. انا اعلم كيف كان اقوى منك بنية ويمنعك من الاقتراب من حوراء .. وكنت انت تشعر بالنقص والغيظ .. لكنك تغيرت والامور كلها تغيرت ..."

كان رياض عابسا ليس من كلام امه عن غيرته من ظافر فقد تخطّى هذا الشعور منذ زمن لكن كلامها عن (الامور التي تغيرت) هو ما جعله يعبس في تفكير عميق .....

" صغيرتي التي توليني ظهرها كل ليلة ... تجافيني نهارا وتهجرني ليلا ... ألن تسامحي ؟ الن تغفري ؟! " كان بلال يلامس ظهرها بانامله وقد استبد به شوق للمّها لصدره .. اشتاق لنعومتها ودفء جسدها ... اشتاق لانفاسها تلامس بشرته .. ليدها احيانا وهي تمسك جانب رقبته ...

عاد ليهمس وهو يقترب منها اكثر " هل هان عليك بلال ؟! تعالي الي صغيرتي ... التفتي نحوي لارى وجهك ... لارى تلك العينين كيف تقسوان عليّ ؟!"

كانت تعض شفتيها وهي تقاوم حنينها اليه .. هي ايضا استبد بها الشوق ... لقد تعودت النوم بين ذراعيه .. أمر مرهق فعلا ان تنام بعيدا عنه !

هذا العقاب الانثوي الذي تمارسه ضده عقاب لها ايضا ... هذه الثورة التي استبدت بها وتجعلها غاضبة منه هكذا تستنزف ذخيرتها من الصبر ...

همسة اخرى منه " نجلااء ... صغيرتي .." ..

لم تحتمل ... التفتت بقوة نحوه لتقترب منه بنفس الوقت تدفن نفسها فيه كما تحب لتتنهد من اعماقها بينما ذراعاه تلصقانها به اكثر ... تنهداته المرتاحة تنسكب بتأثيرها داخل روحها لتغادرها تلك الاحمال الثقيلة التي ولدها الحرمان منه ...

همست شفتاها حيث دفنتهما عند اسفل رقبته " بلال .." رد برقة " يا صغيرة بلال لاتقولي شيئا الان ... احتاج التعويض عن هجرك القاسي ..."

احتضنها اكثر وهو يهمس " لاتفعليها مرة اخرى ... اياك نجلاء ... اذا كنت تحبينني فعلا لاتكرريها ..." فما كان منها الا ان رفعت راسها لتنظر اليه بتلك العينين اللتين فتنتاه وقالت بحشرجة " انا اعشقك بلال ولااحتمل البعاد عنك اكثر منك .. لكنك .. لكنك .."

طبع قبلة ناعمة على شفتيها ليقول بصوت عاشق " انا اخطأت بعدم اخبارك عن حضور رياض ... اعترف ... لكن .." فتحت فمها لتتكلم لكنه سبقها بوضع اصبعه على شفتيها يمنعها من مقاطعته ليكمل " لكن سنتفق اننا سنترك لحوراء حرية الاختيار واننا سندعمها مهما كان اختيارها ... هل اتفقنا ؟!"

هزّت راسها بفرح فاضاف محذرا بمرح " وبدون مناورات آل الغازي الخفية صغيرتي .. ستتوقفين عن ..." ضحكت برقة قبل ان تقطع كلماته هذه المرة بطريقة لايملك ان يوقفها ..

تجلس في سريرها تضم ركبتيها لصدرها تنظر بشرود نحو نقطة وهمية على الحائط ... شاكرة لنسائم الصباح القادمة من باب الشرفة الذي فتحته فجرا بعد ان ادّت الصلاة .. تلك النسائم بدت رحيمة بها بنفحاتها الباردة لتخفف عنها وتواسيها ....

الصباح أتى واشعة الشمس انتشرت... ومشاعر الليل المتوهجة تهفت لكن الجمر ما زال ينبض حيّا تحت الغبار الرمادي !

كأن الليل يضفي بسحر على مشاعرنا فيغويها بالتألق لتنير بشعلتها وما أن يأتي النهار حتى يركمها بالحقائق ....

اليوم اعتذرت بالهاتف عن الذهاب للمعهد فقد شعرت بالانهاك العاطفي بعد ذلك الاعتراف السريّ (المرعب) بحبها له .... هذا الاعتراف الذي استنزفها واستنزف قناعاتها التي تحارب بضراوة الفكرة نفسها .... لايمكنها ان تسلم قلبها لظافر ... لايمكنها ... سيكون جنونا ان ترتبط به بأي طريقة .. كيف ستطمئن اليه .. كيف ستجد انتماءا يحتويهما ...؟ فكر يجمعهما ..؟ مبادئ يتبادلان الايمان بها ...؟!!

حتى وان كان يحبها هو الآخر فماذا ينفع الحب اذا دبّ الخلاف باختلاف الرؤى ؟!

" صباح الخير حبيبتي ..." رفعت حوراء رأسها لتنظر لامها التي تقف عند باب غرفتها فابتسمت بارتياح غريب ووجدت نفسها تترك سريرها لتتحرك نحوها وما ان وصلت اليها حتى القت براسها على صدرها بينما امها التزمت صمتا مريحا تمسد على شعرها وكأنها تواسيها هي الاخرى بطريقتها ... مر وقتا قبل ان ترفع حوراء راسها لامها وهي تبتسم بعينين لامعتين " صباح الخير .."

ربتت نجلاء على وجنة ابنتها بتفهم غامض ثم قالت لها بابتسامة مرحة " الفطور جاهز يا كسولة .. انها التاسعة ! اعلم انك اخذت اجازة من عملك لكن ليس من عادتك التأخر بالنوم هكذا !"

هزّت حوراء رأسها ثم قالت بتردد " هل ... رياض سيفطر .. معنا ؟"

ابتسامة نجلاء بهتت قليلا وهي تنظر لابنتها بتفحص ثم قالت بلطف " لا حبيبتي .. رياض افطر بمفرده وخرج منذ الصباح الباكر ليذهب للشركة التي سيعمل فيها ... "

صمتت لتضيف ببشاشة " ظافر اتصل قبل قليل ليسأل عنك كعادته .. اصابه الهلع عندما علم انك اخذت اجازة اليوم ! لكني طمأنته انك بخير واردت التكاسل اليوم لااكثر ... "

تودرت وجنتا حوراء قليلا بينما الام تنظر اليها بتدقيق شديد! كأنها تسبر اغوارها علّها تصل لعمقها الصحيح ...

بعد عدة ايام

" سيد مهدي .. الانسة سلسبيل اتصلت للمرة الثانية وقد احسست بانزعاجها لانك لم تكلمها مرة اخرى !"

لم يبدو على وجه مهدي الاكتراث بينما واصل قراءته للاوراق امامه وهو يرد على مساعدته بهدوء " لامشكلة ... ساكلمها لاحقا ... اذهبي انت لعملك "

تمتمت ب(نعم سيدي) وخرجت ... وما ان اغلقت مساعدته الباب حتى انفتحت ابواب اخرى في عقل مهدي ... لم يكلمها منذ رحلة الدراجات ويتجاهل اتصالاتها على هاتفه النقّال وها هي تتصل عن طريق المكتب وهو يواصل التجاهل ...

ترك الاوراق السخيفة التي كان يدّعي قراءتها ليتنهد بضيق وهو يقف على قدميه بتململ ... انه يجازف بما يفعله لكنه يجب ان يفعل هذا ... !

يجب ان يعلمها درسا حول كيفية التعامل معه ومع شخص غريب كرياض ! اغمض عينيه وهو يتذكر كيف كانت تلازم ذلك الاحمق وتضاحكه بينما تناست وجوده هو وماهر .. استعاد في لحظة نفس الغضب وجاش صدره بنفس الرغبة لعقابها ... لكن .. رغم كل تلك الابواب التي شرّعت بعنف في عقله وقلبه لم يستطع التغاضي عن ذلك الباب الصغير الذي فُتح ... بل انه دوما باب موراب لايُغلق حتى يحتاج للفتح ... انه... القلق ..

لايعلم لمَ يقلق عليها باستمرار هكذا ؟! ربما لانه يراها ما زالت صغيرة وربما لانها جموحة ولاتخشَ شيئا وهذا يرعبه احيانا ... يرعبه لانه يخاف عليها ان تؤذي نفسها يوما .. القلق اخذ يتصاعد ليقبض قلبه بشعور كريه ووجد تلك الافكار المخيفة تنطلق لترسم له الخيالات ... لايعلم ما الذي جعله يفكر بالبحر على وجه الخصوص ؟!! وبدافع خفي سيطر عليه تحرك ليلتقط هاتفه النقّال واوشك ان يتصل بها لكنه تراجع في آخر لحظة ...

اخذه التفكير لثوانٍ ثم اتخذ قراره ليتصل ببيت عمه بدلا من ذلك ..

عندما اغلق الهاتف كان يتحرك فعلا ليغادر مكتبه واشار على عجل لمساعدته في طريقه قائلا " ساخرج لبعض الوقت .. لدي طارئ !"

لايعلم لماذا سيطر عليه هذا الهلع ما ان اخبرته الخادمة ان لااحد في البيت وعندما سألها عن سلسلبيل على وجه الخصوص ردت انها خرجت قبل قليل وهي تحمل منشفتها !

كل الاتصالات على هاتفها كانت تعطي نفس الرد ... الهاتف مغلق ! ضرب مهدي على مقود سيارته بغضب وهو يهمس من بين اسنانه " تلك الغبية المتهورة ..."

لم توقفها الامواج العالية عن رمي نفسها فيها تتحدى جموح تلك الامواج بجموح اقوى ... انها هي ... سلسبيل الغازي ...

تسبح وتسبح دون ان تبالي الى اين ستصل ... فقط تشعر بروحها تتجدد وانفاسها تنتعش وافكارها تتوقد .... لم تدرك انها تسبح دون توقف حتى شعرت بذلك التشنج العضلي في ساقها الايسر ... للحظات فقط ادركت ان شيئا سيئا يحدث لها ... انها عاجزة عن السيطرة بهذا الموج المرتفع و .... تكاد تغرق !

الهلع دب فيها وهي تقاوم لوقت لم تعرف كم طال .. وعلى حين غرّة شعرت بذراع قوية تلتف حولها وصوت هادر بانفاس متقطعة يقول آمرا " اهداي سلسبيل .. دعيني انقذك .."

سكنت تماما وهي تستسلم كما استسلم هلعها وسكن ! فمهدي سينقذها وانتهى ....

على الشاطئ كانت تستلقي على ظهرها باعياء شديد كاد يفقدها الوعي بينما مهدي يطل فوقها وهو جالس بجانبها على ركبتيه يتنفس بقوة وكلماته تخرج بصعوبة " هل ... انت بخير ...؟" لم تستطع الرد ووعيها يتلاشى بعض الشيء بينما اهدابها تسدل الستارة لرؤية وجهه المرتعب وملابسه المبللة ...

يدان قويتان تمسكان كتفيها وتهزانها بقوة بينما صوت يهدر " سلسبيل ... سلسبيل ... افتحي عينيك وردي عليّ .."

لحظة تكاسل اخرى منها لتشعر بعدها به يرفع جذعها اليه ليضغط انفاسها على صدره وتلفها ذراعيه بقوة شديدة لم تستوعبها او تصدقها !

كما لم تصدق انها تشعر بانفاسه عند رقبتها بل حتى شعرت بحركة شفتيه على بشرتها وهو يقول ملتاعا " سلسبيل اتوسل اليك ... استيقظي .. سأموت رعباً ان لم تفتحي عينيك الان وتردي عليّ !"

قلبها اخذ يخفق بقوة بينما عيناها ترمشان لتفتحهما شيئا فشيئا فتواجهها اشعة الشمس ومنظر البحر من خلف كتفه بينما جذبتها خصل شعره المبتلة لتجعلها تهمس بضعف " مهدي ..."

ابعدها بقوة عنه دون ان يفلتها فقط يتطلع لوجهها ويداه تعتصران كتفيها ... همساته ب (الحمد لله) لم تتوقف بينما هي تنظر لوجهه بتدقيق يماثل تدقيقه هو بوجهها ...

بدت ضعيفة حتى وهي تبتسم بمشاكسة وتقول " هل كان يجب ان اغرق حتى تكلمني .. المرة القادمة ساترك لك رسالة (رد علي والا ستجدني في عرض البحر !) "

رأت وجهه الوسيم كيف اكفهر بعد ان كانت تعلوه امارات القلق ليقول بغضب شديد " انت مجنونة .. واقسم انك بحاجة لمراقبة دائمة ولن اسكت هذه المرة يا سلسبيل او اغطي عليك ... ساخبر عمي آسر بما حصل ..."

اتسعت ابتسامتها وهي تهمس " افضلك قلقا عليّ بدلا من ان تكون غاضبا مني يا وسيم ..."

ابتلع ريقه وعيناه تنجذبان لشفتيها اللتين عاد لهما لونهما اخيرا .. فاجأها بالشتائم التي تسمعها منه لاول مرة في حياتها ثم اغمض عينيه بعنف مكبوت اكثر غرابة عليه من الشتائم ليقف على قدميه ويحملها بين ذراعيه دون ان يوجه لها كلمة واحدة ....

كم يوم مر وهو عاجز ان يراها ... يكبت حاجة ضارية تنهشه لسماع صوتها فيمنع نفسه من الاتصال بهاتفها .. تنهد بلوعة وهو يواسي نفسه قائلا " على الاقل رياض غادر المنزل واستقل بشقة بعيدة عنهم ... وعنها ..."

ابتعاد رياض النسبي لم يريحه تماما ... فهو كثير التواجد هناك ... لكنه يكبت ويصبر ... لايريد فقدان اعصابه الان ... عليه بالتزام ضبط النفس والاقتراب بتمهل ... فحوراء رغم قوتها التي تواجهه بها دائما ورغم شخصيتها المفعمة بالثقة بالنفس الا انها شديدة البراءة والجهل في مسائل الحب والعاطفة .. اقترابه القوي المباشر يجعلها تنكمش على نفسها وتبتعد نافرة منه ... او ربما نافرة مما يثيره فيها ...

ابتسم ظافر بحرارة وهو يهمس لنفسه " متى سأعلمك الحب مولاتي كما اريد واحلم .. لاريك كيف يكون جنونيا مشتعلا بجاذبيته بين الحبيبين ... "

يمسك بهاتفه وكأنه حبل ممتد بينهما لاينقطع ليشعر انها قريبة دوما .. فما ان يضغط على اسمها حتى يرن الهاتف بضع رنات ويسمع صوتها يتآلف مع الاحساس بالفرح العارم لقربها البعيد هذا ...

" قريبة بعيدة انت يا مولاتي .. المس طيفك فيتسرب كتسرب اشعة الشمس من بين اصابعي لكنك ما زلتِ موجودة كوجود الشمس ذاتها ... احترق وانا اقترب منها لكني لاابالي ... فالحريق في قرب عشقك غايتي ومرادي ... "

رسالة نصيّة وصلته .. فتحها ليعبس وهو يقرأ بضع كلمات فجة كتبتها سالي ... كانت كلماتها فاضحة تماما وهي تذكره بلحظات حميمة خاصة بينهما ...

مسح الرسالة كما دأب على مسحها خلال الايام الماضية ... لقد اصبحت لجوجة جدا وغبية لابعد حد انها لاتفهم معنى ان علاقتهما انتهت رغم انه كان واضحا جدا معها ... لقد وجدها قبل يومين تنتظره عند مرآب السيارات الخاص بالشركة واخذت تبكي لفترة امامه او ادّعت البكاء بهستيرية سخيفة بينما هو ينظر اليها ببرود وفي النهاية طلب منها المغادرة واستدعى حارس الامن المسؤول والذي سمح لها بالتسلل لمرآب السيارات وهدده امامها بالفصل اذا عاود فعلته ثم طلب منه مرافقتها للخارج ....

عاد لينظر لهاتفه فتلاشت كل الافكار لتبقى صورتها هي وحدها .. بابتسامتها ..بتلك النظرة الآسرة .. غامت عيناه وهو يهمس بعنف عاطفي تملكه " متى ستكونين ملكي يا حوراء ... ملكي... "

رؤيته لوالده منذ ايام يجالس ريمة في مطعمه المفضل اشعلت النار في احشائه ... سيعلمها مع من تعبث تلك الحقيرة... كان ما زال ماهر يتوعد في سره تلك ال (ريمة) عندما لاحت امامه يسرا التي تتهادى في مشيتها مع صديقاتها في النادي ...

كل يوم تذهب لنفس النادي وتصاحب نفس الفتيات والاغلب انهن نفس صديقاتها في الجامعة فقد تعرف على وجوه بعضهن ... اما هو فاكتفى بالمراقبة من بعيد ... الاجازة الصيفية مفيدة ايضا فالتعارف عبر اروقة الجامعة مقبول وطبيعي ولكن في النادي يبدو مريحا اكثر وملائما لما يفكر فيه ...

منذ نصف ساعة يتحين خلوة بعيدا عن صديقاتها .. يريدها بمفردها ليكلمها ... لقد حان الوقت ... فقد شاغلها بما يكفي واصبح مدركا لتلهفها على اقترابه ..

رآها تتحرك بمفردها محمرة الوجه بينما الفتيات معها يدّعين التغاضي وهن يكدن يفقدن صبرهن ليتطلعن لما سيحدث ... ابتسم ساخرا بينما يتحرك هو الاخر من جلسته الهادئة المراقبة ليتركهم جميعا

مفتوحي الفم لانه اتخذ طريقا معاكسا لطريق يسرا !

تململت يسرا في خطواتها وهي تعود خائبة نحو المكان الذي تركت فيه صديقاتها ... كانت حركة غبية بانفرادها بنفسها هكذا لتعطيه فرصة الاقتراب ... لم يكن يجب ان تتركه يتلاعب بها ويؤثر عليها لتسهل مهمته ... فهو لايبدو من النوع الذي يحتاج مساعدة ليتعرف على فتاة ... عضت شفتها بضيق مكبوت وهي تنكس راسها وتلوم صديقاتها في سرها على تشجعيها لخطوتها الساذجة هذه ....

" مرحبا يسرا ..." اجفلت بقوة وهي تلتفت نحو الصوت الاستفزازي الذي يحييها ....

احمرت رغما عنها ليس خجلا منه فحسب ولكن لخجلها من فعلتها التي بدت مكشوفة جدا امامه .. اجل مكشوفة وهو ينظر نحوها بهذه الطريقة المدركة !

اقترب منها وهو يخرج من بين الاشجار الوارفة ليقول بصوت أجش اربكها خصوصا وهي تتطلع لنظرة عينيه التي تبدلت على حين غرّة من السخرية للغموض الساحر ... " لقد اتعبتني طوال النهار وانا اتحين الفرص لالتقاطك بمفردك .."

همست بدهشة متسائلة " التقاطي ؟!" ضحك بخفة وعيناه تلمعان بشدة ثم قال هامسا " كيف يمكنني اختيار تعبير آخر وكلما اقتربت اجد جموعا من البشر حولك يمنعونني الكلام بحرية ..."

تضرجت وجنتيها وهي تكرر كلامه ببلاهة " الكلام بحرية ؟!!" سكنت ملامحه وهو يتطلع لزرقة عينيها ويقول بصوت أجش " هل تعلمين ؟ لااذكر اني رايت يوما زرقة كزرقة عينيك هاتين .. كأنها زرقة تخصك وحدك ولاينبغي ان تكون لغيرك ! لن اصدق ان هناك من لديها عينان تحملان نفس اللون .."

كانت ضربات قلبها تخنقها وهي ترد عليه همسا بعفوية لاتعرف اسبابها " لا ... عمتي لها عينان بنفس الزرقة .."

صباح اليوم التالي ...

كان ينزل درجات السلم عندما سمع صوتها تناديه " شاهر ... شاهر انتظر .."

توقفت خطوات شاهر كارهة ! انه لم يعد حتى قادرا على التحاور معها ... غضبه منها بعد ليلة العاطفة التي قضوها فاق كل حد ... لم يسامحها على افسادها لكل محاولاته للتقارب ... لم يسامحها لانها تتركه يتخبط باحتياجاته لاهية بسخافاتها ليجلد نفسه بالسياط وهو يشعر بالخيانة نحوها ...

منذ ايام وهي يتناول غداءه مع ريمة ... لكنه لم يكن سعيدا او مرتاحا رغم كل جهودها لاسعاده ... حتى اصبحت جلستهما كئيبة وسخيفة ولا معنى لها ..

انه بحاجة للتكلم مع احدهم ... لم يعد يستطيع الصمود هكذا مع احساسه المتزايد انه يظلم ريمة معه ... فحلقة الظلم تتسع لتاخذ في طريقها المزيد !

ريمة تستحق اكثر من خفقات قلب رجل محتاج للتعويض .... حتى لو رضيت هي بلعب هذا الدور هو لايرتضيه لها ولا له ... لاول مرة في حياته يشعر بهذا العجز ... ربما كبر وربما هو بحاجة لمن يفهمه ليتكلم معه بحرية ...لكن ... مع من سيتكلم ؟؟ من ؟ اسم اخيه آسر قفز في ذهنه بينما يواجه نهى ويقول بهدوء وتباعد " ماذا تريدين نهى ؟"

قالت بانفاس ضيقة وهي تستشعر نفوره منها " اردت ... ان اقيم مادبة عشاء ... احببت ان .. ان .. نجمع العائلة ببيتنا ... مر وقت طويل لم تضم جدران هذا البيت عائلة الغازي .."

تطلع شاهر حوله ينظر لبيت العائلة الذي كان ليغدو الان بيته هو وعائلته فقط ! فنهى تغاضت عن هذا الجانب ايضا بلمّ شمل العائلة الكبيرة ولو بدعوات متفاوتة كاللتي تقترحها الان ... !

دوما كانت تتحجج بالتعب ... بالارهاق ... باشياء كثيرة تمنعها ... ورغم انه عرض عليها ان يحضر ممن يتولون هذه المهمات الا انها رفضت بشكل قطعي لتقول بتعالٍ يكرهه (انا لن اكون اقل من نادية او نجلاء اللتين تعتمدان على نفسيهما في دعوات عائلية بسيطة كهذه ...)

" ماذا قلت يا شاهر ؟؟ ماهر قال سيساعدني .." عاد ليولي زوجته نظراته وقد استرعى انتباهه ذكرها لماهر على وجه الخصوص ...

قال بسخرية " منذ متى ماهر يساعدك في امور البيت ؟!" ردت بنظرات تائهة " منذ استشعر بحاجتي لذلك ! "

شيء ما فيها استفزه بقوة ليقول بغضب متفجر " حاجاتك لاتنتهي يا نهى ... دوما تريدين من يلتفت اليك لتشعري ان الكون يدور حولك ... ورغم كل ما منحتك اياه لجعلك ملكة على قلبي وبيتي الا انه لم يكفيك ... ماذا عليّ ان افعل الان لاحظى بما خسرته منك ؟ هل عليّ ان اساعدك بأمور البيت كماهر ؟ ام ربما علي ارسالك لاطباء التجميل ليشقوا وجهك سنويا !"

كانت تنظر اليه بجمود ... عيناها العسليتان فقط من كانتا تنطقان ... تنطقان بألم مبرح ذبحه من الوريد الى الوريد ...ضرب بقوة على حافة الدرج حيث يقف ثم وجد نفسه يقطع الطريق صاعدا نحوها ليقترب منها آخذا اياها بين ذراعيه .. شهقت وهي تشعر باصابعه تتخلل شعرها من الخلف ببعض القسوة ثم هدر همسه الغاضب قريبا من انفاسها " نهى ... عودي ألي ... انا اريد حبيبتي التي احببتها مذ ان كانت في الثامنة عشرة ليلتهب حبها في صدري وهي في سن العشرين ... صبرت كثيرا حتى نلتها وامتلكت قلبها ... "

شهقت مرة اخرى ولكن هذه المرة كانت شهقة بكاء ... قال بغضب اشد غير مبالٍ بدموعها " انا لايهمني ان تحتفظي بصباك ... لايهمني ... انا اريدك انت ... احتاجك ... احتاجك فوق ما تتصورين ... لاتدفعيني بعيدا لاني لااريد .. لكن طاقتي نضبت وانا اسحبك نحوي بينما انت تبتعدين .... لاتجعليني اكره نفسي ... انا لا اريد خيا...." كلمة لم يستطع اتمامها ... !

تركها بعنف كما امسكها بعنف ليرافقه عنفه وهي ينزل درجات السلم ليتجه نحو باب البيت تاركا اياها تتهاوى جالسة بصدمة على الدرج ....

بعد نصف ساعة كان يتصل بها ... قال بصوت متماسك " اجعلي المأدبة يوم الخميس ..." جملة واحدة قالها وانتظر ردها الهامس " حسنا " ثم اغلق هاتفه وهو يتنهد بارتياح ... لقد اصابه الجنون اليوم ومنظرها الشاحب حطم ارادته ولم يصبر اكثر ليتصل بها ويطمأن عليها ...

" احضرت لك كتابا لكاتبك المفضل .." التفتت حوراء لرياض الذي يتحرك نحوها وقد دخل غرفة الجلوس يبتسم لها بطريقته المحببة التي اعتادتها منه ... شكرته وهي تلتقط الكتاب من يده " شكرا لك .." حرك حاجبيه بمرح وهو يلتفت نحو الباب مرة اخرى ليخرج قائلا " ساذهب للخالة نجلاء وارى ماذا تحضر لنا للغداء "

شيء ما في نظراته يكبل الارتياح الكامل الذي كانت تشعر به سابقا ... يبدو اكثر رقة من عادته معها ملاطفا انوثتها بحياء وهو يمتدح اللون الذي ترتديه مثلا دون ان يبالغ ... احترامه لفكرها وتقاربه معها يبدو متعمدا احيانا ! ليس كأنه يدّعي التقارب ولكن كأنه يبحث عنه ليحل احجية ما !

واكثر من هذا انه يراعي انطواءها احيانا وحاجتها لوحدتها بل تجده يتفهم احتياجاتها هذه اكثر من غيره .. حتى اكثر من والديها نفسيهما...

لقد اعتادت وجود رياض في بيتهم وتدرك جيدا ارتياح والدها ونزق امها رغم انهما التزما الصمت معها وهي تدرك صمتهما ايضا ... لكن ... حتى الصمت له وجهه الضاغط على اعصابها وكأنهما ينتظران منها قرار الخطوة القادمة ...

كل هذا تعانيه مع غياب ظافر المؤرق لمشاعرها ! لايتصل بها رغم علمه انها مدّدت اجازتها من المعهد لتشمل الاسبوع بالكامل لكنه يتصل يوميا بامها وهي تتنصت رغما عنها تنتظر جملة امها (حوراء بخير) لتحتفل بخجل بهذه البهجة الصغيرة التي تناور بها على قراراتها العقلانية ....

تنهدت والحيرة تعصف بها ... همست وهي تتطلع للكتاب في يدها " ماذا سافعل يا ربي ؟!"

عند المساء

" آسر ... اتصلت نهى لتدعونا للعشاء في بيتهم يوم الخميس القادم ..." اكتفى آسر بهز رأسه وهي يخلع سترته ليعلقها في خزانته ..

اقتربت منه نادية عابسة وهي تقول " مابك آسر ؟"

رد وهو ينحني ليطبع قبلة على رقبتها " لاشيء حبيبتي ... سآخذ حماما ..."

ثم توجه نحو الحمام فعلا فسارعت نادية لتسبقه وتقف بينه وبين الباب ثم قالت براس مائل عنيد " اخبرني ..." تنهد وهو يقول مستسلما " شاهر اتصل بي ... انه يريد الحديث معي ..."

ضيّقت نادية عينيها بتساؤل صامت فقال آسر مبترما من اصرارها " لااعرف عن اي شيء يريد الحديث ... لكني اتكهن عن نهى ..."

امسك خصرها بكفيه لينحيها جانبا وهو يحرك حاجبيه بمشاكسة قائلا " لااحتاج الان لعروض مغرية في الحمام .." وضحك وهو يدخل مغلقا الباب خلفه بينما نادية مستغرقة في التفكير ...

" حوراء حوراء .." دخل محمود لغرفة حوراء بضجيجه يتبعه محمد وقد بالغ في اظهار حماسته وهو يقول لاخته التي تجلس امام منضدة الزينة تمشط شعرها " يوم الخميس سنذهب لبيت الخال شاهر ... "

نظرت حوراء نظرة تأنيب للغلامين وهي تحرك المشط نحوهما قائلة " الم احذركما من الدخول هكذا لغرفتي دون استئذان ؟!! " عبس محمود متذمرا بينما سارع محمد ليعتذر برزانة " آسف اختي ... انت تعرفين محمود يجعلني انسى كل شيء بضجيجه المبالغ فيه ..."

ازداد عبوس محمود وهو يقول بغيظ لاخيه " انت ايضا تثير الضجة ! من حصل على عقاب الاسبوع الماضي بسبب مجادلاته العقيمة ؟! اليس انت ؟؟"

رد عليه محمد بضيق وكأنه اهدرت كرامته " ومن حصل على ضربة على مؤخرته من امي لانه ادخل ضفدعا معه للحمام ؟ اليس انت ؟ بدوت كطفل في الرابعة !"

قبل ان يرد محمود باستعراض العقوبات التي وقعت على محمد سالت حوراء ونظراتها تتجه نحو يد محمود باستغراب " لماذا تحمل هاتف المنزل بيدك ؟! ألم تمنعك امي من ذلك ؟" ضرب محمود على جبينه وهو يقدم لها سماعة الهاتف اللاسلكي ليقول بعينين معتذرتين " آسف ... نسيت ان اخبرك ان سلسبيل تريد مكالمتك !"

ضحكت حوراء بخفة وهي تتناول السماعة السوداء من يده وطردتهما برقة ليواصلا المجادلة بعيدا وهي تطلب منهما اغلاق الباب خلفهما ...

وضعت السماعة على اذنها فوجدت سلسلبيل غارقة في الضحك .. قالت لها بمرح " هل سمعتهما ؟! يثيران جنون بعضهما البعض ..." ردت سلسبيل من بين ضحكاتها " انهما لذيذان جدا وممتعان للغاية ... خسارة انهما لم يأتيا معنا في رحلة الدراجات .."

ردت حوراء " كانا معاقبين من والدي ... لقد تسببا بتخريب المزروعات الجديدة التي نسقّها الجنائني المسكين والتي استغرق تنسيقها لاسبوعين كاملين ..."

تنحنحت سلسبيل قبل ان تقول لحوراء " بمناسبة الحديث عن رحلة الدراجات هل ... كلمك مهدي منذ ذلك اليوم ؟!"

قالت حوراء ضاحكة " لاتقولي انكما متخاصمين .."

تنهدت سلسبيل قائلة بتململ " فقط اجيبي !" ردت حوراء بمرح " لا ... لم يكلمني ... وكنت قد استغربت ! فليس من عادته عدم السؤال عني هكذا ..يبدو انه غاضب او مشغول البال "

قالت سلسبيل بمشاكسة " اذن هل تظنين انه يخاصمنا لسبب ما ! فأنا كنت اتصل به ولايرد عليّ .. حتى ... يوم امس ..." تردد سلسبيل جعل حوراء تعبس وهي تتسائل " ماذا حصل يوم امس ؟ اعترفي ... تبدين كالغلامين عندما يفعلان شيئا سيئا .."

اخفضت سلسبيل صوتها لتقول لحوراء " ساخبرك ... لكن ايّاك ان تخبري احدا ... لقد كلفني صمت مهدي توسل واستعطاف لنصف ساعة بالاضافة لشراء ملابس جديدة له بدل التي فسدت بسببي ..."

ضحكت حوراء من قلبها وهي تقول " اخبريني يا محتالة ماذا ستدفعين لي لاصمت ولااكشف سرك المنتظر .." ضحكت سلسبيل بخفة لتهمس " سأخبرك ماذا فعل ظافر مع صديقته اللجوجة سالي ..."

ابتسامة حوراء اضمحلت وشعرت بقلبها ينمكش على نفسه ليئن دون ان تستطيع وقف آهاته ..
اكملت سلسبيل وهي تبدو غافلة عن حالة حوراء " لقد سمعته يصرخ بها قبل يومين عبر هاتفه ويقول... " واخذت سلسبيل تخشن صوتها ليبدو مثل ظافر رغم انها تلتزم باخفاضه قائلة " (لقد حذرتك من الاتصال مرة اخرى .. قلت لك انتهينا الا تفهمين !) "

آه يا قلبي كم انت غبي ! كنت تئن الان ! منذ لحظات فقط فكيف اصبحت تضيق بصدري

ولاتحتمل سعادتك لتضمها اضلعي فحسب ...
سمعت سلسبيل تقول ببراءة " اين ذهبت حوراء ؟! هل تسمعينني ؟!!" رددت حوراء بمرح مصطنع " اسمعك ... فقط انتظر قصتك انت وليس قصة ظافر ... فلا تتهربي .."

ضحكت سلسبيل وهي تقول " حسنا ... ساخبرك ... جاءت لحظة الحقيقة ... امممممم " صمتت لتخفض صوتها اكثر ثم همست " البارحة ... اوشكت على الغرق ... في البحر ... لولا مهدي .. هل تصدقين ؟!! لقد نجوت من موت محقق !"

شهقت حوراء بقوة وهي تقول بهلع " يا الهي ... ايتها المجنونة ... انت عديمة الاحساس ولاتملكين ذرة نضج او عقل !"

سارعت سلسبيل لتهدأتها وهي تقول " اخفضي صوتك اتوسل اليك فالغلامين اذا علما لن يستطيعا الصمت حتى ينشراه في كل بيوت آل الغازي ..."

تكلمت حوراء بجدية وصرامة " سلسبيل احكي لي ماذا حصل بالضبط ؟" ردت سلسلبيل وكأنها طفلة ستعاقب " كنت اشعر بالضيق وكلّمت مهدي اكثر من مرة دون ان يرد .. انت كالعادة كان هاتفك مغلقا كما الان ! اصابني الغضب والاحباط .."

عبست حوراء ترد عليها " لاتلقي اللوم علي ... تعرفين عندما اكون بالبيت انساه ولاافكر به .. وكان بامكانك الاتصال بي على هاتف البيت كما فعلت الان ... او حتى المجيء هنا او الذهاب لمهدي في الشركة ... كلها اعذار واهية وسخيفة .... والان اكملي "

تبرمت سلسبيل وهي تكمل " حسنا ... حصل لي تشنج في عضلة الساق وانا في عرض البحر .."

همست حوراء والرعب يخنقها لمجرد الفكرة " يا الله ..."

قالت سلسبيل بحماسة ساخرة " ثم ظهر الفارس الشجاع الوسيم لينقذ الاميرة من الغرق .." واخذت سلسلبيل تضحك بينما حوراء تعنّفها " اقسم بالله اذا ذهبت مرة اخرى للسباحة هناك فساخبر خالي آسر بنفسي ولن ينفعك توسل ولا استعطاف .."

ردت سلسلبيل بتذمر " حسنا ... حسنا ... لماذا لاتتمتعين بحس الفكاهة ! انت تشبهين مهدي جدا .. لقد اوشك ان يخنقني بعد ان انقذني !"

قالت حوراء بجدية " عديني سلسلبيل انك لن تذهبي للسباحة هناك .. عديني ارجوك .." قالت سلسبيل برقة " لاتقلقي .. صدقيني لن افعلها ابدا .. لن اسبح مرة اخرى الا ومعي احدهم .. انا لست غبية جدا وقد تعلمت الدرس ..."

اطلقت حوراء انفاسا محبطة وهي تقول " الكارثة انك شديدة الذكاء ولكن جموحك وجرأتك تحكمانك ! لافائدة منك ... على الاقل لن تسبحي لوحدك مرة اخرى .. " تنهدت وهي تنفض الافكار السوداء من راسها لتقول ببشاشة " والان اخبريني ... ما سر هذه الدعوة المفاجئة من الخالة نهى ؟!!"

قالت سلسبيل فجأة وعلى عجل " انتظري دقيقة حوراء ساعود اليك حالا..."

ردت حوراء ب(حسنا) بينما تضع السماعة بين جانب خدها وكتفها لتستخدم كلتي يديها في تمشيط شعرها وهي تدندن ...

نظرت لشعرها الطويل في المرآة وقالت لنفسها بنظرة غير راضية " يجب ان اقص شعري قصيرا ! لقد اصبح يتعبني جدا والاعتناء به يأخذ وقتا طويلا ..."

انفاس خشنة سبقت صوته المبحوح عبر الهاتف وهو يقول " افعليها وسانتحر !" ارتجفت حتى اوشكت ان توقع الهاتف ثم قالت بتلعثم " ظا .... ظافر ...؟" همس بنعومة متناهية " خادمك مولاتي .. هل تحتاجين لمساعدة في العناية بشعرك ؟!!"

الفصل الثامن

ابتلعت ريقها وهي تسأل بارتباك " اين سلسبيل ؟!!" ضحك بنعومة وهو يرد " سلسبيل ذهبت لمكان ما وصدقيني هي لاتجيد العناية بالشعر ... انا ابرع منها وخدماتي مجانية ايضا! " هتفت به معنفة " ظافر !!" تنهد وهو يهمس بطريقة جعلتها ترتعش " نعم مولاتي ..."

يداها كانتا ترتعشان كصوتها الحانق " ما بالك تناديني مولاتي مرة اخرى ؟! توقف عن هذا ظافر ... ها انت تعود لسخريتك مني ومحاولة ارباكي !.."

رد بصوت اجش ونبرة غامضة تلوح فيها مشاعر اكثر غموضا وتاثيرا " اسخر منك ؟ مؤكد تعلمين لا ... اما

محاولة ارباكك.. فلن اصف ما تفعلينه بي حتى لاتغلقي الخط في وجهي ! "

اختنقت بفيض ما تشعر به تحرك رأسها يمينا ويسارا بينما عيناها تتحركان في اتجاهات متعددة عشوائية وكأنهما تبحثان عن شيء ما دون ان تصل اليه ...

همس بسحر رقيق " لن اضايقك اكثر بمزاحي.. لكن لا تلتزمي الصمت هكذا .. تكلمي معي .. " قالت بضعف " عن اي شيء تريد الكلام ... ؟!"

رد وهو يخفي تنهيداته المشتاقة " اعتبريني مهدي وتكلمي معي بعفوية مثلما تكلمينه ..." هي لم تخفي تنهيداتها قائلة " هل عدنا لمهدي ؟! كم مرة قلت لك مهدي اعتبره مقرب لي كأخ .."

قال وهو يحاول اخفاء غيرة تنهشه رغما عنه " حسنا .. لن اذكر مهدي .. فقط تكلمي .." سألت بارتباك " لكن عن اي شيء ؟! "

استلقى بظهره على الاريكة حيث كان يجلس ثم قال بصوت مبحوح " عن اي شيء يخصك ... دوما كنت اعرف عنك كل شيء على لسان الآخرين ! اتمنى لو اعرف امورك بل و ادق اسرارك على لسانك انت ..."

التزمت الصمت لوهلة لتقول بعدها بصوت تجاهد لبثه بعض القوة " هل تريدنا ان نبدأ صفحة جديدة حقا يا ظافر ؟"

همس " انا اريد اي صفحة ترتضينها شرط ان اكون معك على وفاق ... اريد ان اقترب منك دون ان تشعري بتهديد او توجس ... اريد ان تكوني بطبيعتك معي يا حوراء ... بعفويتك المحببة ورقتك الفطرية .. اريدك معي مثلما كنتِ في رحلة الدراجات الهوائية .. " صمت قليلا ليضيف بنعومة " هل اطلب الكثير يا ابنة عمتي ؟!"

قالت ببعض الريبة " حسنا .. رغم كلامك المغلف بالغموض انا ساتبع حدسي .."

سأل بابتسامة صغيرة تعلو ثغره " وماذا يقول حدسك ؟" ردت ببساطة " ان افتح صفحة ربما ستوصلنا معا لبدأ علاقة طبيعية كاقارب على الاقل .."

اتسعت ابتسامته وكانت محظوظة لانها لاترى عينيه كيف تلتمعان بنظرة الصياد الموشك على اقتناص فريسته !

قال بلهجة مراعية " حسنا.. حدثيني عن عملك وزملائك هناك ... كتبك التي لاتكفين عن شرائها .. اهتماماتك بدور رعاية الاطفال ... اريد كل شيء حوراء .. كل شيء ... فسماع هذه التفاصيل منك له تأثيره وقيمته عندي ..." ....

انسحبت سلسبيل على اطراف اصابعها وهي تبتسم بمكر بينما عيناها مثبتتان على اخيها المستلقي باسترخاء على الاريكة يمارس سحره الطبيعي الذي وُلد به على ال(حوراء) ...

تحركت نحو السلم ترتقي درجاته ببطئ وهي تشعر بلذة الانتصار !

" مرحبا شاهر .." اجفل شاهر قليلا وهو يخرج من شروده على صوت اخيه آسر ...

وقف قليلا ليصافحه بعفوية بينما آسر يجلس على كرسي قبالته ... كانت اجواء المقهى الشهير هادئة الى حد ما لذلك اتاحت لشاهر هذا الغرق العميق في افكاره المتلاطمة ...

تطلع آسر نحو اخيه يقرأ وجهه بينما بادله شاهر نظرات كئيبة وهو يقول بابتسامة ساخرة " اياك ان تسألني ما بي او ما الذي اريد ان اكلمك عنه ! "

تضاءلت ابتسامته فجأة ليكمل " انا مرهق حقا ..."

أمال آسر راسه جانبا ثم قال باسلوب مباشر " هل خنتها ؟" ارتد رأس شاهر بقوة للخلف وقال بصوت يهدر غضبا " انت كنت ستفعلها ببساطة لو كنت مكاني اليس كذلك يا اخي ؟!!"

هزّ آسر كتفيه بلا مبالاة واسبل اهدابه وهو يقول " انا كنت ساجد امرأة افضل تسعدني ما دامت لاتستجيب لمحاولاتي .. اذا اعتبرتَ هذه خيانة فنعم ... كنت ساخونها ..." ثم رفع عينيه الحادتين اليه ليضيف بنفس الهدوء " لكني .. لست انت ! "

تقبّضت يدا شاهر واطرق برأسه والمعاناة بادية على جسده بالكامل ... همس اخيرا من بين اسنانه " اجل انا لست انت ! فانا لم استطع ! كنت سافعلها ... لكن لم استطع ..."

تطلع آسر لاخيه قائلا بتروٍ " هل تعرف ما مشكلتك معها ؟ انك اشعرتها بالامان الكامل .. بأنك لاتطالبها بشيء بينما تمنحها كل شيء وتغفر لها كل شيء ايضا ... كما قلت لك ... الامان الكامل .."

رفع شاهر راسه في استنكار ليقول " هل هذا عيب ؟! انه واجب الزوج نحو زوجته فما بالك اني زوج عاشق لها منذ مراهقتها ... "

قال آسر بابتسامة صغيرة " ليس كل النساء سواسية اخي .. اعترف ان لك سحرك الخاص على النساء .. فيك شيء يمس اعماقهن فيشعرن باطراء كونهن اناث ... لكن .. اعود واقول ليس كل الاناث سواسية .. نهى كانت تحتاج لنوع من الصرامة توازن التدليل المفسد الذي حظيت به كونها وحيدة والديها ...

انها تحتاج لشيء جديّ في حياتها تبذل قصارى جهدها لتنجح فيه .."

رد شاهر وهو يمرر يده في شعره " لقد حاولت مرارا ان اشغلها بعمل ... دفعتها باتجاهات كثيرة لكنها فضلت اتجاهات اخرى سخيفة وتافهة ..." شعر بالصداع يهاجمه فرفع اصابعه لصدغه يملس عليه قائلا " لقد خيبت املي آسر وجعلتني اشعر بالفشل لفشلها ... انا محبط ويائس واشعر اني كارض جرداء ... ارض تحتاج لما يمنحها الدعم لتنتج ..."

سأل آسر على حين غفلة " هل لمساعدتك الشخصية دورا في شعورك هذا ؟؟ هل محاولتها اغراءك كان لها تاثيرا في ثورتك المتأخرة على زوجتك ؟ "

رفع شاهر نظراته بقوة نحو آسر ليقول وهو يكز على اسنانه " اياك ان تقول شيئا آخر آسر ... ريمة انسانة محترمة ولم تتصرف بما يخل .."

احتدت نظرات آسر قليلا لكنه قال بهدوء " انسانة محترمة ؟!! لم تتصرف بما يخل ؟؟ حسنا ... قد تكون محترمة لكنها مؤكد تصرفت بما يخل !! "

ارتجفت عضلة في خد شاهر بينما اكمل آسر بنفس الهدوء " اؤكد لك انها تعلم بتباعدك انت ونهى وهي طمعت ان تكون البديل المعروض امامك ... حتى لو كانت تحبك يكفي انها تحاول اخذ شيء ليس لها ... تتصور انها ستحظى بك عبر سعيها لارضاء رجولتك وحاجتك لامرأتك ..."

ابتعد شاهر بنظراته بعيدا عنه ليقول بكآبة " انا من اعطيتها المجال ... انا من تركت الباب مواربا ... انا هو الحقير الخائن !"

رد آسر وقد استبد به الغضب " لاتصف نفسك بالحقارة او الخيانة ... انت شاهر الغازي ... اياك ان تنسى هذا .. ليس ذنبك ان نهى تغيرت بهذه الطريقة الفجّة ... هي مسؤولة عن نفسها اولا قبل ان تكون انت مسؤولا عنها ... كفاك تدليلا لها ... هي اختارت الطريق الاسهل ...كسلها في السعي لاثبات نفسها جعلها تتخذ هذه الطرق لارضاء ذاتها... اما انت ... فمن الطبيعي بعد هذا الصبر والاحباط ان تميل بمشاعرك قليلا نحو امرأة اخرى .. خصوصا وان هذه المرأة هي من سعت اليك ... "

صمت آسر قليلا يتطلع لوجه اخيه ثم اضاف بتمهل متعمد " لكن ... عليك ان تعرف نفسك اكثر من هذا يا شاهر .. انت لن تهنأ بعيدا عن نهى ... انها جزء اساسي منك .. ولن تستطيع الاستمرار مع الاثنتين ... ستظلم نفسك وتدخل في متاهات وبدلا من تجد السعادة سيثقل كاهلك بحمل انت لست اهلا له ..."

ابتلع شاهر ريقه ليقول بتخبط غريب عنه " ماذا افعل يا اخي ؟!!" رد آسر وهو يمد يده ليربت على يد اخيه " سنجد حلا لرأب الصدع.. يجب ان تستفيق نهى من غيبوبتها السخيفة هذه .."

استعدل آسر في جلسته ليشير للنادل بيده ثم قال لشاهر بغموض " امّا ريمة تلك فعليك ايجاد حلا لها بنفسك !.."

يوم الخميس

راقب ماهر امه وهي تتحرك هنا وهناك بحماسة فاترة لتعطي تعليماتها للخدم حول الترتيبات المفترضة لسهرة الليلة ...

كان يشعر بنار الغضب تحرق احشاءه لرؤيتها بهذا الضعف والانكسار ... لم ينسَ جلستها المنهارة على درجات السلم قبل ايام بعد ان انفجر والده فيها ..

لقد كان يستمع لحوارهما وهو يخفي نفسه اعلى السلم فلم يشعرا بوجوده .. وعندما اوشك ان ينطق والده بكلمة (خيانة) كان مستعدا لقتل تلك المرأة زرقاء العينين ... كم يمقتها !

وبدلا من قتل تلك المرأة فعليا انتظر خروج والده لينزل درجات السلم يحيط امه بذراعيه فتستكين لصدره تبكي كطفلة ! كان يتمزق بشعوره هذا وهو يتذكر نفسه صغيرا يستكين لصدرها كي يجد فيه نعيما من الامومة ... اتصال والده فيما بعد اسعده لكن ليس كسعادة امه !

نظر لامه بحنان وانتماء طبيعي وهو يفكر انها تصورت باتصاله هذا يعتذر وسيتقرب منها كالعادة محاولا استرضاءها لكنها عادت واحبطت عندما اتصل مرة اخرى ليقول انه سيتأخر ليلا ... ليزداد احباطها بمرور الايام التي تلت مع التزام ابيه صمتا غامضا وكأنه نأى بنفسه بعيدا عن الجميع ...

ورغم احباطها هذا لكنها كالعادة تتخذ الطريق السهل لتخديره ومحاولة التغاضي عن اي تفكير يحتاج منها جهدا !

لقد تغاضت كليا عن كلام والده الواضح حول (الخيانة) كما تغاضت عن تفسير معنى وخطورة انفجاره ...

" ماهر ... تعال بنيَ وساعدني ..." استجاب لنداء امه وهو يهمس في سره " دوما ساساعدك ... دوما امي .. "

هاتفه رن وهو يتحرك نحو امه ... اخرجه من جيبه ليطالعه اسم يسرا ... تطلعت امه اليه لتقول ببعض الاستغراب " لماذا لاترد ؟!!"

اجابها قائلا بابتسامة بشوشة وهو يغلق هاتفه " ليس شخصا مهما ! وحتى لو كان لن يقارن باهميتك ... "

ضحكت امه برقة وهي تمد راسها عاليا لتصل خده تقبله بحنان وعيناها تلمعان بالامتنان قائلة " كم انا محظوظة بك ..." رد باصرار يغلفه المرح " بل انت محظوظة بنا جميعا ... تعيشين مع ثلاثة رجال وسيمين يعشقونك ..."

غمغمت نهى وهي تتهرب بعينيها منه " نعم .. محظوظة ..."

علا صوت سلسلبيل من جانب الباب " مرحباا ... انا جئت للمساعدة ..." ابتسمت لها نهى وهي تقول " مرحبا يا صغيرة ..." بينما غمز ماهر قائلا بمكر " جئت مبكرا جدا !" رفعت سلسلبيل حاجبيها ببراءة غامضة لتقول " هل اعود وآتي بعد ساعة ؟؟!!"

ضحكت نهى بينما رد ماهر مشاكسا " بعد ساعة لن يكون مهدي موجودا وبهذا لن تسلمي عليه ..."

" صباح الخير ..."

التفتت الوجوه نحو مهدي الذي يقف اعلى السلم ليردوا تحيته بينما سلسبيل تتقدم نحوه بابتسامة واسعة ساحرة " صباح الخير ... هل انت ذاهب للشركة ام ستبقى لتساعدنا .."

لم ينظر مهدي نحوها واكتفى باسبال اهدابه وهو ينزل درجات السلم بهدوء ... وما ان وصل اليها اسفل السلم حيث تقف حتى قال دون ان يتطلع نحوها " عليّ اللحاق بأبي فلدينا صفقة مهمة اليوم .." ثم تطلع نحو ماهر ليقول بابتسامة " يكفيكم وجود ماهر ... انه يعادل عشرة رجال عندما يريد ان يكون مفيدا .."

ضحك ماهر وهو يعتصر امه بين ذراعيه بينما اقتربت سلسبيل منه لتقول بصوت منخفض عاتب " هل ستتجاهلني طويلا ؟!! متى سينتهي هذا العقاب ؟!! لقد وعدتك اني لن اسبح بمفردي مرة اخرى .."

لكن مهدي تخطاها وهو يقول " الى اللقاء الليلة يا سلسبيل ..."

تابعته عينا سلسبيل حتى خرج بعد ان قبّل امه بينما ماهر يرفع حاجبا واحدا وهو ينظر اليها بسخرية !

في السهرة

(انا من اعطيتها المجال ... انا من تركت الباب مواربا ... انا هو الحقير الخائن !) حتى هو آسر الغازي بكل صلابته وسخريته من الحياة ارتجف في عمقه شيء لاعتراف اخيه هذا !

ان يصل شاهر لتلك النقطة فأن هذا اقرب لان يكون زلال ! غضبه اشتعل من نهى التي اختارت الفشل عنوانا لحياتها ومرسى لطموحاتها... صحيح لم تعجبه

يوما لكن كان لديها سحرها وشخصيتها ايضا ... هذا السحر الذي كبّل اخاه وقيده بالعشق ..

كل هذا كان يعتمل في داخل آسر بينما يضع هذا القناع الهادئ على وجهه يلاعب بين يديه كأس عصيره ويراقب ما يحدث حوله باجفان نصف مفتوحة ...

" عندما تبدو بهذا الهدوء اشعر بالقلق !" التفت آسر نحو زوجته ليبتسم لها قائلا بسخرية " ربما عليك القلق فعلا !"

مررت نادية يدها على كأس عصيره لتأخذه من يده وتضعه على الطاولة الصغيرة امامه ثم قالت بابتسامة ذكية " احب فيك قدرتك على ارعابي .."

ضحك آسر وهو يميل براسه نحوها بينما تجلس بجانبه " الليلة انا قادر على افتراس اي شخص يثيرني ... فاياك وان تكوني ضحيتي ..."

بادلته الضحك بينما تحرك حاجبيه بطريقة مستفزة لتقول " الحمد لله رياض لم يحضر مع عائلة بلال فلا احب ان اراه ضحيتك ... "

ابتسم آسر وعيناه تلتقطان وقفة ابنه ظافر المتربصة بحوراء كالعادة يراقب بنهم تحركاتها ذهابا وايابا وهي تساعد في الاعداد لطاولة العشاء ...

القلب يخفق في وجل ... وكيف لايوجل وكل خلية فيه تحثه على اختطافها ... الان .... في هذه اللحظة بالذات وهي تبتسم له بوجه محمر وتلعب معه

اللعبة التي صدقتها ... لعبة فتح الصفحات الجديدة ! بينما هو يسعى لصفحة واحدة فقط ... قديمة وجديدة ... صفحة ابدية !

لابد انها بريئة الى ابعد حد لكي لاتدرك خطواته التي تقترب من قلبها الثمين شيئا فشيئا ... لاتدرك انه يتسلل ويناور ليصل اليه ويتربع على عرشه ملكا غازيا متوجا ... قلبها هذا سيكون له وحده ... هو ولا احد غيره ...

اشتعلت الدماء في شرايينه وهو يتخيل هذا اليوم المرتقب الذي ستتحول فيه حوراء بمشاعرها نحوه ... انه لايريد تاثرا .. لايريد اعجابا .. لايريد خجلا انثويا ... انه يريد العشق ... عشق مكتسح كالعشق الذي اكتسحه منذ سنواااااات ... يريدها بكليتها تذوب فيه كما يذوب هو فيها ...

الصبر ... كلمة تعده بالكثير ... لكنها تطالبه بالكثير ايضا ... همس في سره وعيناه تتبعانها مرة اخرى " على الاقل رياض غير موجود فطاقتي تنضب سريعا بوجوده ... وانا احتاج لكل ذرة طاقة لدي لكي اقاوم اخذها عنوة ! " تسارعت انفاسه فاخذ يردد " الصبر ... الصبر ... كل شيء في وقته يا ظافر ..."

" ستخرج الان ؟!" رد رياض وهو يرتدي سترته " نعم امي ... اصدقائي بانتظاري .." قالت الام " حسنا فقط اخبرني ما رايك الان ؟!!" قال متنهدا " امي لقد وعدتني بعدم الضغط ... وها انت تعودين لذلك !"

تنهدت هي الاخرى قائلة " ألن تريحني يا رياض ؟!!" نفس مستسلم خرج من بين شفتيه ليقول " حسنا ... انا فعلا اجد حوراء رائعة من كل جانب ..

تمثل كل ما يمكن ان اريده في زوجة العمر ..." هلّلت بلقيس وهي تقاطعه قائلة " الله يرضى عنك بنيّ ... سعادتي تفوق كل الوصف ... اخيرا قررت ..! "

قال رياض برقة " حسنا امي سعيد انا بسعادتك ... لكن ..." عندها فقط انقطع الخط ! عبس رياض وهو ينظر لهاتفه واوشك ان يتصل بها مرة اخرى عندما رن هاتفه ليفتح الخط وهو يقول معتذرا " آسف عدنان ... ساخرج حالا ..." رد صديقه ببشاشة " اسرع يا رجل الكل بانتظارك ... حفل الاحتفال بعودتك سيبدأ بدونك ..."

ابتسم وهو يتمتم بسلام سريع ثم أغلق باب شقته مغادرا بينما يدعو الله ان لاتتصل امه مرة اخرى الان وتنتظر اتصاله ليلا عندما يعود ...

يجب ان يكون محددا معها وواضحا بافهامها لرغبته لمزيد من الوقت ... فمشاعره ما زلت غير مستقرة كاستقرار قناعاته العقلية ...

بعد العشاء ...

تطلعت نادية نحو نهى التي تحاول السيطرة على ارتجاف يديها وهي تضع فناجين القهوة بنفسها في الصينية .. عقدت نادية حاجبيها بينما تشعر بضغط يد نجلاء وهي تهمس لها " لاتكلميها الان نادية ... لاتبدو بخير ..."

ازداد عبوس نادية وهي ترى نهى توشك ان توقع الصينية بعد ان رفعتها .. دون تردد أمرت احدى

الخادمات بأخذ الصينية منها لكن نهى تمنعت قائلة بحنق " لا ... استطيع فعل ذلك بنف...."

قاطعتها نادية وهي تأخذ الصينية منها عنوة وتعطيها للخادمة قائلة " تعالي معي نهى .."

اعطتها نجلاء نظرة متعاطفة بينما اخذتها من يدها لتلحقا بنادية خارج المطبخ ...

في غرفة ضيوف جانبية خالية واجهت نادية نهى قائلة " ما الذي تفعلينه بنفسك ؟!! الا يكفي ؟!!" تماوجت نهى بين الضعف والقوة وهي ترد على نادية قائلة " ما بك ؟! وماذا ... تقصدين ؟؟"

تدخلت نجلاء لتقول بلطف " نادية وانا نريد ان نكلمك بشأن شاهر ... اقصد بشأن علاقتكما المتوترة .."

ارتجف ذقن نهى قبل ان ترفعه بكبرياء " لا اسمح لاحد ان يتد..." قاطعتها نادية بحدة " كفي عن تعنتك هذا وكبرياءك السخيف ! افهمي يا غبية ... زوجك يوشك ان يقع في حبائل امرأة اخرى !"

همست نجلاء معاتبة " نادية !" لكن نادية لم تتوقف فاضافت وهي تنظر لعيني نهى المرتعبتين " اجل دعينا نقولها بصراحة تامة ووضوح كامل ... فقد مللت من تهربك من كل الايحاءات ! " لم يوقفها رؤية الانكسار الكامل في عيني نهى لتكمل قائلة " شاهر يوشك ان ينجرف بعاطفته و احتياجاته نحو امرأة اخرى ... وليكن في معلومك ... هي ليست شابة صغيرة محتالة او مدعية ... انها امراة ناضجة من سنك او اصغر بقليل ويبدو انها تحبه فعلا وتسعى لكسبه مستغلة تخاذلك في الدفاع عن زوجك وحبيبك ووالد اولادك .."

اختنقت نهى بدموع حبيسة وهي تواجه صدى الكلمات التي تتردد في اعماقها منذ فترة وتتجاهلها ... نادية على حق ! لقد تجاهلت كل التلميحات ... الواضحة والمستترة ... لكنهم لايدركون ... اجل لايدركون و لايعلمون انها اضعف من ان تواجه خسارة شاهر ... كما انها اضعف من ان تدافع لتحافظ عليه !

شعرت بيدي نادية على كتفيها تهزّانها لتتناثر دموعها على خديها بينما نادية تواجهها قائلة " استيقظي نهى ... كفاك بكاءا على نفسك وحسرة على ما تاخذه منك السنون ... شاهر رجل لايمكن خسارته ... ستكونين مجنونة وساضعك بنفسي في

مستشفى الامراض العقلية اذا خسرت شاهر ولم تحاربي لاجله ..."

دموعها تجري مدرارا بينما قالت نجلاء بتأثر وهي تتقدم لتأخذها في احضانها " لاتبكي عزيزتي ... شاهر يعشقك ولكنه ..." عادت نادية لتقاطع كلام نجلاء قائلة بحدة " نجلاء يكفي تهاونا في مواجهتها ... لقد سكتنا لسنوات وقلنا هي ستتنبه لكن طفح الكيل ولن ننتظر انهيار عائلة الغازي بانهيار شاهر .."

من بين دموعها قالت نهى بتضرع وهي تتقدم نحو نادية " انه لم يعد يحبني ... لقد خسرته ! لقد قال .. شيئا عن .. الخيانة .... هل خانني ؟ اخبريني نادية بالله عليك ... هل اخبر آسر انه خانني ؟؟"

تمكن الاشفاق من نادية فنخت عزيمتها وتقهقر غضبها لتقول بتعاطف " لا ... لم يفعل ... هل

تعلمين ما الذي يمنعه ؟! ليس حبك فقط ... فالحب يذبل ويموت ايضا ... ما منعه شيء اقوى من الحب والعشرة ... ما منعه انه (شاهر الغازي) ... رجل معطاء صبور وكريم ... يقدس اسرته ويعتبرهم الاهم دوما ... لايطالب بحقوقه بينما يسعى لاعطاء الجميع حقوقهم ... انه رجل تسعى كل النساء ليحظين بمثله ... بل انهن مستعدات للقتل لفعل ذلك ... "

شهقات نهى خفتت وعيناها ما زالتا تتوسلان المساعدة والتفهم ! همست نجلاء وهي تأخذها من ذراعها " تعالي نهى واغسلي وجهك واعيدي زينته ... "

صمتت قليلا لتضيف بجدية " علينا العودة لتجمع العائلة وانت عليك العودة لزوجك .... سنتكلم مرة اخرى في وقت آخر بعد ان تكوني بذهن اكثر تركيزا وصفاءا .."

اغلق بلال هاتفه وهو يتبسّم بفرح وراحة بال .. عاد لغرفة الجلوس في بيت العائلة القديم حيث يجتمع افراد عائلة الغازي وهو ما زال يحتفظ بنفس الابتسامة ...

تقدمت نحوه نجلاء لتقول بابتسامة مشاكسة " اين ذهبت ما ان رن هاتفك ..." تطلع نحوها ليقول ببعض التردد والابتسامة ما زالت عالقة على فمه " كنت اكلم بلقيس على الهاتف .."

ارتجفت ابتسامة نجلاء هي الاخرى بينما ارهفت اغلب آذان الجالسين السمع ... قالت نجلاء باصرار ناعم " وماذا قالت لك بلقيس لتجعلك سعيدا مبتسما هكذا ؟؟!"

اسبل بلال اهدابه ليقول بهدوء وقد اتخذ قراره " بلقيس اخبرتني ان رياض يريد حوراء زوجة له .."

توتر لاح على وجه نادية وهي تحيد بنظراتها فورا نحو وجه ابنها الذي اختار ان يسبل اهدابه هو الآخر فلم تتبين ردة فعله .. توتر اقل بدى على نجلاء وهي تنظر بغموض لبلال بينما اطرقت حوراء برأسها وسلسبيل تهمس في اذنها بشيء ما ! اما مهدي الذي قضى السهرة متباعدا عن الجميع تحرك ليقف بجانب كرسي ظافر دون ان يحاول فعل شيء اخر فقط ماهر من بدى عليه التحفز !

كان آسر اول من تكلم فقال موجها كلامه لحوراء بلهجة غامضة " وما رأيك انت يا حوراء ؟" بدت حوراء متماسكة رغم المفاجأة لتقول لخالها بهدوء " سأفكر بالامر يا خالي ... فرياض شاب طيب .."

لاحظت نادية حركة ظافر وهو يشد بقبضتيه على ذراعي كرسيه بينما ما زال يخفي تعابيره ...

رفع آسر نظراته نحو بلال وقد تكاثفت الشحنات السالبة بينهما ليقول بنظرات ثاقبة " انت موافق على ابن اختك اليس كذلك يا بلال ؟؟ "

واجهه بلال بنفس هدوئه المعتاد " رياض شاب رائع .. مؤكد انا اوافق ... لكني اترك القرار لابنتي .. فهي من ستتزوج وعليها ان تفكر جديا بالامر هذه المرة "

ردد آسر ببعض السخرية " تفكر جديا !! " ليضيف بعدها بثقة شديدة " ربما لانها تعتقد انه الخيار الوحيد حاليا او لانها لم تجد البديل الافضل .."

احتدت لهجة بلال قليلا وهو يقول " هل تقصد ان رياض دون المستوى ؟! ان معه شهادة الماجستير في علوم الكيمياء وهو متخصص علمي له مستقبل زاهر كما انه على دين وخلق ووالده من افضل الناس ناهيك عن والدته التي ربيتها على يدي منذ طفولتها ..."

لم يبالِ آسر بما قاله بلال فرد وهو يهز كتفيه بخفة " كل هذا رائع لكن مميزاته التي ذكرتها ليست كل شيء .."

ما زالت نادية تراقب ولدها بقلق متزايد فرغم وجود مهدي قريبا منه الا انها متوجسة من صمته ! ومن جهة اخرى قد اغاظتها تصرفات آسر وميله الآني لاستفزاز بلال .. حتى نجلاء بدت غريبة بنظراتها اللامعة وكأنها سعيدة بما يحدث !! لم يكن لديها وقت لتحلل ما تسعى اليه نجلاء الان فالموقف قد يتصعّد اكثر ...

اتجهت لمعينها الوحيد الا وهو شاهر ... نظرت نحوه وكأنها تطلب تدخله فرد لها نظرتها بتفهم مشترك ليقول بلطف " رياض شاب رائع فعلا .. انا قابلته اكثر من مرة .. شاب طموح حقا وعلى خلق .."

ابتسم شاهر في وجه اخيه الاكبر ليحثه على قول شيء لكن آسر التزم الصمت البارد فاكمل شاهر " لكن ربما آسر لديه رأي معين بخصوص زواج حوراء .. فهو خالها الاكبر ومن ربى والدتها .."

قال بلال وقد استعاد هدوءه ولو ظاهريا " انا احترم اراءكما يا شاهر ولذلك اخبركم جميعا بالامر .. فحوراء ابنتكم كما هي ابنتي ..."

هنا قال آسر بوضوح شديد ونبرة قاطعة " انا اريد حوراء زوجة لابني ظافر .."

لم يبالِ لتأثير قنبلته على الجميع بينما وجه نظراته نحو بلال ليقول بتحدِ " ما رأيك يا زوج اختي ... هل ظافر يحظى بدعمك كما يحظى به رياض ؟!!"

لبضع ثوان فقط ساد الصمت ليقول بلال اخيرا " القرار اولا واخيرا لحوراء ... سانتظر ردها وبعدها اقول رأيي .."

ابتسم له آسر بغموض ثم حوّل نظراته نحو حوراء المصدومة ليقول بحزم ناعم " ما رأيك يا ابنة اختي .. هل ستفكرين (جديا) الان بكل خياراتك ؟ "

تطلعت حوراء نحو والدها تستمد منه بعض القوة والشجاعة لتواجه موقفا عسيرا عليها ... ولم يخذلها ... كان يكفي ان يحيطها بتلك النظرة الدافئة التي تشع حنانا ودعما وان يمنحها تلك الابتسامة الراضية والفخورة بها لكي تستعيد رباطة جأشها لتواجه العالم بأسره..

عادت بنظراتها نحو خالها آسر الذي تعشقه وهي تتجنب النظر للخيال الاسود الذي يجلس كقنبلة موقوته على بعد مترين فقط ثم قالت بهدوء يشابه هدوء والدها " نعم خالي ... سافكر ... امهلني اسبوعا واحدا فقط... لاقرر ...!"

" اسبوع ... اسبوع .. اسبوع ..." مع كل مرة يردد فيها هذه الكلمة كان يلكم الكيس الاسطواني القاسي امامه بضربة اقوى !

قال بشراسة لاتوصف " هل تحتاجين لاسبوع يا حوراء ... اسبوع ؟! تضعيني في كفة موازية لكفة ذلك الحقير الذي ساحطم اضلاعه لاقتلع قلبه من صدره ان اقترب منك فعلا .. "

عندها فقط اخذ يلكم الكيس بضربات متتالية جنونية دون توقف وكأنه ينازل خصما عنيدا ولاحياة له الا بهزمه! انه ينازل غضبه الهادر الذي كتمه بفطنة ...

لم يصدق ان لديه تلك القدرة حقا التي مكنته من طمس اسوأ انفعالاته واشرسها ودفنها في اعماقه خلال تلك الجلسة الكارثية التي انتهت بقرار حوراء ان تفكر لاسبوع حتى تختار بينه وبين ذلك الواهم !! اجل فرياض هذا لابد انه يحلم لتفكيره ان بامكانه اخذ حوراء لنفسه ...

" اقسم ساقتله قبل ان ينالها ... فالكلمة الاخيرة لن تكون لها فقط .... فلتفرح بحرية الاختيار التي تتوهم انها تملكها ..."

سقط كيس الملاكمة الرمادي ارضا بعد ان استسلم لعنف ظافر واعلن هزيمته ...انفاسه كانت تتسابق فيما بينها لتواكب المجهود الذي بذله !

الافكار تزاحمت في راسه لكن دون تشويش ... تلك المناورة الذكية والمجازفة اللامحسوبة التي اقدم عليها والده هذه الليلة كانت ضربة محكمة ..

لقد تعلم منه الكثير في عالم التجارة وجزء مما تعلمه هو الاقدام على خطوات مفاجئة وغير متوقعة تربك من نتعامل معهم وتمنحنا الوقت لتسديد ضربات غير اعتيادية اليهم تربكهم اكثر فنحصل على ما نريد ..

رغم ذلك .. والده جازف بقوة هذه المرة فقد كان من الممكن ان يرفض ظافر ما اقترحه ولن يبالِ بأي احراج لأي طرف لكن يبدو ان آسر الغازي حتى في مجازفاته يجيد الحساب ..

لقد علم جيدا ان ابنه يصل عند حوراء والامور تختلف !! والخيارات تنحصر بخيار واحد ...

لقد وجد ظافر نفسه ينتعش لمجرد طرح موضوع ارتباطها به بشكل علني هكذا .. ربما لاحساسه المجنون الذي قيده بمجهود جبار وهو يستمع لطرح فكرة ارتباطها برجل آخر يلقى ترحيبا شديدا من جانب والدها ... لكن كل هذا لا يمثل نقطة في بحر لتاثير فكرة امتلاكها بالكامل اخيرا ... اعلان الفكرة بوضوح هكذا جعلته يجن بها اكثر واكثر ... صحيح انه كان يريد امتلاك مشاعرها بالكامل قبل ان يقدم على خطوة الزواج لكن ... هذا ال(رياض) افسد كل ما سعى له ليحصل عليها كما يخطط ...

عادت صورتها وهي تتهرب من النظر نحوه بينما اكمل الجميع سهرتهم بهدوء جبّار يليق بآل الغازي ... الجميع كان يبتسم ... اجل يبتسم بينما الافكار تنعكس على الوجوه فترسم التعابير بانفعالات

مختلفة ومتباينة فتعطي في النهاية لوحة سيريالية مميزة لصراعات البشر مع دواخلهم ...

هو شخصيا لم ينطق بكلمة وسخر في سره من هذا الصمت المطبق رغم الحوارات التي كانت تدور بعيدا عن موضوع الخطبة والزواج ! حوارات صامتة لانها لاتعبر عن شيء واضح بينما ترزح في الصدور حوارات اخرى اخرستها جملة حوراء التي قالتها بثقة بانها تريد مهلة لاسبوع حتى تفكر و ... تقرر !

اغمض عينيه واطبق فكيه وهو يشعر بالصمت يلفه مرة اخرى كما لفّه واحاطه بالكامل في تلك الجلسة ... صمت كان ملاذا له فالنار التي اشتعلت لاحتمال خسارتها خلال ثوان اطفأتها نار امتلاكه الوشيك لها ... اجل ... حوراء له ... وليقل الجميع ما يشاؤون او حتى يخرسون !

" ستحتاج لهدف آخر ... اكثر صلابة وحنكة .."

التفت ظافر بقوة نحو ابيه الذي يقف عند باب قاعة الرياضة يستند عليها بوقفة مائلة ساخرة ... عيناه تلمعان بالمكر والدهاء وشفتاه تبتسمان بغموض واستفزاز ..

تقدم والده منه وهو يخلع سترته ويرميها ارضا باهمال ثم قال بدعابة " اياك ان تنسى اني والدك فتسدد لي لكمة قوية !"

ثم اخذ آسر يشمّر عن ساعديه وهو يقترب اكثر من ابنه ليواجهه ..

قال ظافر بنظرات هادئة وذقن مرفوع " لااحتاج اليك كهدف ! انا اعلم ما هو هدفي واسدد بدقة دون خطأ او تردد ..."

ضحك آسر ملئ فمه وهو يرفع ذراعيه بوضعية الملاكم ثم غمز قائلا " لايخدعنّك شعري الرمادي فهو لجذب الفتيات الصغيرات فقط .. انا ما زلت آسر الغازي وقادر على صرعك حتى دون لمسك !"

ضحك ظافر وهو يهز راسه ثم بدأت تلك المنازلة وربما ... المحاورة ...

آسر كان بارعا وهو يتجنب لكمات ابنه بينما يجري حوارا جديا حان وقته ..." عليك ان تهاجم بلال بطريقة ذكية لتحصل منه على ما تريد كما تهاجم حوراء بالضبط .."

لكمة اخرى افلت منها آسر بينما ظافر يرد بشراسة " انه لايهمني ... هي فقط من احتاج الحصول على قلبها .. انا اعشقها ... اعشقها .... واريدها ان تعشقني في المقابل ..."

كما كان آسر ذكيا في المناورة بحركة جسده ورأسه ليتجنب لكمات ابنه كان ذكيا وهو يخفي فرحه الغامر لذلك الاعتراف الذي خرج اخيرا من سجنه ...

قال آسر بابتسامة جموحة حيوية " ستكون لك كما تريد ... فقط كن انت ايضا كما تريد هي ... تذكر .. اخذ وعطاء ... صفقة متبادلة والذكي من يعقدها بأقل الخسائر دون ان ينسى ان التنازل احيانا لايعني الخسارة فعليا ..."

رد ظافر بانفاس متلاحقة وقبضاته تلاحق مناوارات ابيه " اخسر اي شيء الا هي ... لقد كنت غبيا اذ فكرت اني مقيّد بها دون ان ادرك ان باستطاعتي تقييدها هي الاخرى بي ... فلنعش مقيدين ببعضنا على ان لانعيش معا ابدا !"

ضحك آسر وهو يرقب نظرات ظافر التي سادها هيام لايوصف بينما تفقد تركيزها ففاجأه بلكمة سريعة اوشكت ان توقعه ارضا ..

نظر ظافر نحو والده بعتب وهو يفرك فكه الموجوع ليبتسم ويقول " انت لاتلعب بانصاف ابي وتستغل اي نقطة ضعف تراها .."

تحرك آسر ليربت على كتف ابنه ثم تجاوزه ليلتقط سترته من الارض وهو يقول " حتى استغلال نقاط الضعف يجب ان يكون بشرف فايّاك ان تنسى هذا بنيَ .."

ثم غادر آسر القاعة تاركا ابنه خلفه لترتسم على شفتيهما نفس الابتسامة !

" كيف تفعل هذا ؟! كيف تجازف ؟!!" هذا ما واجهته به نادية حالما دخل غرفتهما ... ضيق آسر عينيه قليلا وهو ينظر اليها ...

التفت ليغلق الباب خلفه وهو يقول " المجازفة ادّت الى نتائج ترضينا جميعا .."

قالت نادية بحنق " ترضيك انت واختك المجنونة التي سعت لحصول ما حصل وهي تصر على بلال ان يخبرنا بالمكالمة الهاتفية مع اخته ..."

امال آسر راسه جانبا وهو يلتزم الصمت بينما نادية استمرت تقول بنفس الحنق " كلما تذكرت ما حصل اشعر بحرج اكبر ... يا الهي ... كيف ساواجه بلال وقد عرضناه لموقف سخيف كهذا !"

رد آسر بقساوة باردة " هو من سعى لهذا .. كان عليه ان يعرف انه لن يستطيع ان يتحداني .."

هزّت نادية راسها بعدم تصديق وهي تقول " انت غير معقول يا آسر !! ليس من حقك فرض شيء عليه .. انه لايتحداك ... انه يريد الافضل لابنته .. لماذا لاتتفهمه ؟!!"

قال آسر بملل " انه يبالغ كعادته في فرض مواصفات الرجل المناسب ... وانا لن اضيع وقتي بمحاولة التأثير عليه وتغيير قناعاته ..."

تكتّفت نادية وهي تزم شفتيها لتقول بحزم " انه والدها ... هل تسمع يا آسر ؟؟ والدها ... وقد قلتها لك سابقا وساعيدها الان ... اذا اختارت حوراء الزواج من رياض او اي شاب آخر وعن قناعتها

الشخصية فأنا ساساندها لانه يبدو ان لااحد يساندها غيري .. حتى امها المجنونة كجنونك ..."

ابتسم آسر ليقول برقة " وماذا لو قلت لك ان ولدك ظافر صارحني توا بعشقه لها ؟!"

اتسعت عينا نادية وهطل ذراعيها جانبا بينما اتسعت ابتسامة آسر وهو يتقدم نحوها قائلا بصوت مبحوح " لقد ذكرني بذلك العشق المجنون الذي اعترفت به لنفسي قبل سنواااات ..."

خرج من حمامه الخاص وما زال الماء يقطر من جسده وهو يلف نفسه بمنشفة حول وسطه ، تعجل خطواته ليلتقط هاتفه الذي علا برنينه ...

ارتجفت يده وهو يقرأ اسمها على الشاشة الصغيرة... فتح الخط وابتلع ريقه بصعوبة .. تعثرت كلماته رغما عنه فلم تخرج .. بينما انساب صوتها قائلة ..

" هل كنت نائما ؟"

الفصل التاسع

" اذهبا للنوم ... حالا ايها المتلصصان !"

انسحب كلا من محمد ومحمود خائبين بعد ان اكتشفت امهما وجودهما خلف باب غرفتها ...

قال محمود لتوأمه بخيبة امل " هل سمعت شيئا ؟! انا لم التقط صوتا حتى اجفلني صوت امي وهي تأمرنا بالذهاب للنوم .."

لم يرد محمد بشيء وهو ينسحب مع اخيه نحو غرفتيهما ليقول ما ان دخلا واغلق محمود الباب " هذا شيء غير مطمئن ! اقصد كنت اتوقع الزوابع بعدما حصل في بيت خالي شاهر .. لكن ...." صمت

محمد بتفكير تاركا جملته معلقة في الهواء .. حثّه محمود قائلا " لكن ماذا ؟؟!! قل .."

رد محمد " لكن امي تثير ريبتي ... هل لاحظت انها بدت سعيدة ؟! بل حتى مبتهجة !! " مطّ محمود شفتيه وهو يقول بحيرة اكبر " اجل لاحظتها بينما ابي التزم بارتداء هذا القناع الصامت الذي لاافهم منه شيئا ! حتى حوراء بدت غريبة الاطوار وكأنها ... وكأنها ..." صمت قليلا يبحث عن وصف مناسب ليجده اخيرا وهو يكمل " وكأن هناك ما يقض مضجعها ! لم تبدُ كعروس سعيدة مطلوبة من عريسين وسيمين بل بدت غارقة في حيرة حزينة !! حقا اختي غريبة الاطوار احيانا ..."

تمدد محمد على سريره وهو يقول " لاتكن غبيا ! الا تفهم ان الاختيار صعب وان حوراء تخشَ ان تتسبب بمشكلة في العائلة ... فأن رفضت ظافر ورضيت برياض سيغضب خالي آسر وان فعلت العكس ستغضب العمة بلقيس ..."

حرك محمود حاجبيه وهو يبتسم باستمتاع " لاشيء يقارن ما سيفعله ظافر اذا رفضته .. اتخيل رياض و صف اسنانه العلوي محطم !" ضحك محمد بينما اكمل محمود وهو يرمي نفسه على سريره المجاور لسرير اخيه " حقيقة الامر يبدو ممتعا ... سنرى من سيفوز ..."

حرك محمد رأسه وهو يقول بابتسامة " لافائدة منك .. ! دوما تأخذ الامور ببساطة شديدة ... " استكان محمد قليلا وتلاشت ابتسامته الصغيرة وهو يضيف " بالنسبة لي اخشَ على والديّ ان يختلفا !"

ينظر اليها وهي تمشط شعرها بدلال وعيناها ما زالتا تحملان نفس اللمعة ! ابتسم بلال في سره وهو يتوجه نحو سريره ملتزما صمتا يشابه صمتها ... !

تهادت في مشيتها وهي تلتحق به في السرير ... يتابعها بحنان وهو لايملك الا ان يشعر بالسعادة لفرحها البادي على تقاسيم وجهها ...

دخلت تحت الغطاء ثم انحنت لتطبع قبلة على خده وتقول " تصبح على خير .." ابتسم لها قائلا " ألن نثِر الزوابع كما كان يخمن التوأمان وهما يتنصتان خلف الباب ؟؟"

ضحكت ضحكتها الطفولية لتقول ببشاشة " مزاجي رائع الليلة وليس لدي ميل لاثارة اي زوبعة .."

نظر اليها بتسامح وهو يقول " ربما لانك اثرتها مبكرا الليلة والان تبتهجين بآثارها .." ضحكت بخفة ثم قالت بلمعة مكر " دعنا نترك الامر لحوراء حتى تقرره وبعدها سنتراضى ... ألم نتفق سابقا على هذا يا حبيب القلب والفؤاد ؟؟" تدفق العشق من عينيه لكنه قال وهو يبتسم بعتب رقيق " حسنا .. نحن اتفقنا .. لكن اتذكر انه كان من ضمن الاتفاق ان لا تتبعي مناورات آل الغازي ... "

ضحكت مرة اخرى وهي تميل براسها نحو وسادتها بعد ان قربتها عمدا من وسادته لتقول " اعتبرها احدى مشاكساتي الصغيرة .."

رفع حاجبيه باستدراك وقال " اذن تعترفين ؟"

هزّت راسها بقوة والمرح يتألق على وجهها

ذابت نظراته حنانا وهو يقول لها " يا صغيرتي ... كل هذا الابتهاج لان آسر طلب حوراء لظافر ؟!! هل لهذه الدرجة يهمك ارتباطهما ؟!"

رمشت بعينيها ايجابا وابتسامتها تزداد حلاوة فمد يده واخذ يلامس خدها وهو يهمس " اتمنى ان لايخيب املك .."

ردت وهي تحرك حاجبيها هذه المرة " سترى ... " ودون مزيدا من الكلام دسّت نفسها في حضنه واغلقت عينيها بابتسامة هانئة ... مد بلال يده ليطفئ الانوار من زر جانبي ثم عاد ليلف ذراعه حولها ويغلق عينيه بينما تلهج شفتاه بدعوة صادقة من القلب " اللهم يا علام الغيوب انِر بصيرتنا جميعا لما فيه الخير .."

" هل كنت نائما ؟!"

صوتها الهادئ استفزه بينما هو يعاني الارتجاف رعبا من اسباب اتصالها في هذا الوقت ! كلماته تتبعثر فتضيع منه وهو سيد الكلام ! لكن (سيد الكلام) ضاع منه الكلام امام هذه الفتاة التي تنقله من جنون لآخر ....

عادت لتسأله وقد لاح بعض الحرج في نبرتها " ظافر ... هل تسمعني ؟؟ هل .." اخرج صوتا اجشا وهو يقاطعها قائلا " دوما اسمعك ... حتى دون ان توجهي لي الكلام فأنا اسمعك ..."

صمتت ... فصمت هو الآخر ... زمّ شفتيه يكتم انفعاله بينما الافكار تتلاحق في راسه ... (لماذا تتصلين الان يا حوراء ؟ اياك ان تقولي كلمة تجعلني افقد السيطرة ... اياك حوراء ... ليس الان وانا على هذه

الحافة احاول السيطرة على نفسي حتى لااقع في المحظور!)

قالت بصوتها المميز " هل تستغرب اتصالي ؟" رد بتماسك " صراحة ... نعم ... "

اطلقت نفسا قبل ان تقول بدهشة " انا ايضا استغرب اتصالي ! استغرب اني اقدمت على عمل بعيد عن طبيعتي وقناعاتي ... لكن للضرورة احكام ... وما حدث الليلة لايحتمل الانتظار للغد .... "

كان يسحق اسنانه ! لايعلم لمَ اغضبه هذا الرعب الذي تملكه ؟!! (اهدأ ظافر ... هي لم تقل شيئا بعد ... لاتستبق الامور وتفترض الاسوأ .. وحتى لو حصل .. انت قادر على التصرف بذكاء لتحظى بها ..)

" ظافر ...؟ هل ما زلت معي على الخط ؟" قال بصوت غامض يخفي الكثير من انفعالاته " قلت لك انا اسمعك ... انت من تترددين بالكلام ! وكأنك تنتظرين مني تشجيعا !"

عادت لتسأل بتشتت " هل كنت نائما ؟ هل ايقظتك ؟" قال برقة يخصها بها وحدها " كنت اخذ حماما .. " ثم ضحك بخفة ليضيف " انه حوار يليق بخطيبين الا تعتقدين ؟!"

قالت بلهجة لم يتبينها " خطيبين ؟! هل حقا انك راغب بطلب الخطبة هذا ام انها احدى مناورات خالي مع ابي وانت سكت مستمتعا بما يجري ...؟"

عبس ظافر قليلا ليقول " هل هذا ماتظنينه حوراء ؟!" قالت بضعف " لاعرف .. انت قل لي ... ما الذي حصل الليلة ؟؟ هل كنا في لعبة ؟ وهل اصبحتُ الجائزة لمن يربح هذه اللعبة؟! ..."

اطلق نفسا قبل ان يناديها برقة " حوراء .." ردت همسا " نعم .." قال وهو يشدد على كل كلمة " أنا اريدك زوجة لي بكل جوارحي .."

اطربته انفاسها المتسارعة فهمس بنعومة " ألن تساليني لماذا اريدك ؟" فاجأه ردها السريع القاطع " لا .." قال ولم يخفِ عجبه " لمَ؟!!" قالت بتهرب " كل ما اردته التأكد من رغبتك حتى افكر بشكل جديّ .." عقد حاجبيه وهو يسألها " واسبابي لاتدخل من ضمن اهتماماتك ؟؟! "

قالت والتشتت يسيطر عليها اكثر " انت ستحاول التاثير علي بالتلاعب على العاطفة ظافر بينما انا اريد التفكير بعقلي دون ان تشوشني ... "

ابتلع ريقه وقد بدأ يشعر بالخوف الحقيقي يغزو قلبه ... شتم رياض عشرات المرات في سره لانه افسد عليه مخططاته ... فلو عشقته حوراء لما ترددت ... لما فكرت اصلا ... لكانت سعت اليه دون ان تأبه لشيء ... حاول التزام الهدوء وهو يناديها " حوراء .." لكنها قاطعته وهي تقول بضعف مس قلبه " اذا كنت تريدني زوجة حقا دعني اقرر بنفسي .. عدني انك لن تحاول الاتصال بي حتى اقرر ..." تنهد باحباط بينما اضافت هي بتضرع " لاتمارس علي الضغوط ظافر .. لاتحاول استغلال مشاعري اتوسل اليك .." خفقات القلب تراقصت فقال برقة " اذن ... هل اعتبره اعترافاً بوجود المشاعر ؟!" سارعت لتهرب وهي تقول قبل ان تغلق الخط " تصبح على خير ظافر ... اراك بعد اسبوع .."

(تصبحين على خير) جملة قالها شاهر قبل ان يوليها ظهره .. كم مضى من الوقت وهي تراقب ظهره العريض ودموعها تجري مدرارا ... فقط الدموع .. رفيقتها ومؤنسة فشلها ! لم تكن تجرؤ على اقلاق نومه بنشيج مسموع ... انها لاتستحقه .. منذ البداية لاتستحقه ... لاتستحق رجلا مثله ولكنه اختارها والله وحده يعلم لماذا اختارها واحبها ؟!! لقد علم حتى بمشاعرها السخيفة الطفولية التي حملتها لآسر في ذلك الوقت ولكن عزمه لم ينثنِ لغزو قلبها ... وقد غزاها ... تمكن منها ... جعلها تتمرغ بنعيم مملكة قلبه ... كان يكفي ان تلمسه ليرد لها اللمسة بسعادة لاتوصف ....

مدت يدا مرتجفة نحوه واوشكت ان تلامسه لتتراجع مدحورة بضعفها المستبد بها ... تقهرقرت اليد في قبضة خائرة نحو صدرها ثم اغمضت عينيها ودموعها ما زالت تسيل بصمت .... همسة خرجت من بين شفتيها " شاهر .." قبل ان تأخذها اغفاءة غريبة وكأن الانهاك تمكن منها فجأة فاستعان جسدها بالنوم فيهرب العقل من التفكير بالقادم !

لم تدرك ان شاهر ما زال مستيقظا مفتوح العينين يلتقط باحساسه قبل سمعه ذبذبات بكائها ... همستها باسمه طعنته ! واوشك ان يضعف ويستدير نحوها ليضمها لصدره مطمئنا الا انه تراجع ... فلا فائدة من بثها الاطمئنان الان ! لافائدة عندما يصبح الحب اكبر المبتزين للشفقة !

اخذ رياض يفرك احدى عينيه بينما يمسك هاتفه باليد الاخرى وهو يقول بنعاس " امي ! ما الذي جعلك تتصلين في هذا الوقت ؟!!" ردت باثارة لم تستطع اخفاءها " اسفة حبيبي .. نسيت فرق التوقيت بيننا ... لكني لم احتمل ان اقول لك ..." مسح رياض وجهه كاملا وهو يستعيد وعيه قائلا " اعتذر لاني لم اتصل ... كنت مرهقا جدا بعد عودتي ففضلت الاتصال بك غدا صباحا .."

قالت بلقيس ببشاشة " لاعليك بنيّ ... هل استمتعت مع اصدقائك ؟" ابتسم رياض وهو يقول " جدا ... ضحكت دون توقف حتى اوجعتني معدتي ! " ضحكت بلقيس وهي تقول " سعيدة من اجلك .." ثم هدأت قليلا وهي تكمل بمرح " هناك امر اخر سيبهجك .."

سأل رياض ببعض التوجس " ماذا ؟" ردت بفرح غامر " لقد اتصلت ببلال وطلبت حوراء رسميا لتكون زوجة لك .." اتسعت عينا رياض وهو يهب في فراشه قائلا " ماذا ؟!!" ارتبكت الام من ردة فعله قليلا لتداري ارتباكها وهي تقول بنفس المرح " اجل يا عريس ... حوراء ستكون زوجتك قريبا .."

اخذ رياض يفرك جبينه وهو يقول بحنق لم يستطع كظمه " ماذا فعلتِ امي ؟!! يا الهي .. كيف تفعلين هذا دون الرجوع الي ؟ ماذا ساقول لخالي ؟ بل ماذا ساقول لها ؟؟!! "

ابتلعت بلقيس ريقها وقد دبّ فيها القلق مما تسمع .. قالت بصوت يعكس قلقها " ماذا يحدث بنيَ ؟!! ألم تقل لي انها الزوجة المناسبة لك ؟ انا لم اتصرف هكذا الا بناءا على كلامك .."

رد رياض وحنقه يتصاعد " اجل امي قلت هذا .. فقط هذا ... لم اطلب منك بل لم انوه لموضوع طلبها رسميا .." اضطربت الام فقالت بتلعثم " ماذا ... ماذا تقصد ؟! الا .. تريدها حقا ؟"

قال رياض وهو يغادر سريره بنزق ليتحرك في ارجاء غرفته على غير هدى " انا قلت لك ان فيها كل المواصفات في زوجة العمر لكن كان يجب ان اسألها واتأكد بنفسي .. لم يكن يجب عليك تجاوزي واحراجي بل حتى احراجها هي شخصيا .."

قالت الام بحيرة " احراجها ؟!! ولماذا تحرج ؟ انها على وفاق معك منذ الصغر وانا متأكدة انها الان تكن لك العاطفة .."

كزّ رياض على اسنانه وهو يقول " لا امي .. انت مخطئة ... حوراء لااشعر بها تكن لي العاطفة كما تتوهمين ولذلك اردت سؤالها بنفسي ... مشاعرها غير واضحة ومشاعري انا نفسي ليست واضحة لي ... لماذا تعجلتِ امي .. لماذا ؟!!" قالت بلقيس بقلق متزايد " ماذا تقصد ؟ ان مشاعرك غير واضحة ؟!"

لم يرد عليها الا بزفرة عميقة فقالت بقوة هذه المرة " افهمني رياض ... ماذا يحدث عندك ؟ " اغمض رياض عينيه للحظة وحاول ان يستعيد هدوءه وهو يقول " امي ... انا اشعر ان حوراء تكن مشاعر لظافر .. لم استطع التأكد منها بعد وفي المقابل ... انا .." صمت فحثته امه باصرار " اكمل ... انت ماذا ؟" رد بتمهل " انا مشوش العاطفة حاليا ... هناك ... فتاة اخرى ... تشغلني .."

شهقت بلقيس قائلة " يا رب السموات ... ماذا ساقول لبلال ؟!" فسارع رياض لطمأنتها " اتوسل اليك لاتجزعي .. الامر ليس بالسوء الذي تتصورينه ..ولكنك تعجلت كثيرا امي ... كنت اتمنى لو تركت الامور تجري بشكل طبيعي اكثر .." تنحنح قليلا ثم اضاف " لاتقلقي وانا عند كلمتك التي قلتِها لخالي ... لاتخافي لن اخذلك او اخذله .. ساتصرف .. وربما هذا فيه الخير لنحدد جميعا مشاعرنا وخياراتنا .."

همست بلقيس بجزع حقيقي " من هي الفتاة التي تشغلك ؟! هل .. تعرفت عليها في عملك ؟" رد رياض بمواربة " لاتشغلي بالك بها ... فقط اتوسل اليك دعيني اتصرف هذه المرة .. اتصرف وحدي !"

بعد يومين

قالت نجلاء ببساطة " رياض لايناسبك !" ردت حوراء وهي تساعد امها في اعداد الطعام "لماذا لايعجبك رياض ؟ انه يشبه ابي كثيرا .. كنت اتصورك على الاقل تعترفين بتميزه .."

رفعت نجلاء راسها وقالت بعنفوان وفخر " اولا انت طلبتِ رأيي حول مدى تناسبه معك كزوج ... ثانيا لااحد ... لااحد على الاطلاق مثل والدك .. والدك حالة متفردة لذلك كان يستحق كل ما فعلتُه لاحظى به .." ثم عادت لعملها وهي تضيف بمواربة " مع ذلك من قال ان رياض لايعجبني ؟!!! انه شاب رائع .."

عبست حوراء قائلة بحيرة وبعض الغيظ " لاافهم لماذا تفضلين ظافر عليه ؟ هل لانه ابن خالي آسر بالذات ؟" ابتسمت نجلاء دون ان ترفع نظراتها نحو ابنتها لتقول بمحبة " لاانكر ان جزء من تفضيلي له لانه ابن آسر .. الاخ الذي مثل لي امورا كثيرة لااستطيع حتى تحديدها ... كان يكفي انه موجود فأشعر اني افضل ... "

ثم رفعت عينيها نحو ابنتها لتقول بصراحة صادمة " لكن عزيزتي الا تشعرين انك تميلين نحو ظافر اكثر من رياض ؟" احمرت حوراء وابتعدت بنظراتها لتقول بلهجة غريبة " العاطفة ليست كل شيء امي .."

ردت نجلاء بهدوء " هذا صحيح ... هل تعلمين ... كثيرون ظنوا ان سبب اصراري على والدك رغم فارق السن بيننا لاني حكّمت عاطفتي فقط .. لكن هذا غير صحيح .." تطلعت حوراء نحو امها فلم تملك الا ان تشعر بالفخر للقوة التي تشع من عيني هذه الام الفريدة بنوعها ...

اكملت امها بثقة " انا وجدت في والدك ضالتي .." ابتسمت بعاطفة لتكمل " كنت ابحث عن رجل يحتويني بعاطفة ويتفهمني ويجعلني الاهم في حياته .. يجعلني ابنته وحبيبته .. لم يخذلني يوما وانا سعيت واسعى بكل جهدي حتى لااخذله بشيء "

تهربت حوراء من تأثير كلمات امها لتقول " امي ما علاقة ظافر بما تقولينه عن ابي ؟؟"

اقتربت نجلاء من ابنتها تنظر مباشرة لعينيها وتقول " الا تجدين في ظافر ضالتك ؟ نصفك الآخر الذي يجذبك بجنونه وسحره ..؟؟"

تلعثمت حوراء وهي تواجه نظرات امها المتفحصة ... قالت والحيرة تعصف بها " امي .. جنونه هذا يقلقني ... ظافر مختلف عني اكثر من اللزوم ... انا لااشعر بالاطمئنان معه .. كما لااجد ان هناك رابطا متينا يربطنا .. حتى ميولنا مختلفة .."

عقدت نجلاء حاجبيها قائلة " هل لهذا تحجرين على مشاعرك نحوه ؟.." احمرت حوراء وهي تشعر انها كانت مكشوفة اكثر مما تظن !

اضافت الام بحنان " انا اعلم حبيبتي .. اعلم منذ سنوات كيف تشعرين .. كيف تتسرب نظراتك نحوه في خفية عن الجميع .. كيف تتألمين كلما تكلمت سلسبيل عن مغامراته العاطفية .."

رغم هذا قالت حوراء باصرار " امي يجب ان اكون متعقلة .. " ابتسمت نجلاء وهي تقول مشاكسة " اجل كوني متعقلة ولا تضيعي سعادتك !... ظافر ليس سيئا وانت تعرفين هذا جيدا .. انه رجل بمعنى الكلمة .. ذكي.. ناجح .. " اكملت لها حوراء بتحدِ " ساخر... يرتكب المعاصي... لايحترم حتى تديني !"

عادت نجلاء لعملها وهي تقول ببساطة " بامكانك التأثير عليه .. المرأة الذكية من تعرف الطريق الصحيح لتجعل زوجها يتغير لاجلها .."

قالت حوراء بيأس حقيقي " انه اقوى من ان استطيع تغييره .." نظرت نجلاء نحو ابنتها نظرة واحدة ثم اطرقت مرة اخرى لتقول " بل انت التي لاتدركين ... انت اقوى تاثيرا عليه من اي شيء آخر في حياته ...."

يوم الاربعاء

" رياض ... هناك انسة جميلة في الاستقبال تسأل عنك .. " عبس رياض قليلا وهو يفكر اي انسة ؟! هل يمكن ان تكون حوراء ؟! سأل زميله الذي نقل له الخبر " هل هي محجبة ؟" رد زميله وهو يجلس على كرسيه قائلا " لا ... "

تحرك رياض تاركا كرسيه شاكرا زميله ليتوجه الى الدور الارضي حيث مكتب الاستقبال في الشركة ...

ابتلع ريقه وهو ينظر لهيئتها الجذابة من بعيد ... تقف متكتفة وتلف احدى ساقيها حول الاخرى بينما تتطلع برأس مائل لاحدى اللوحات الضخمة على الحائط ...

استعاد رباطة جأشه وهو يتقدم نحوها راسما ابتسامة على وجهه وهو يقول بمرح " من ارى هنا ؟! الصغيرة صاحبة المقالب ؟!! "

التفتت سلسبيل نحوه وهي تبتسم بطفولية لكن عينيها كانتا تلمعان بغموض ... كتلة سحر هذه ال(سلسبيل) .... حدّث رياض نفسه ...

قالت وهي تمد يدها اليه لتصافحه قائلة " مرحبا رياض ... اسفة اذا جئت دون اتصال او موعد مسبق..."

كان يكتم تأثيرها عليه وهو يصافح يدها الناعمة ويبتسم قائلا " انت تأتين في اي وقت ودون اي موعد او حتى اتصال ... كيف حالك ؟"

ردت سلسبيل وهي تغمز قائلة " انا بخير ... لن آخذ من وقتك الكثير لكني اريد مكالمتك بموضوع فهل يمكننا الذهاب لمكان ما .."

ارتعشت ابتسامته للحظة قبل ان يقول " مؤكد ... تعالي معي لمقهى الشركة ..."

من بعيد ... كانت عينان تراقبان من خلف نظارة شمسية نسي صاحبها ان يخلعها في الجو المعتم نسبيا .. فرؤيته لها وهو تكلم رياض كانت ضربة قاسية ... قاسية جدا ... والان يراها تتقدمه ليتوجها لمكان ما جعلته يفقد قدرته على الاستيعاب ... انها تبتسم له بسحر وهو يبدو مستسلما لسحرها !!

النظارة السوداء حجبت تلك الموجة العاتية من الغضب التي عكستها عيناه وبدلا من ان يلحق بهما استدار مهدي مغادرا الشركة العالمية حيث يعمل رياض وقد جاء ليكلمه ....

قال رياض بشكل مباشر وهو ينظر لسلسبيل كيف تشرب عصيرها بتمهل " هلا اخبرتني بسبب حضورك ؟ " ابتسمت سلسبيل وهي ترفع عينيها نحوه ببطئ لتقول بنعومة مستفزة " ماذا تتوقع ؟"

رد رياض بهدوء " كفاكِ لعبا سلسبيل .." نظرتها اتسمت بالقوة والكبرياء وهي تقول بنبرة لم يسمعها منها سابقا " قد يظن الكثيرين اني العب ولكنهم مخطئون !"

لم يعقب رياض بشيء وانتظرها حتى تكمل ففاجأته بالسؤال " هل انت حقا تريد حوراء زوجة لك ؟"

تطلع اليها في ثبات وهو يقول " هل لديك شك ؟" ردت بنفس ثباته " نعم ..." ضيّق عينيه قليلا قبل ان يضيف " لماذا تقولين هذا ؟" قالت ببساطة " لاني اراك لاتكن مشاعر حقيقية لحوراء .." فقال رياض بابتسامة ذكية " بينما ترين اخاك ظافر يفعل .."

رفعت ذقنها بكبرياء ساحر " انها لاخي ... قلبا وقالبا ... هناك ارتباط وثيق بينهما ... قد لايكون مفهوما لهما حتى لكني انا افهمه واعرف عن يقين قوته .."

ابتسم رياض ساخرا ليقول لها " هل لهذا اتيتِ يا سلسبيل ؟ لتقنعيني ان فرصتي بالزواج من حوراء لاتعادل فرصة ظافر ؟"

ابتسمت بقساوة لترد " مؤكد فرصتك لاتعادل نصف فرصة اخي ! قد لاتعرف ظافر جيدا لكني اعرفه كما اعرف خطوط كفي هذه .." كانت ترفع كفها وهي تمرر انامل يدها الاخرى ترسم خطوطه ... ابتلع ريقه يقاوم هذا السحر المنبعث منها لكن ذكاؤه لم يخنه وهو يلتقط تلك النظرة الساخرة من عينيها الجميلتين ..

اصابه نوع من الجمود بينما يلتقط القطع المتناثرة ليرتبها في اماكنها الصحيحة في عقله ...

قال بعينين ملتمعتين " هل لهذا حاولت التلاعب بي ؟ هل هذه احدى مقالبك يا سلسبيل لتبعديني عن حوراء لصالح اخيك ؟؟"

اسبلت حوراء رموشها لتقول بابتسامة تقطر براءة " انا لم افعل شيئا يذكر ... انت كنت مستعدا فقط لاي مشاغلة .."

غضب اشتعل في احشائه .. من تحسب نفسها هذه الطفلة لتقول وتفعل ما تريد ... سمعها تكمل بهدوء مستفز " انا لم افعل الا ان اعطيتك لمحة مما يمكن ان تحصل عليه مع فتاة ترغب بها حقا ... حوراء لاتناسبك ... انها خلقت لظافر ..."

ارتجفت عضلة في خده فقال بقساوة ليست من طبعه " هل تقنعيني ام تقنعين نفسك ؟! انت انجذبتِ لي ايضا ..."

ابتسمت بتلك الطفولية التي اصبحت مستفزة له لتقول ببشاشة " انت وسيم وجذاب جدا ... شخصية رائعة بحق .. لكني اعتذر منك ... لم يحصل ما تتوهمه !"

اتسعت عيناه بينما امالت رأسها جانبا لتسأل ببساطة " هل تراني جريئة جدا ؟" اخر قطعة وجدت مكانها الصحيح في الاحجية التي تدعى... (سلسبيل) ... لايعلم كيف جعلته الصورة المكتملة يشعر بالهدوء بدلا من الغضب السافر !

قال رياض بصوت حيادي " انت جريئة فعلا ... ربما هذا ما جذبني اليك ... نكهة لفتاة مختلفة ... لكن في النهاية لااعتقد انك تلائميني ..." لم ترد الا بابتسامة فاضاف بهدوء " ربما تلائمين مهدي .. الاتظنين ؟"

كان سعيدا ... سعيدا بانتقامه وهو يرى رجفة صغيرة لامست ذقنها الصغير ... اتسعت ابتسامتها وهي تقف على قدميها وتقول " شكرا للعصير ... سعدت بقضاء بعض الوقت معك ..." تبسم قائلا " اتمنى لك التوفيق .. وبالنسبة لموضوع حوراء فلنتركه لها هي من تقرره دون ضغوط او تدخل .. كما قال خالي بلال ... هي من ستقرر وسنحترم جميعا قرارها " هزّت كتفيها بخفة قائلة " كما تشاء ... انا فعلت ما عليّ " ثم لوحت له بيدها مودعة ...

وبينما هي تبتعد كانت نظراته تلاحقها ليقول بتنهيدة " لقد كنت تضربين عصفورين بحجر واحد ..." غامت عيناه وهو يهمس " كم انت محظوظ يا ابن الغازي ..!"

قالت نادية من بين اسنانها " اذهبي اليه الان ... حالا نهى ...." تلعثمت نهى قائلة " افهميني نادية ... انه لايكلمني منذ ايام ... لاينظر في وجهي حتى ... انا .." علا صوت نادية وهي تقاطعها لتقول بحدة وصرامة " اقسم بالله ان لم تخرجي من جحرك الان سآتي اليك واشدك من شعرك حتى اوصلك عتبة مكتبه .."

اختنق صوت نهى عبر الهاتف وهي تسألها " فقط اخبريني ... قولي لي ... من هي نادية ؟ اخبريني ؟ هل .. تعمل عنده ؟ ام ربما احدى .."

قاطعتها نادية مرة اخرى لتقول بحنق " انت لاتفهمين .... اليس كذلك ؟!! يا حمقاء لايهم من هي ... المهم انه ما زال يبحث عنك انت فيها ... "

لم تبالي نادية بالشهقات التي تصل مسامعها لتكمل قائلة بوضوح شديد " اسرعي نهى بالقيام بتصرف صحيح وكفي عن عويلك الاحمق غير المجدي ! اعيدي زوجك قبل ان يجدك فيها فعلا ! والاسوأ يجد امورا اخرى قد تجذبه نحوها اكثر واكثر ..."

قال آسر باستمتاع ما ان اغلقت نادية هاتفها " انت مخيفة عندما تريدين ... لقد ارعبتني شخصيا !"

حدجته بقوة لتقول بحنق " اصمت آسر ... " انفجر آسر ضاحكا وهو يميل بجذعه للخلف على كرسيه الجلدي ... زجرته قائلة " توقف عن الضحك .."
استمر يضحك بينما يغادر كرسيه ليلتفّ حول مكتبه ويصل اليها ....

مد يده يلف احدى خصل شعرها حول اصبعه قائلا " لاتغضبي .. " ابعدت رأسها عن متناوله لمسته لتقول بذقن مرفوع " تبدو رائق المزاج .."

عض طرف شفته السفلى ليسأل باستفزاز " ولم لا ؟!"

اطلقت نادية نفسا وهي تبتعد عنه لتجلس على كرسي قريب ثم قالت " بصراحة انا مرتعبة .."

جلس على الكرسي المقابل وهو يقول بغموض " من اجل شاهر ونهى ؟" تطلعت اليه للحظات قبل ان تقول " لا ... رغم اني حزينة لاجلهما لكن وضعهما لايثير رعبي ... ليس لهذه الدرجة ..." اطرق آسر برأسه فقالت نادية " انت تعرف من اقصد اليس كذلك ؟"

قال دون ان يرفع رأسه " اتخشين ان لاتختاره ؟؟" تمكنت منها عاطفتها كأم ووجدت قلبها يتوجع وهي ترد على زوجها " انه يتعذب بالانتظار فما بالك ان لم .." قاطعها آسر وهو يرفع رأسه بشموخ قائلا بثقة متناهية " ستختاره ... ستفعل ..."

لكن نادية قالت باحباط " لاتكن واثقا هكذا .." امال رأسه وهو يقول بعينين تلمعان بالفطنة والمكر " اسمعيني نادية ... حوراء لديها نقطة ضعف ... انها مثل ابيها تملك اخلاق الفرسان !" ضيّقت نادية عينيها لتسأل " وماذا يعني هذا ؟" رد آسر مبتسما ابتسامة صغيرة " هذا يعني انها لن ترتبط برياض وهي تكن مشاعر لظافر .. وقبل ان تسألي ... اجل ... انا واثق جدا انها تكن مشاعر لظافر دون غيره ..."

ردت نادية بعد لحظة صمت " لكنك نسيت او تناسيت خيارا ثالثا .." سأل " وما هو ؟!" قالت " ان ترفض الاثنين !"

مسحت ريمة دمعات سارحة على خدها بينما تضع بضع اوراق مهمة على مكتب شاهر حتى يجدها عندما يعود من لقاء العمل الذي ذهب اليه قبل ساعتين ...

اجفلت بقوة عندما سمعت صوته من جهة الباب وهو يقول "ريمة ! هل تبكين ؟!" التفتت ريمة وهي تمسح وجهها من اثار الدموع ليعتذر منها قائلا بابتسامة حانية " آسف اجفلتك !"

ابتسمت ريمة بارتباك وهي تعتذر قائلة "انا هي الاسفة سيد شاهر .. انا .. انا .."

تقدم نحوها وهو يرى تشتتها الذي شتت كلماتها ... قال بلطف " ما بك ... اخبريني ... " حادت بنظراتها بعيدا وهي تشعر بالحرج من موقفها لتقول بصوت ضعيف " لااريد ان اثقل عليك .."

ابتسم وهو يقف قبالتها ويقول " ارجوك ... لقد اثقلت عليك مرارا .. نحن .. نحن اصدقاء .. اليس كذلك ؟ " عادت بعينها اليه لتنظر نحوه بشفتين مرتجفتين ثم قالت بتعثر " انا .. قلقة سيد شاهر .. قلقة على يسرا ..."

عقد شاهر حاجبيه قليلا وهو يتساءل " تقصدين ابنة اخيك المهاجر ..؟"

هزّت ريمة رأسها ايجابا وهي تقول " نعم ... انها تسكن معي منذ عام اذا كنت تذكر .." رد شاهر " اجل .. اذكر انك قلت انها فضلت العيش معك هنا على العيش مع زوجة ابيها الجديدة في بلد المهجر.."

تنهدت ريمة باحباط وهي تقول " نعم .. انها متعلقة بي منذ الصغر وجاءت وفاة امها لتفضل العيش معي ما ان تزوج والدها باخرى .." ابتسم مشجعا وهو يقول " حسنا .. ماذا يحدث معها ؟"

ردت ببعض التشوش " انا لاافهمها ... منذ فترة وهي تسرح كثيرا .. بصراحة .. كان لديها كل ... العلامات .." تبسّم شاهر قائلا بمعرفة " علامات العشق ؟!" هزّت راسها بخجل فاضاف وابتسامته المرحة تتسع " حسنا انه ليس امرا سيئا جدا .."

ترقرقت عيناها المميزتان بالدموع وهي تقول بألم واضح " نعم .. ربما .. لااعرف ... لكني كنت اظنها ستخبرني بكل شيء ورغم محاولاتي المستميتة لاعرف منها الا انها ترفضني ..!" اختفت ابتسامة شاهر ببطئ وهو يستوضح منها قائلا " تقصدين ترفض الافصاح لك .." لكنها هزّت راسها يمينا وشمالا وقد خنقتها العبرة وهي تقول " لا.. انها ترفضني شخصيا ! وهذا ما يقلقني و .. يؤلمني !! لقد تغيرت وتبدو في اليومين الاخيرين وكأنها ... وكأنها ... حانقة عليّ انا !! ولااعرف السبب .."

الدموع هطلت على وجنتيها فاثارت مشاعر شاهر وهو يراها بهذه الصورة لاول مرة ! دوما كانت مرحة وتشيع جوا مريحا حولها .. دوما تأخذ الامور ببساطة ولاتعقدها ... منذ سنوات تعمل عنده

وهذه المرة الاولى التي يراها مبتئسة هكذا .. قال وهو يضع يده بعفوية هلى كتفها " اهدأي ريمة ... انا اعلم انك متعلقة بها كابنة لك .." نظرت اليه لتقول بصدق وعاطفة نابعة من القلب " انها فعلا ابنتي يا شاهر .. انا لم انجب اولادا ..انا .."

توقفت ... اتسعت عيناها ... ثم احمرت بشدة وهي تتهرب من نظراته لتقول باضطراب شديد " انا آسفة ... لقد .. ناديتك .. دون .." ما زالت يده على كتفها وهو يقول برقة " لاعليك ...كنت منفعلة فقط ..."

هذه المرة اجفل الاثنان بينما صوت يصلهما من الباب " مرحبا ..." يد شاهر تحركت لتترك موضعها بعيدا عن كتف ريمة بينما تجاوزها ليتقدم نحو الباب قائلا بتساؤل " نهى ؟!"

مسحت ريمة دموعها على عجالى وهي تقول براس منكس " مرحبا سيدة نهى .."

ارتجف صوت نهى وهي تتطلع لزوجها ومساعدته قائلة " مر.. حبا ..." سيطرت ريمة على ارتباكها فرفعت رأسها بابتسامة لطيفة وهي تقول بأدب" عن اذنك سيد شاهر ... اعتذر عن ازعاجك بمشكلة ابنتي .." تحركت ريمة لتمر جنب نهى عندما فاجأتها نهى قائلة بحيرة " هل لديك ابنة يا ريمة ؟!! لم اكن اعرف .." ابتسمت ريمة في وجه نهى وهي ترد قائلة " انها ابنة اخي سيدة نهى وانا اعتبرها كابنتي ... تعيش معي هنا بينما والدها يعيش في بلد آخر .." هزّت نهى راسها دون ان تعقب بشيء فانسحبت ريمة مغادرة وهي تقول " اعتذر منكما مرة اخرى ..."

حالما اغلقت ريمة الباب سارعت نهى تقول لشاهر بلهفة غريبة " هل ... نخرج للغداء ؟!" ارتفع حاجبا شاهر عاليا دون ان ينطق بحرف !

في المساء

طرقت حوراء على باب مكتب والدها قبل ان تدخل .. نادته من عند الباب وهي تراه غارقا في اوراقه " ابي ..؟" خلع بلال نظارته الطبية والقاها فوق الاوراق ليبتسم في وجه ابنته قائلا بحنو " مرحبا بنيتي .. تعالي .." ابتلعت حوراء ريقها وهي تردد نداءها له دون ان تتحرك من مكانها " ابي ..."

عقد بلال حاجبيه قليلا وهو يقف على قدميه ويتقدم نحوها قائلا " ماذا بك حبيبتي ..؟!" وصل اليها وطبع قبلة على جبينها بينما ذراعه تضمها لصدره فقالت بتنهيدة طويلة " انا بحاجة للتكلم معك .."

تحرك بها نحو الاريكة بعد ان اغلق الباب خلفها وقال بمرح ظاهري " اخيرا قررت استشارتي ..."

اجسلها ليجلس قربها بينما قالت حوراء معتذرة " ابي .. انا اسفة .. كنت بحاجة للتفكير بمفردي .." ابتسم لها مشجعا وهو يقول " لاتعتذري بنيتي ... انا كنت بانتظارك ..." رفعت وجهها الحائر اليه وقالت بصوت مخنوق " ابي ... انا في ... ورطة !"

في ظلام الليل وسكونه يتمدد على الكرسي الطويل جنب حوض السباحة ... يحتضن بكفه هاتفه النقّال كالعادة التي دأب عليها منذ اسبوع ... ينتظرها ... !

لايعلم لماذا لديه هذه القناعة الراسخة انها ستتصل به حالما تقرر ... وها قد مرت الايام لينقضي الاسبوع بطيئا وهو ينتظرها ... يشغل ذهنه بالعمل طوال الوقت حتى يأتي الليل فتسدل الستائر حول محيطه ليعيش حالة منعزلة من الانتظار ... انتظار لها .. هي فقط ... اصبح لاينام الا بضع ساعات كل ليلة ... ذهنه متوقد بالاحتمالات ... كان امرا مريحا ان الجميع يلتزم نفس الصمت رغم الترقب الذي يعلو الوجوه ...

رفع كأس عصيره لفمه فاكتشف انه فارغ ! ابتسم في سخرية من نفسه ليقف على قدميه راميا الهاتف من يده ثم تحرك نحو الطاولة الصغيرة حيث وضع له الخادم ابريق العصير المثلج .. سكب في كأسه وعندما همّ برفع الكأس لفمه ... رن هاتفه ... لم يشعر بسقوط الكأس على الارض الصلبة ولم يدرك حتى تحطمه رغم الجلبة التي اثارها !

تحرك نحو كرسيه حيث رمى هاتفه عليه وقلبه يهدر كالاعصار المهاجم على حين غرة ... انها هي ... لقد وضع لها رنّة خاصة بها ... كانت يده ترتجف وهو يلتقط الهاتف ... شتم وهو يناضل حتى يمسكه دون ان يقع من يده ... اخذ عدة انفاس ليهدأ قليلا قبل ان يفتح الخط ... اسمها خرج متحشرجا من بين شفتيه " حوراء ..."



لولا الانفاس الناعمة لشك بانقطاع الخط .. صمت بعجز يحطمه بينما ينتظر ... اخذت نفسا طويلا قبل ان تقول بضعف اثار جنونه " لقد ... قررت ... انا ..." ابتلعت ريقها قبل ان تتوسل اليه قائلة " عدني اولا انك .. لن .. تفعل شيئا جامحا ..." قبضته تشنجت ... اغلق عينيه وهو يقول بشراسة " قولي حوراء ... الان ..." همست " اخترتك .... انت !"

الفصل العاشر

" ظافر !"

تنفسه الحاد اخافها ... عادت تناديه بذهول حائر " ظافر ... " ....

همس بوحشية غريبة " اريد رؤيتك ..." ردت بارتجاف " غدا ... غدا ستقيم امي مأد.." قاطعها وانفاسه تزداد حدة " الليلة ... الان ..."

ابتلعت حوراء ريقها بصعوبة ثم تماسكت لتقول بتلعثم" لايمكن ... انت تعرف لايمكن ... فقط للغد .. ارجوك انتظر .. هناك امور يجب ان نتنا...."

صمتت للحظة وبعض الاصوات تصلها ثم قالت بتوجس " ظافر .. هل ركبت سيارتك ؟؟ هل هذا صوت محرك ؟"

همس بنبرة اقلقتها " الليلة ...! اريدك بثوبك الازرق وكتفيك العاريتين تتستران بخجل تحت خصل شعرك المنثور !"

شعرت حوراء بالرعب .. اخذت تلوم نفسها على غبائها الذي دفعها لتخبره الليلة عبر الهاتف ... ما الذي كانت تتوقعه ؟!!

رفعت يدها لفمها عاجزة عن قول شيء بينما الخط ما زال مفتوح معه ... اغمضت عينيها للحظات تهدأ من وجيب قلبها دون نجاح يذكر ....

" غبية ... غبية " هذا ما اخذت تنعت به نفسها دون ان تدرك انه تهمس بالكلمة بصوت مسموع ...

ضحكته الخافتة سبقت كلماته المغوية " خمس دقائق وسأكون عندك مولاتي .... "

اخذت عدة انفاس قبل ان تقول باقصى ما تستطيع من الهدوء والتماسك " ظافر علينا ان نضع حدودا وضوابط فيما بيننا ... حتى لو اصبحتُ .." قاطعتها ضحكته ليقول بصوت اجش " زوجتي ؟!" انتابها الحنق وهي تقول باصرار " بل خطيبتك .."

سماع صوت العجلات وهي تصدر صوتا قويا اجفلها فقالت بلهفة مرتعبة " ظافر ! هل انت بخير ؟"

رد باستمتاع " احب لهفتك عليّ !" كزّت حوراء على اسنانها ثم قالت " انت تعمدت فعل هذا اليس كذلك ؟؟ " قال دون اي شعور بالذنب " اجل .."

زمّت شفتيها وقبل ان تقول شيئا سبقها ليقول " ها قد وصلت اليك مولاتي ... اكاد ارى شرفتك بوضوح لولا العتمة ... " تنهد وهو يسأل بصوت مبحوح " هل ارتديتِ الفستان الازرق ؟!"

همستها " يا الهي " رافقت تحركها نحو شرفتها لتتطلع الى جانب الطريق قرب سور البيت .. امسكت جبينها باناملها وهي تتطلع لهيئته المظلمة بينما يترجل من سيارته ... قالت بصوت ضعيف " ظافر اتوسل اليك عد الان وسنتكلم غدا ... هناك امور يجب ان نتناقش حولها قبل ان نخطو اي خطوة ..."

ضحك بخفوت بينما يستند بجسده على مقدمة سيارته ثم قال برقة " انتظرك لتنزلي اليّ حتى لو لم ترتدي ما طلبت .. انا ساتصرف !"

احمرت بشدة وقالت حانقة غاضبة .. مرتبكة " لاتكن قليل الادب يا ظافر ! لاتتجاوز الحدود معي لمجرد اني وافقت على الخطبة ..."

همس بهدوء شديد " انزلي اليّ حوراء ... الان .. " ردت بصلابة " لا ..."

قال بصوت اجش مهدد " لاتجبريني على الصعود اليك بنفسي .." فقالت دون تردد " وانت لاتجبرني على التراجع عن اختياري ..."

صمت مطبق ... ذبذبات غضب بارد تستشعرها منه لكنها لم تتهاون في موقفها ... ليس الان ... تذكرت

كلمات والدها (هذا خيارك ... فكوني قوية .. صلبة ... استعيني بالله ليمنحك ما تحتاجينه ..)

قال ظافر اخيرا بثقة هادئة مرعبة " اياك ان تهدديني بهذا مرة اخرى ... اياك حوراء .. انت وافقتِ وانا الزمك بهذه الموافقة ... منذ اللحظة التي قلتِ فيها (اخترتك انت) وانا اعتبرك رسميا ... لي ...."

ابتلعت ريقها ثم قالت " قلت لك علينا التناقش ببعض الامور وغدا .. بوجود العائلة س..."

قاطعها ليقول " اذن دعي نقاشاتك للغد والان تصرفي كما يفترض لفتاة وافقت للتو على عرض زواج "

قالت بحدة " هل التصرف المفترض ان انزل اليك في منتصف الليل ولااعلم ما قد تجرؤ على فعله ؟؟ متى ستعرف اني لست هكذا ظافر ... لااستطيع ان اكون هكذا حتى لو اردت ... لن اكون حوراء التي تعرفها لو اقدمت على عمل مماثل .. افهم هذا ارجوك ..." خنقتها العبرة دون ان تعرف السبب فاضافت باختناق " انا اعلم انك اعتدت على نمط معين من الفتيات لكن انا .."

لم تستطع اتمام جملتها وادرك هو انه يحملها ما لاتطيق ... رفّ قلبه لها ووجد نفسه يقول بنعومة " انت كل شيء حوراء .. لاتنسي ابدا هذا .. مهما بدر مني من جنون تذكري انك بالنسبة لي كل شيء .."

لم ترد فاضاف برقة اكبر " حسنا .. هل اطمع ان تخرجي على الاقل للشرفة لاراك من بعيد ..."

صمت قليلا ليضيف بحرارة " لقد اشتقت اليك .. فوق ما تتصورين ... انا لااطلب الكثير ... اريد النظر اليك .."

همستها اثلجت صدره وهي تقول " حسنا .." اتسعت عيناه في ترقب وهما تتطلعان للحركة الموارابة خلف باب شرفتها ... واخيرا فتحت الباب وظهرت في الظلام الدامس كطيف بلا ملامح ... قال بانفاس متقطعة " افتحي انارة شرفتك .. انا لااراك .." رآى طيفها المتردد ثم كيف امتدت ذراعها نحو احدى جوانب الشرفة وفي لحظة احاطها النور لتظهر له بروبها وحجابها ... بدت مرتبكة للغاية وقد التزمت هذا الصمت الخجول ...

قال ببحة مختنقة " انظري نحوي حوراء لارى وجهك ثم قوليها ..."

تطلعت نحوه مباشرة وسألت بحيرة " ماذا اقول ؟!" رد بنفس النبرة " قولي (اخترتك انت) "

لحظة وهمست باستسلام " اخترتك انت ... هل انت سعيد الان ؟" قال بصوت عميق ملتهب " وانا اخترتك منذ ولادتك لتكوني ملكي ... لي وحدي ... مولاتي ..."

كان صوتها مضطربا كملامحها التي يلتقطها بصعوبة وهي تقول " ارجوك يجب ان ادخل ... تصبح على خير .." دون ان يردع نفسه طبع قبلة على هاتفه وهو يهمس باغواء " تصبحين على خير .."

تراقب حركاته السلسلة وهو يرتدي ساعة يده بعد ان وضع عطره .. يبدو وسيما اكثر من المعتاد ببدلته البنية ...

تماسكت نهى وهي ترسم ابتسامة وتقول " هل ابنة ريمة بخير ؟" استدار نحوها نصف استدارة وهو يقول بنبرة لاحياة فيها " ما بك نهى ؟ لم تكفي عن السؤال عن ريمة وابنتها منذ البارحة .. كما انها ابنة اخيها وليست ابنتها حقا .."

ردت نهى وشعور قابض يتملكها " لكن هي من دعتها ابنتي وقد بدت متأثرة لمشكلتها .." اطلق نفسا صغيرا قبل ان يقول بوجه هادئ " حسنا .. علي الذهاب للعمل .." تقدمت خطوتين منه وهي تقول بتلكؤ " هل .. اقصد .. هل استمتعت معي .. البارحة ؟"

عاد ليلتفت نحوها قبل ان يصل باب الغرفة ثم قال بتعابير مبهمة " تقصدين الغداء ؟ نعم ..." ابتسمت بارتجاف وهي تهمس باسمه " شاهر .." ثم اقتربت اكثر وهي تعاني التردد والقلق من الرفض حتى وقفت امامه بالضبط لتمد قامتها القصيرة مقارنة به وطبعت قبلة ناعمة على خده .. تفاجأ قليلا ثم قال بحيرة " لمَ هذه القبلة ؟!" ردت بعينين لامعتين وابتسامة واسعة " اشتقت للاقتراب منك .."

عيناه لاتكشفان شيئا وهما تتفحصان تعابير وجهها .. تذكرت كلمات نادية فتشجعت اكثر لتقول ببشاشة تخفي اضطرابها " هل نخرج للغداء اليوم ايضا ؟" صمت للحظات قبل ان يرد ببساطة " لا .." اوشكت ان تتحطم عزيمتها لولا ان اكمل قائلا " ساعود باكرا لنتغدى في البيت سوية فاليوم سنذهب عصرا لبيت نجلاء .."

غمرتها بهجة لاتوصف ثم قالت مسترسلة معه بالكلام " هل اختارت حوراء ؟" ابتسم بفخر وهو يقول " مؤكد لن تخطئ ابن الغازي ..."

قالت بوجه محمر وهي تتمدد على سريرها والهاتف على اذنها " لااصدق انك احببتني طوال هذه الفترة ولم اشعر بك ! " ضحك بخفوت وهو يقول " لاتدعي انك لم تكوني تشعرين بوجودي .."

ضحكت بدلال قائلة " اعترف انك استطعت شغل تفكيري بمراقبتك الصامتة وكدت ايأس من ان تأتي وتكلمني بصراحة .." صمت بينما الحنق يغلب الاحباط في صوتها الرقيق وهي تضيف قائلة "لااصدق ان عمتي هي من تقف في طريقنا .." همس بمواربة " سنجد حلا .."

ازداد حنق صوتها وهي تقول " كيف سنجد هذا الحل ؟! كيف وهي تكرهك وتكره والدتك .. كيف وهي تسعى للايقاع بوالدك وسرقته من عائلته ... اشعر بالعار كلما فكرت بالامر .. اكاد انفجر في وجهها كلما رأيتها امامي !"

تصلب صوته وهو يقول بلهجة محذرة " اياك يسرا ... لقد التزمتُ الصمت كل هذه الفترة من اجل والدي .. من اجل عائلتي التي تمثل اهم شيء في حياتي ... لايمكنك قول كلمة الان .. ستجعلينها تنتقم وربما تحيك الاكاذيب عني وتجعل والدي يطردني من الشركة بل قد تدفعه لفعل المزيد كأن يطلق امي ! "

شهقت يسرا وهي تقول بخزي " لااصدق ... لااصدق ان عمتي ريمة تفعل كل هذا ... لولا قراءتي لمذكراتها وهي تصف عشقها لابيك وغيرتها العمياء من والدتك لقلت انك كاذب .."

عضت شفتها بندم فقد اصبحت تعرف اعتزازه بنفسه ووضعه لبعض الحدود بينهما ... قالت بنعومة تسترضيه عندما طال صمته " اسفة لم اقصد نعتك بكاذب .. انت تفهم ما اعنيه صحيح ؟ "

رد بصوته الرجولي الذي يمس انوثتها " انا افهمك تماما جميلتي ... لابأس... لكن علينا الصبر والحذر حتى اجد مخرجا لنا ... "

ابتسمت بتفاؤل ثم قالت " حسنا ماهر .. هل سنلتقي اليوم ؟" ضحكة صغيرة داعبت اذنها قبل ان يقول " اجل كالمعتاد في نفس المقهى " تنهد قليلا قبل ان يقول بهمس مغوٍ " وقد اخطفك لمكان آخر .."

ضحكت بفرح القلب العاشق قبل ان تقول بمشاكسة " لن تفعل ... انت اصبحت جريئا ولاتؤتمن ..." قال بصوت ذي بحة خاصة " لااقاوم مشاعري نحوك .." تالقت عيناها وهي تقول بخجل " انا ... احبك ... ماهر... لااصدق كيف جعلتني اهواك بسرعة هكذا .." ضحك بشقاوة وهو يقول " انه سحر ال الغازي فاحذري منه ..."

ردت له بضحكة هي الاخرى ثم قال لها " يجب ان اغلق الهاتف سادخل مبنى الشركة ... الى اللقاء حبيبتي ..." ردت بانتعاش " الى اللقاء .."......

دخل ماهر مبنى الشركة وهو يصفر مبتهجاً .. تطلع نحو مكتب الاستقبال ليحيي تلك الفتاة المرحة التي تقاوم هيامها به ... عقد حاجبيه قليلا وهو يرى المكتب فارغا ! تقدم بخطواته وهو يسمح حركة خلف المكتب الخشبي الانيق .. مد رأسه من فوق المكتب فطالعته صورة انثوية لفتاة منحنية وكأنها تبحث عن شيء ! لكنها ليست نفس الموظفة التي اعتاد مداعبتها بالكلمات .. فتلك ضئيلة الجسم وبشعر شديد السواد اما هذه فهي اكثر انوثة وشعرها بني ..

ابتسم بمشاكسة وهو يقول متعمدا اجفالها " اين الفاكهة الصباحية ؟" تمكن من اجفالها فعلا فرفعت رأسها بقوة ليرتطم بحافة المكتب ...

عيناها واسعتان ... هذا اول ما خطر في بال ماهر وهو يتفحصها باستفزاز بينما وقفت الفتاة على قدميها تنظر اليه بحنق وتمسد جانب رأسها حيث ارتطم .. قالت بعبوس " اي فاكهة ؟!!"

رد وهو يرفع حاجبا واحدا " الموظفة التي يفترض ان تكون مكانك .." عقدت حاجبيها وهي تقول ببرود " من تكون ايها المتحذلق ؟" ازداد استمتاعه وهو يرد عليها بنفس البرود " ومن انت يا سليطة اللسان ؟"

رفعت نظراتها عاليا وهي تهز راسها باحباط وتتنهد قبل ان تقول محدثة نفسها " لااصدق ! في اول يوم عمل يأتيني مهرج سخيف بسترة جلدية وخوذة ! "

كتم ماهر ضحكة مجلجلة وهو يقول غامزا " كنت اعتقد ان المهرجين يرتدون الالوان الصارخة ويضعون الشعر الملون على رؤوسهم وليس خوذة !"

تكتفت وهي ترد ببرود " يبدو انك ابتدعت للتهريج زيا جديدا !" ثم عادت لتكلم نفسها مرة اخرى قائلة " هل يجب ان يكون اول يوم صعب هكذا ؟!!"

اقترب ماهر ليرتكز على المكتب بمرفقيه قائلا بصوت ناعم مستفز " هل تريدين مساعدة في تسهيله ؟ " عادت لعبوسها وهي تتطلع لعينيه الجريئتين ودون ان ترد عليه مدت يدها ورفعت سماعة الهاتف لتقول " ايها الامن ... هناك شاب يعتقد انه ظريف هلا بعثتم من يرشده لطريق الخروج فيبدو انه تائه ويبحث عن السيرك الذي يعمل فيه .." انفجر ماهر ضاحكا بينما عبوس الفتاة يزداد ...

بعد دقيقة حضر احد رجال الامن .. تماهلت خطواته بتردد وهو يتطلع لماهر ثم ينقل نظراته لموظفة الاستقبال الجديدة .. ارتبك قليلا وهو ينظر نحو ماهر ويقول باحترام " مرحبا سيد ماهر .." لم يرد ماهر بينما ينظر باستمتاع متزايد لملامح هذه الفتاة المصدومة بينما تهمس بعدم فهم " سيد ماهر ؟!!"

قال حارس الامن وهو يستعيد جديته " اين الشاب الذي ازعجك يا انسة صفية ؟" لكن صفية ردت عليه بسؤال متجاهلة الشاب المستفز " من السيد ماهر ؟؟ " تنحنح حارس الامن بحرج وعيناه تتنقلان بينها وبين ماهر وعندما لم يقل ماهر شيئا اضطر حارس الامن ليقول وهو يشير لماهر " انه السيد ماهر الغازي .. الابن الثاني للسيد شاهر الغازي ..."

رفعت صفية كفها لفمها بينما عيناها لاتحيدان عن وجه حارس الامن .. العبوس ما زال يكسو وجهها لكن عينيها الواسعتين غارقتان بالتفكير وكأنها تحلل مسألة فيزيائية معقدة ...

انتظرها ماهر بصبر شديد حتى التفتت نحوه وهي تقول بجدية هادئة وثقة بالنفس بهرته " هل اغادر الان ام انتظر لنهاية اليوم ؟!!"

عند المساء ... في بيت بلال الناجي

خلعت نجلاء حجابها وهي تقول بحنق " لاافهم لماذا ارتدي الحجاب ولايوجد رجل غريب بالبيت ؟!!"

ضحكت نادية وهي تناولها فنجان القهوة ثم ناولت نهى السارحة فنجانا مماثل بينما اكتفت سلسلبيل بعصير الفواكه ....

زفرت نجلاء باحباط وهي تسحب احد كراسي المطبخ لتجلس عليه ثم قالت بضيق وهي تتطلع لنادية " لاافهم لم نحن نجلس بالمطبخ بينما هم يتحصنون في غرفة الضيوف ؟؟!! لماذا منعونا الحضور ؟!!" حركت نادية حاجبيها بمرح وهي تقول " انها جلسة للرجال فقط "

عقدت نجلاء حاجبيها وهي تقول " الا تضم الجلسة حوراء ؟؟؟ فكيف للرجال فقط ؟!! " هزّت نادية كتفيها وهي ترد ببساطة " انها العروس "

لكن نجلاء اصرت قائلة " وانا ام العروس وانت ام العريس ... ما هذا التحيز للجنس الخشن ..؟؟"

ضحكت كلا من نادية وسلسبيل من قلبيهما بينما بدت نهى بعيدة عما يحصل حولها لتتطلع لفنجانها دون ان تشرب منه ...

قالت نادية بابتسامة مغيظة " هل تريدين الصراحة بعد ما اخبرتني به عن قرارات بلال فأنا لاافضل التواجد معهم ! لااريد دور من يوقفهما عن التناطح !" تطلعت نجلاء نحو نادية وهي تسأل " هل تقصدين بلال وآسر ؟"

مطت نادية شفتيها وهي تقول ببشاشة " ومن غيرهما ؟! رغم اني اعترف ان زوجي هو المجنون الوحيد الذي سيسعى للتناطح !" قال نجلاء عندها " هذا ادعى ان نكون موجودتين لنلطف الاجواء ونمنع ان تتحول غرفة ضيوفي لحلبة مصارعة الثيران .."

ردت نادية ضاحكة من قلبها " اترك هذه المهمة الرائعة لشاهر لست في مزاج مناسب لتحمل آسر في هذه الحالة .." صمتت نجلاء قليلا لتضيف ببعض القلق " وماذا عن ظافر ؟ هل تتوقعين انه ..." قاطعتها نادية قائلة " سيجيد التصرف لاتخافي ... انه كوالده عندما يسعى للحصول على شيء ..."

التفتت سلسبيل نحو نهى لتقول " خالتي... اين مهدي وماهر ؟ ألن يحضرا ؟" ردت نهى بابتسامة حانية " ماهر قال ما دامت حوراء وافقت فلا داعِ لوجوده وفضل حضور مباراة لكرة القدم ..!" ضحكت سلسبيل بينما اكملت نهى قائلة " اما مهدي فهو من يحيرني !"

اسبلت سلسبيل اهدابها والضحكة تعلق بفمها ثم سألت " لماذا ؟" ردت نهى وهي توجه كلامها لكل النساء " تخيلن ان مهدي على موعد مع فتاة !"

تقهرقرت ابتسامة سلسلبيل بينما هتفت نجلاء بعدم فهم " فتاة ؟! كيف فتاة ؟؟" لوحت نهى بيدها قائلة " ماذا تقصدين كيف فتاة ؟؟ فتاة كبقية الفتيات ؟" عبست نجلاء بتفكير ثم قالت " لم اظنه من هذا النوع !"

بدت الحيرة على وجه نهى ايضا وهي تقول " وانا امه مصدومة ايضا ! لكن ما يهون عليّ انه يأخذ الموضوع بجدية .." هنا سألت نادية بهدوء " هل تقصدين انه يحبها ؟"

هزّت نهى كتفيها وهي تقول بنفس الحيرة " لااعلم بالضبط ... انه غامض كشاهر عندما يريد ! لكنه لمح لي انها فتاة محترمة وقد يفكر جديا بالارتباط بها ..." صمتت للحظة ثم اضافت " لن تصدقوا انه اراني صورتها ايضا ... اعترف ذوقه رائع .."

صوت سلسبيل كان غريبا وهي تقول بتعابير غير واضحة " كنت اظنه اكثر تزمتا من ان يخرج مع فتاة يفكر بها بجدية .. اقصد انه من النوع المباشر اذا اعجبته فتاة يتقدم للزواج منها دون مقدمات .." ابتسمت نهى قائلة " لا احد يبقى كما هو صغيرتي ... الكل تتغير قناعاته ... "

اطرقت سلسبيل براسها لتحيطها هالة عزلتها عن الجميع بينما امها تراقبها ..... ثم تحركت لتضع كأس عصيرها على منضدة صغيرة وقالت " لقد مللت

ساذهب للبحث عن التوأمين لامرح معهما فهذا الاجتماع سيطول كما يبدو ...."

رافقت نظرات نادية ابنتها حتى غادرت المطبخ بعدها التفتت نحو نهى لتسألها شيئا ولكنها وجدت نهى غارقة في افكارها مرة اخرى ... اقتربت نادية من منها ثم اخذت تربت على يدها برقة وهي تسألها " هل انت بخير نهى ؟" رفعت نهى نظراتها لنادية وهمست بابتسامة مرتعشة " اجل ... اليوم عاد للبيت وتناولنا الغداء سوية .. لكنه ما زال متباعدا .. وكأنه يجاملني فقط وهذا يؤلمني لابعد حد .."

ابتسمت نادية في وجهها تشجعها ثم قالت " اصبري نهى وداومي على التقرب منه ..." اتسعت ابتسامتها لتضيف ببشاشة " عندما ينتهي اجتماع التناطح هذا لي كلام معك .."

سألت نهى بحيرة " اي كلام ؟" ثم اضافت بوجه ممتقع " هل ستخبريني عنها ؟ هل ستخبريني من هي ؟ انا ... انا اشك انها مساعدته ريمة .." تطلعت نهى نحو وجه نجلاء ايضا وهي تكمل باضطراب " لقد رأيتهما البارحة في وضع مريب ... كانت تبكي وهو يضع يده على كتفها بألفة ... لقد ... لقد ...بديا منسجمين جدا "

منعت نجلاء نفسها من اظهار اشفاقها بينما عجزت عن قول شيء يبدد مخاوفها لكن نادية قالت بحزم " انسي ريمة وانسي اي شيء عن المرأة الاخرى مهما كانت ... ركزي فقط على نفسك " ثم احتدت نظراتها وهي تقول بجدية " واتوسل اليك اياك ان تفكري بالتركيز على جمالك فانت فاتنة ولاتحتاجين لمزيد من التركيز ..."

احمرت نهى قليلا بينما تهمس بضعف " اذن ..كيف ... اقصد ماذا تقصدين ؟" تمتمت نادية " ساخبرك لاحقا ..."

قال آسر بسلاسة وهو يواجه نظرات بلال الهادئة " اذن فحوراء اختارت ظافر .. " رد بلال ببساطة " نعم ... وانا احترم اختيارها .. " لكن آسر سأله بابتسامة صغيرة " وما رأيك انت ؟"

تطلع بلال نحو ابنته التي تطرق براسها حياءا فابتسم بحنان وقال بثقة " رأيي من رأي ابنتي وهي لديها بعض الشروط .."

ضيّق آسر عينيه وهو يسأل " اية شروط ؟"

نظر بلال هذه المرة نحو ظافر الذي يلتزم الصمت بينما عيناه تستقران على حوراء منذ ان رآها ... يكاد لايرمش وهو يراقب خلجاتها بتفحص هكذا ودون ان يهتم حتى باخفاء مشاعره !

قال بلال وعيناه تراقبان ردود افعال الرجال الثلاثة من آل الغازي " انها تريد خطبة فقط دون عقد زواج حتى ... ليس قبل مرور عدة اشهر " ضيّق آسر عينيه قليلا وهو يردد اخر كلمة " اشهر !"

ما زال ظافر على هدوئه وكأنه لايسمع ما حوله ... مكتفيا بالنظر اليها !! قال بلال " حوراء تريد استكشاف علاقتهما كزوجين ان كانت ستنجح .. هي ترى ان لديهما اختلافات ميول وطباع ... انها تريد الاطمئنان فقط .."

قال آسر ساخرا ببرود " وانت تؤيد الفكرة اليس كذلك ؟" رفع بلال راسه وقال " نعم .. و ارجو ان لايزعجك الامر او تعتبره كاساءة .. "

صمت قليلا ليضيف " اذا كنت تذكر عندما تقدمت لخطبة نجلاء طلبتم مني نفس المهلة لتخوفكم من عدم توافقي معها ..."

ابتسم آسر بشراسة وهو يقول " وانت تردها لنا الان ؟! تردها في واحدة من بناتنا ؟؟ انها تحمل دم الغازي ايضا ..." ابتسامة صغيرة علت ثغر بلال وهو يسبل اهدابه ويقول " هذا ليس مقصدي وانت تعرف وانما اعطيتك مثالا لا غير لابين لك وجهة نظري .."

تدخل شاهر قائلا بهدوء والابتسامة تعلو ثغره هو الآخر " حسنا ... بما انك احببت اقتراح ال الغازي لهذه الدرجة وتريد تطبيقه على ابنتك ونحن نطلبها لظافر اذن لنكمل الاتفاق كما جرى قبل سبع وعشرون عاما .." رفع بلال نظراته لشاهر متسائلا " ماذا تقصد شاهر ؟"

قال آسر بابتسامة صغيرة وعينين حادتين " يقصد ان يتم عقد القران مع الخطبة مباشرة وننتظر اتمام الزواج حتى تطمئن ابنة اختي .." وقبل ان يرد بلال بشيء اضاف آسر بلهجة قاطعة " ولن اتنازل عن هذا ... خطبة وعقد قران قبل حلول رمضان .. " ضيق بلال عينيه وهو يقول " رمضان سيحل علينا بعد عشرة ايام فقط .."

رفع آسر حاجبيه باستفزاز وهو يرد " اجل .."

التفت بلال نحو حوراء ليسألها " ما رأيك انت حوراء ؟ خالك آسر يريد عقد قران الان ... قولي رأيك ولاتحرجي من شيء .."

ما زال ظافر يراقب ذلك الوجه وتلك الشفتين ... ينتظر ان يسمع ردها دون اي تخوف ... لاشيء ... لاشيء على الاطلاق سيقف في طريقه ... انها البداية فقط وفي نهاية الطريق سيكونان معا ... هو وحوراء فقط ....

قالت حوراء بعد ان طال الصمت " انا موافقة اذا لم يكن لدى والدي مانع ..." تبسّم بلال بينما ابنته ترفع نظراتها الهادئة نحوه فذكرته بنظرات والدته الحكيمة ...

قال بلال وعيناه تقرآن موافقة حوراء على وجهها " انا موافق ... على بركة الله ..." ثم التفت نحو ظافر يحدجه بنظرات عميقة وهو يقول " ما لي اراك صامتا بنيَ طوال جلستنا ام انك مشغول بالنظر لحوراء ؟؟ "

لم يشعر ظافر بأي حرج وهو يحول نظراته لبلال قائلا " انا انظر لخطيبتي ... ولكني استمع اليكم ايضا وراض عما قلتماه انت وابي لذلك لم اعلق بشيء كما اني .." صمت للحظة لتبرق عيناه وهو يلتفت نحو حوراء مرة اخرى قائلا " بانتظار حوراء لتقول كل ما في جعبتها .."

لم يملك بلال الا الاعجاب بذكاء ظافر فقال " اذن فأنت تعرف ان لديها المزيد .."

رد بابتسامة " لن تكون حوراء ان لم تكن تفكر بالمزيد .. " ابتسم بلال بينما فاجأت حوراء الجميع قائلة " ابي هل تسمح لي بالانفراد مع ظافر ... " رد بلال " بامكانكما الذهاب لغرفة مكتبي والتحدث .." وقفت حوراء على قدميها وهي تهمس بوجه محمر " شكرا ابي ..." ليتبعها ظافر ... مسحورا ....

ما ان اغلق باب غرفة المكتب خلفه حتى استدار وتقدم نحوها بتكاسل مرح قائلا باستفزاز رقيق " لااصدق انك طلبتِ الاختلاء بي سريعا هكذا وامام الجميع ..." ثم تألقت عيناه وهما تستقران على شفتيها ليقول بصوت مبحوح " هل ساحظى بقبلة مثلا !"

تغاضت حوراء بصعوبة عن محاولة ظافر ارباكها واغاظتها لتقول بجدية " هناك امور مهمة علينا التكلم فيها.."

تكتف وهو يقف على بعد خطوة منها " اسمعك ..."
اخذت نفسا قبل ان تقول " ابي لم يقل بشكل تفصيلي اسباب رغبتي بتأخير زواجنا .. " لم يعلق بشيء فاكملت حوراء وهي تحاول تجنب النظر المباشر نحوه " ظافر انا احتاج لوقت حتى اتأكد ان ارتباطنا صحيح .. اريد ان ارى مدى توافقنا .. كما ان هناك بعض الامور التي اريدها منك ولااعلم هل ستستجيب ام لا ؟!!"

سأل بهدوء " مثل ماذا ؟" قالت " اريد منك .. " توقفت لتعيد ترتيب كلماتها ثم قالت تفسر له " انا لااريد الضغط عليك ولكن انا يهمني هذا الامر جدا .." تلعثمت وهي تكمل بوجه متضرج حمرة " اولا اريد منك المحاولة لالتزام ديني اكبر ... وثانيا هناك ... اقصد ... انا اعرف ان .. انك تقيم ... علاقات ... نسائية .."

سألها بهدوء " هل تخشين ان اخونك ؟ " عندها فقط نظرت اليه مباشرة لتسأله باضطراب حائر " وما الذي سيمنع ؟ انت اعتدت الامر .. كيف ستتمكن من الاكتفاء بي ... فقط .. " رفع حاجبيه قليلا وهو يقول " انا لست مهووسا حوراء .. "

عضت شفتيها وهي تدير وجهها جانبا فأمرها قائلا " انظري اليّ .."

التفتت نحوه لتنظر اليه نظرات مجروحة !

قال بصوت مبحوح وهو يقترب قليلا " قلتها لك سابقا ... نساء الارض كلهن بكفة وانت بكفة اخرى وكفتك دائما الرابحة ... الا يعني لك هذا شيئا ؟؟ الا يجعلك تفكرين الف مرة قبل ان تتهميني اني قد اخونك ؟!! "

همست بضعف وشك مسيطر عليها " حسنا .. قد تقول هذا لانني كنت بعيدة عن متناول يدك ... لااستطيع الا ان افكر بأنك اذا حصلت علي ستملني او ستهجرني حتى خصوصا مع اختلاف طباعنا وميولنا ..."

هزّ راسه وهو يقول بانفاس حارة تلفح وجهها " انت مجنونة حقا يا ابنة عمتي ... لكني ساجاريك بجنونك حتى تفهمي وترتاحي .." عبست وهي تسأل " افهم ماذا ؟" تقبضت يداه وهو يلتاع لحرمانه من لمسها بينما قال " انك بالنسبة لي لست مجرد فتاة ... لقد قلتها لك البارحة ... انت كل شيء .."

غامت عيناه بعواطف مشتعلة وهو يهمس " انا اعشق كل تفاصيلك التي احفظها عن ظهر غيب .. اعشق داخلك وخارجك ... اعشق مجرد النظر اليك والاستكانة لنبرة صوتك والتماس دفئك ..." رفع كفه يريد لمس وجهها لكنه ارتدع ليضيف بنفس النبرة " عندما اقول النظر اليك اقصد النظر لروحك وعندما اقول نبرة صوتك اقصد قراءة افكارك اما دفئك فهو النابع من حنانك الذي لاينضب .."

ابتلعت ريقها وهي تبتعد قليلا عنه لتقول بوجه مطرق " احتاج الوقت ظافر .. هذا كثير لاقتنع به بمجرد ان قلته الان .. الكلام سهل عندما نبغي الحصول على شيء .."

شعر بطعنة شكها به .. يدرك في قرارته انه السبب في هذه الشكوك لكنها لايملك الا الشعور بالألم مبرح ....

قال بصوت يخفي مشاعره " لامانع لدي من الانتظار حتى تتأكدي بنفسك.."

رآها تحمر اكثر ولاح تردد كبير على قسمات وجهها ... لايعرف لمَ شعر بالابتسامة ترتسم على وجهه ليتنبأ بالقادم !

قالت وهي تتحاشى النظر اليه " هناك امر ... اخر ... اخشى انك لن ترتضيه .."

سأل باستمتاع " ما هو ؟" قالت بصوت تخفت نبراته " انا لم اكن اريد عقد قران الان ولكن بما ان خالي اصر وحظيَ بموافقة ابي فانا مضطرة ان اوضح لك امرا .."

رفعت وجهها بصعوبة شديدة لتقول له ما تريد بحزم " انا لن اخلع الحجاب امامك ..." اتسعت ابتسامته ! قالت بدهشة " لاتبدو متفاجئا !"

انسابت نظراته على ملامحها ثم قال بحرارة " ليلة الامس وبعد ان هدأت الحمى التي اصابتني لموافقتك استعدت عقلي ما ان عدت للبيت خائبا !.." ما زالت تحدق به دون ان تفهم مقصده فقال ببشاشة محببة " كنت متوقعا لشيء كهذا .."

همست والدهشة رفيقتها " حقا ؟" رد برقة " نعم ... خصوصا مع تلميحاتك بالامس عن امور نناقشها ..." سالته بقلق " وما رأيك ؟"

عض شفته السفلى وهي ينظر لشفتيها ويقول بصوت مبحوح " عدم خلع الحجاب ماذا يتضمن ايضا ؟" ارتبكت وهي تحمر لتقول بانفعال " سنكون خطيبين فقط .. وكأننا لم ... نعقد القران ... اقصد .." خانتها الكلمات فاكمل لها بسلاسة " لااحضان لاقبلات ايضا ؟" اطرقت وهي تهز برأسها ايجابا

فهمس " موافق ..." قالت بخجل شديد وهي تعود للنظر اليه " هل حقا موافق ؟ فأنا اعني ما اقول .. اريد ان نكون كخطيبين فقط خلال هذه الاشهر لذلك لم اكن اريد عقد قران الان ... اردت ان نتصرف كشخصين يبحثان عن عمق بعضهما ..."

اقترب منها قائلا بهمس " انا اعلم انك جدية بمطلبك وانا موافق .. " عادت عيناه لشفتيها وهو يضيف بابتسامة شغوفة " انت تعذبيني منذ ولادتك فلا ضير بمزيد من التعذيب ما دمتُ في النهاية .... سأرتاح " اخذت تمسد جبينها وهي تقول بحنق " توقف عن النظر لشفتي هكذا .. يكفيني حرجا وخجلا ان اكلمك بهذه الامور ... لكنك لاتريد تسهيل الامر اليس كذلك ؟!!"

اقترب فتراجعت وهي تحذره بعينيها بينما هو يقول بنعومة " لا .. هذا لا .. ان لاالمسك فهذا ممكن لكن النظر ...." تنهد من اعماقه ثم اكمل بوعد " سانظر اليك كيفما اشاء واينما اشاء ووقتما اشاء .."

كان اقترابه يزداد فخشيت ان يفقد سيطرته .. قالت وهي تبتعد لتتجاوزه متحركة بعجل نحو الباب " حسنا اتفقنا ... يجب ان نعود للعائلة فهم .." قاطعها ما ان وصلت الباب " لحظة ... هناك ما اريد قوله انا ايضا .." التفتت نحوه لتسأل " ماذا ؟"

تقدم نحوها ونظراته الشغوفة تسبقه اليها ... انكمشت توجسا حتى التصق ظهرها بالباب وهو يقترب اكثر ليقول باستفزاز رقيق " بالنسبة لي الدعوة مفتوحة " عبست وهي تسأله " اي دعوة ؟!"

رد وهو يصل اليها ليضع احدى يديه على الباب خلفها " دعوة لتلمسيني متى شئت ودون استئذان .. فما تمنعيني منه مسموح لك ..." كان يجب ان تامره بالابتعاد لكنها ارادت ان تثبت له قوتها لردعه

فاجابت شامخة رغم ارتجاف قلبها " لن يحصل ظافر .. ليس قبل.."

قاطعها ليقول بشغف " اقسم لك سافعل كل ما استطيع لاجعله يحصل برضاكِ .. فأنا لن استسلم..." ثم ابتسم ابتسامة واسعة واضاف " وكله ضمن الحدود التي وضعتها بنفسك .. " ابتلعت ريقها بينما همس بحرقة ونظراته تلتهم شفتيها " هلا قلتها لي مرة اخرى ؟" همست بغباء " ماذا ؟" رد همسا ايضا " قولي لي اخترتك انت ... اريد الشعور بانفاسك تلفح وجهي وانت تقولينها ..." قالت بحنق ركيك وهي تتمسك ببقايا قوة اختزنتها " لاتكن طفلا ظافر !"

ضحك بنعومة وقال بعينين متوهجتين " طفل ؟!! صدقيني ما اشعر به الان وافكر به بعيدا كل البعد عن كل ما يخص الطفولة !" حذرته قائلة بضعف " ظافر ابتعد ... رجاءا .. لم يمض على اتفاقنا دقائق وانت تريد.." قاطعها قائلا بالحاح " حسنا قولي لي لمَ اخترتني انا ؟ على الاقل لاعرف اسبابك .."

هذا ما كانت تخشاه ! ان يسألها هذا السؤال ولاتعرف كيف ترد عليه .... اقترب فمه منها وهو يقول باشتعال " حوراء هل انت تحبينني ؟" اخرستها صراحته فاصر عليها قائلا " اجيبيني .. انا لااطلب شيئا بينما انت اغرقتني بالطلبات .." عيناها مفتوحتان على اتساعهما تريد قول شيء مناسب ولايسعفها عقلها بينما قلبها يخنقها بنبضاته المتسارعة ....

همس وانفاسه تلفحها " قولي لي ... هل تحبينني ؟ ولو قليلا .... هل هذا سبب تفضيلك اياي رغم عدم اقتناعك بصحة ارتباطنا ؟" ذابت وهي تنظر لتلك النظرات التي تتوسل اليها كلمة واحدة ... كلمة من حقها ان يعرفها ...

تجلدت وهي تهمس " ننعم ..." قبضة يده الاخرى ضربت على الحائط وهو يهمس بصوت مبحوح " يا رب السموات .... انت تحبينني حوراء ؟؟" ضربات اخرى على الحائط وهي تحدق بانبهار في عينيه ليقول بانفعال هائج " اعلم ما وافقت عليه ... لكن ... ما رأيك لو نقتطع لحظة خارج الزمن .. لحظة واحدة فقط .. ننسى فيها كل شيء الا هذا الشغف والعشق الذي يربطنا ببعض رغما عن كل شيء ... "

كانت متوهجة من اخمص قدميها حتى قمة رأسها تعيش حالة غريبة لاتفسير لها ... كل ما تعيه انها تقف امامه هكذا عاجزة عن فعل شيء اخر ... براءة نظراتها لم تردعه وهو يكمل بعاطفة متوحشة تفلت منه " قبلة واحدة... اعتبريها ختام المسك لاتفاقنا ... " لاتعلم كيف استطاعت الرد اصلا وهي تهمس " كيف تطلب هذا .. انا لااحل لك .." كان يعلم انه يحاصر انوثتها لتستسلم .. وهو حذرها ...الم يفعل ؟! قال لها سيفعل كل ما يستطيع ....

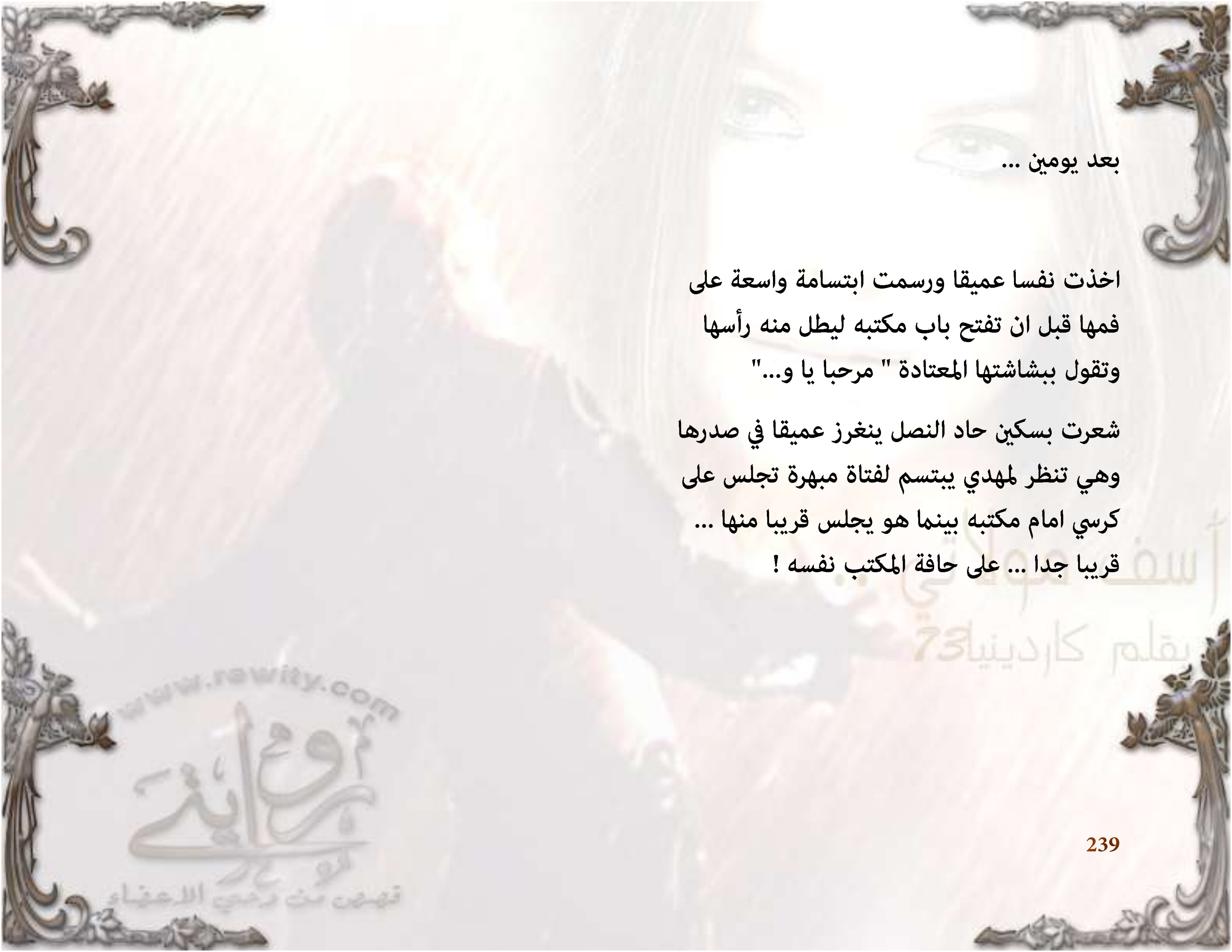
تحرك قليلا وهو يقول بتحشرج " فقط قبلة مولاتي .. " ثم اشار لصدره مكان قلبه وقال " انظري لقلبي ... انظري اليه كيف ينتفض من اجلك !"

مال نحوها حتى اوشك ان يقبلها عندما رفعت يدها بضعف لتدفعه من صدره وتتوسل اليه قائلة " توقف ارجوك ... ارجوك ...هذا ... لايجوز ..."

هدر صوته بعاطفة جياشة " لم اظن انك ستستجيبين لدعوة لمسي بهذه السرعة .." فجأة اجفلا من صوت نجلاء وهي تنادي من خلف الباب " ايها العريسان انتهى وقت اختلائكما ... الجميع بالانتظار لنبدأ الاحتفال ..." دفعته حوراء بقوة اكبر وهي تقول باختناق " قا... قادمة ... امي ..."

اسرعت لتهرب منه وهي تفتح الباب وتخرج دون النظر اليه .. اسند جبينه على الباب وهو يتنفس بصعوبة ويضرب على قلبه ...

همس " ستقتلني هذه ال(حوراء) لامحالة ! انها تحبني ...."



بعد يومين ...

اخذت نفسا عميقا ورسمت ابتسامة واسعة على فمها قبل ان تفتح باب مكتبه ليطل منه رأسها وتقول ببشاشتها المعتادة " مرحبا يا و..."

شعرت بسكين حاد النصل ينغرز عميقا في صدرها وهي تنظر لمهدي يبتسم لفتاة مبهرة تجلس على كرسي امام مكتبه بينما هو يجلس قريبا منها ... قريبا جدا ... على حافة المكتب نفسه !

الفصل الحادي عشر

تحرك مهدي ليقف على قدميه بسلاسة وتمهل مغيظين وهو يبتسم بخفة ويقول " مرحبا سلسبيل .." تقدمت سلسبيل متجاهلة النظر تماما نحو الفتاة لتركزها على مهدي وتقول بكبرياء " مرحبا .." تجاهل مهدي تجاهلها للفتاة فعاد باهتمامه للفتاة المبهرة قائلا برقة " سجى اعرفك بابنة عمي سلسبيل .. " ثم التفت نحو سلسبيل ليقول بتعابير مبهة " سجى .. كانت معي في الجامعة الامريكية قبل ان تهاجر مع عائلتها .."

همست المدعوة سجى ذات الشعر العسلي الذي يقارب لون شعر مهدي نفسه " مرحبا .."

لم تستخدم سلسبيل يوما سيطرتها على دواخلها كما تفعل الان ... فبينما تأن من الغيرة وتتألم من الهجران ردت بهدوء ظاهري " مرحبا كيف حالك ؟" ردت سجى بابتسامة زادتها جمالا " بخير شكرا لك .. سعيدة بالتعرف على اقارب لمهدي .."

هزّت سلسبيل رأسها قليلا وهي تقول بلهجة رسمية " سعيدة بلقائك ايضا ..." ثم التفتت سلسبيل نحو مهدي وقالت ببرود " يبدو انك مشغول مهدي ... " رد وهو يضع كلتي يديه في جيبي بنطاله " نعم ... قليلا ... هل تحتاجين لشيء ؟" التمعت عينا سلسبيل بالكبرياء وارتسمت ابتسامة ضارية على شفتيها ثم قالت باستفزاز " اتركك لانشغالك ... لاتقلق ... سأجد ما اريده حتى دون مساعدتك .."

هزّ كتفيه بخفة وهو يسبل اهدابه ويقول ببساطة " كما تشائين ...." ..

استدارت سلسبيل وهي تحيي سجى بابتسامة خالية من اي معنى ثم تحركت مبتعدة وهي ترمي بالكلمات اليه " يوم الخميس القادم عقد القران ... ربما كنت مشغولا فلم يصلك الخبر ... الى اللقاء يا ... وسيم .." ...

في المساء

كان بلال يشكر الله في سره بينما يحاول تفسير ردة فعل رياض لرفض حوراء له وتفضيل ظافر عليه ... منذ ان اخبره قبل ايام وهو لايستوعب تلك الملامح التي استرخت ! ترى هل اجبرت بلقيس ابنها على طلب حوراء للزواج ؟؟ سؤال يراوده ..

تحول باهتمامه لزوجته التي تنظر اليه منذ عشر دقائق بعبوس ... لم يكن عبوسا ناتجا عن الضيق وانما عبوس التفكير في مسألة محيرة !!

قال بلال بابتسامة " لماذا تنظرين الي هكذا صغيرتي ؟؟" ردت وهي تتقدم منه تناوله كأس العصير الذي يحبه " بصراحة ؟ ... رغم اني سعيدة جدا الا اني لااملك الا ان اتساءل عن سر قبولك بعقد القران ..!" تراقصت ابتسامته على شفتيه ثم قال وهو يأخذ منها كأس العصير " لي غاياتي ..." ازداد عبوس نجلاء فتجعد جبينها وهي تقول باصرار " غايات ؟! وما هي ؟؟"

مد يده الحرة ليلامس جبينها برقة حانية يمسد ذلك العبوس فيمحوه قائلا " حوراء لديها معركة تخوضها صغيرتي..." تساءلت نجلاء بدهشة هذه المرة " معركة ؟؟" رد وهو يرتشف من كأسه ويلتفت حتى يجلس على كرسيه المعتاد في جناحهما الخاص " نعم .. وهذه المعركة تحتاج لقوتها الداخلية دون الاحتماء بشيء اخر او التواري خلفه .."

تحركت نجلاء لتجلس بجانبه على الارض بعفوية ثم ارتكزت على حجره بذراعها المطوي وذقنها الذي توسد هذه الذراع ثم قالت " افهمني بلال .. ماذا تقصد بالضبط ؟؟"

رد وهو يلاعب خصلات شعرها " حوراء تحب ظافر ... ببساطة لم تستطع رفضه ! لم تستطع التخلي عن رغبة مؤلمة ان يكونا لبعض .... ولكنها في المقابل تحتاج لاقناع عقلها ايضا .. تحتاج ان ترى تغييرا فيه ... تغييرا يوصلها للرضا والقناعة الكاملة عن صحة ارتباطهما ..."

التزمت نجلاء الصمت وهي تنظر لزوجها بتفكير وذهن متوقد ... اكمل بلال قائلا " ستقاومه ... ستقاوم جموحه لكي يتعامل معها كما هي بشخصيتها كاملة دون الاعتماد على الجانب العاطفي فقط وبنفس الوقت ستختبر نفسها لتقبلها له كزوج تشاركه مستقبلها ..." قالت نجلاء بهدوء " لذلك كنتما تريدان خطبة فقط ؟؟ حتى لايحاول الاقتراب منها والتأثير عليها؟ لاحاطتها بحدود لايتخطاها ؟ "

هزّ بلال رأسه موافقا ثم قال " رغم ذلك عندما طالب شاهر بعقد قران راجعت نفسي ... نظرت اليها كيف تطرق برأسها دون ان تواجه ظافر ..

التمعت الفكرة في رأسي ... كأن الله سبحانه جعلني اری في لحظة الحل الصحيح ... حوراء يجب ان تقاومه بقوتها هي دون اللجوء لموانع الخطوبة دون عقد قران .. يجب ان تستكشف طرقا للوصول لاهدافها بارادتها .. يجب ان لاتكون هناك حدود غير حدود ترسمها هي بنفسها ... اريدها ان تقاومه لتقومه ... "

اكملت له نجلاء بعينين لامعتين " كما انك بعقد القران ستطمئن انها لن تتعرض لموقف قد يخل بالتزامها الديني ... انت تعرف ان ظافر غير مأمون ... من هذه الناحية .." سكنت ملامح بلال وسرحت عيناه وهو يقول " لو رأيت كيف كان ينظر اليها في تلك الجلسة ! ادركت انه لن يمنعه شيء عنها الا هي ... لذلك لافائدة من تأجيل العقد .."

امسكت يده التي تلاعب شعرها بشرود فطبعت قبلة على باطنها وهمست " ماذا قالت لك تلك الليلة ؟ ما الذي جعلك تستكين هكذا لاختيارها .." لم يرد وهو يسبل اهدابه فتضايقت نجلاء لتقول بغيظ ناعم " لماذا لاتخبرني ؟!!" ابتسامة مرتعشة مرت على شفتيه وهو يعود للنظر اليها قائلا " ساخبرك ... لكن لاتحنقي عليّ صغيرتي .."

ابتسمت له فانشرح صدره وهو يتفحص وجهها الذي فتنه ثم قال بصوت مبحوح " لقد جاءتني لتقول لي نفس ما قلته انا لامي رحمها الله قبل سبع وعشرين عاما !" سألت وعيناها تتسعان فضولا " وماذا قلت لامك ؟" همس وهو يميل نحو وجهها " قلت لها (امي انا في ورطة!)" ....

(امنحني القوة يا الله .. لاتجعلني ضعيفة فاستسلم لعنفوانه .. اجعل حبي له مكللا برضاك .. اجعلني سببا في هدايته لافوز به ...)

دمعة هطلت وهي تراقب نجوم الليل من شرفتها بينما لسانها يهمس بدعاء من القلب ... دعاء دأبت عليه منذ ان اختارته ... منذ ان اختارت ان تختاره !

(ابي انا في ورطة !) اغمضت عينيها ووجنتيها تتوهجان كلما تذكرت ما دار بينها وبين والدها تلك الليلة ... لاتعرف كيف انسابت الكلمات من فمها لتسخر من حيائها الفطري .. لم يكن امامها خيار اخر وهي تعاني التمزق بين سعادة الارتباط بظافر والرعب من هذا الارتباط ... ! كانت قد قررت رفضهما معا ... ظافر ورياض ... لكن .. كلمات الرفض ماتت على اعتاب شفتيها و قلبها خانها وهو يحرم عليها قول كلمة (لا)....

سماعها لقصة الحب التي قهرت والدها وهو في السابعة والثلاثين فجعلته يكسر كل القيود ليتزوج والدتها كان له الاثر العميق في هدوء نفسها ... امها دوما تحدثها عما فعلته لاجل والدها لكن والدها لم يكن يقول الكثير ... ربما لانه ما زال يشعر بالخجل من ضعفه امام عشقه لفتاة في الثامنة عشرة ...

تنهدت وهي تحاول استعادة تلك الجمل العشوائية التي خرجت من فمها بخجل رهيب ... قالت لابيها بصريح المعنى انها غير قادرة على رفض ظافر ... انها تريد ان ترتبط به لكنها مرعوبة من هذا الارتباط ...

والدها كان منتهى الرقة والتفهم ليس لمشاعرها او افكارها فحسب وانما لانوثتها ايضا ...

لديه طريقة غير عادية ليتفهم طبيعة الاناث ويدرك كيف يشعرْن ويفكرْن .. لاعجب ان امها وقعت صريعة هواه هكذا ...

تنهيدة طويلة خرجت من صدر حوراء وهي تهمس " لماذا لم اعشق رجلا مثله ... انام مطمئنة به ومعه ؟... لماذا اختار قلبي ظافر ؟ لماذا هو بالذات من استطاع ان يتسلل الي رغما عني .."

والدها جعلها تستشعر ضعفها وقوتها معا ... بل ان تستنبط من ضعفها هذا قوة ! جعلها تفكر بقدرتها على ايجاد منطقة محايدة تجمعها بظافر وترضيهما معا ... والدها اخبرها انه استطاع ايجاد هذه المنطقة بمساعدة امها وليس بمجهوده فحسب ... وان عليها فعل شيئا مماثلا مع ظافر .. عليها ان لاتنسحب لدائرته او سحبه لدائرتها .. عليهما معا ايجاد تلك المنطقة المحايدة لتكون دائرتهما المشتركة ...

وفوق كل هذا ... منحها هدية اعظم ... دعمه اللامحدود وثقته الغالية ....

نفسا عميقا مرتاحا ملأ صدرها وهي تعاود النظر للنجوم ... ابتسمت برقة وهي تتذكر جملة قالها لها ظافر عندما كانا طفلين ... كانت لاتتجاوز الثامنة عندما قالت له باحباط انها لاتستطيع عد النجوم فاخبرها بثقة انه سيعدها لاجلها !

همس بشوق ينهشه " ما الذي يجعلك تبتسمين مولاتي بينما انا اعاني ضنى بعدك ... اراقب طيفك دوما والاحقه هنا وهناك ..."

انفاس حارة ينفثها بلهيب رغبته لان يكون قربها الان بينما يكبت تلك الرغبة ويكتفي بالتطلع نحوها متواريا بالظلمة حتى لاتراه ... حذرته من الاقتراب ومحاولة رؤيتها خلال هذا الاسبوع حتى يتم عقد القران ... عض شفته السفلى وهو يعنّف نفسه قائلا " كله بسبب تهورك يا ظافر !! الم تستطع الصبر وانت تطالب بتلك القبلة التي ليست من حقك بعد ..."

حركة ناحية شرفتها اخرجته من هذيانه ... تنهد في احباط وهو يتطلع اليها تغادر شرفتها لتدخل الغرفة وتغلق الباب والستائر ....

همس بوعد " يوما ما مولاتي ... يوم قريب ... لا ابواب ولا حتى حصوننا ستمنعك عني ..." وعلى هذا الوعد وهذا الامل الذي يؤرق لياليه تحرك ظافر سائرا على قدميه متوجها نحو سيارته التي تركها حيث لاتراها مولاته فتفطن لوجوده ...

يوم الثلاثاء

باستفزاز يتعمده مال ماهر نحو مكتب الاستقبال قائلا بابتسامة عريضة تحمل نفس المعنى " كم عمرك صفية ؟"

نظرت للسقف وهي تتنهد بملل وتقول " اسمي الانسة صفية وعمري تسعة عشر اعمل موظفة استقبال في مجموعة الغازي .. " ثم نظرت اليه ساخرة لتقول بجدية مصطنعة " هل ساستلم بطاقة التعريف اليوم لاضعها على صدري ؟؟!"

لم يبالِ بسخريتها فتشدق قائلا " الا يفترض ان تكوني في الجامعة او ما شابه ؟" ردت وهي ترفع حاجبيها " الجامعة ؟!! هذا ترف لايحصل عليه كل الناس .."

ثم اضافت قبل ان يقول هو شيئا " الا يفترض انك تأتي هنا للعمل او ما شابه ؟!! ام ربما عملك البحث عن الفواكه عند مكتب الاستقبال ؟؟"

تعالت ضحكته فجذبت بعض من يمر بهما ثم قال بعينين لامعتين " السخرية تخرج من فمك بطريقة ممتعة !"

اطلقت نفسا قصيرا محتدا ثم اغمضت عينيها واخذت تكلم نفسها قائلة " اهدأي صفية .. للتخلص من الشعور بالغضب من مديرك خذي نفسا عميقا وعدّي حتى رقم خمسة ثم ضعي ابتسامة بلهاء على وجهك ! بعدها.. سيجد مديرك سخافة اخرى تلهيه عنك ..."

عض شفته باستمتاع لايوصف ثم همس باغواء " هل هدأت الان صفية ..." فتحت عينيها الواسعتين لتقول بسلاطة لسان " ساعتبر كلمة (انسة) سقطت منك سهوا هذه المرة ايضا لذلك ارجوك سيد ماهر لاتنسى ان تمسك بالكلمة بقوة المرة القادمة ..."

توقفت قليلا لتغلق عينيها قليلا وتهمس لنفسها بالعد حتى رقم خمسة ثم اخذت نفسا لترفع نظراته نحوه وهي تبتسم ابتسامة(بلهاء) وتقول " والان .. لنبدأ من جديد .." تنحنحنت لتقول بنفس الابتسامة " صباح الخير سيد ماهر ... يوما سعيدا تقضيه وانت تتجه نحو المصاعد لتذهب الى احدى المكاتب الفخمة فوق وتؤدي عملا ما لااعرفه لكنه مؤكد يليق بأحد ابناء هذه الامبراطورية .."

عيناه لاتفارقان وجهها بينما تعبير مفترس ظهر على وجهه وهو يحمل ابتسامة الذئب قائلا " هل تظنينني تافها ولا اؤدي عملا في الشركة لمجرد اني ابن شاهر الغازي ؟ اذن فأنت لاتعرفين ابي جيدا كما لاتعرفيني ..."

ردت بصوت عملي والابتسامة البلهاء تأبى ان تفارق شفتيها " انا احصل على راتب هنا ليس لاتساءل عنك سيد ماهر او عن السيد الوالد .. "

قال بتعبير غامض ساخر" حسنا (انا) اتساءل عنك ... مثلا ماذا تفعلين عندما ينتهي وقت عملك هنا ؟؟"

رفعت سبابتها لتربت بخفة قرب ذقنها وضيّقت عينيها وهي تنظر لاحدى الزوايا وكأنها تحاول التذكر ثم قالت " امممممممم دعني افكر ... حسنا ... اولا علي اللحاق بالحافلة التي ستقلني لمسكني الذي يقع في الجهة الاخرى من المدينة ... لاني اذا تأخرت فهذا يعني ان امي ستصاب بالهستيريا .. ليس من اجل قلقها علي لانها تعلم اني اجيد حماية نفسي ولكن هستيريتها بسبب انها لن تعرف اي دواء يفترض ان تعطيه لابي الذي لايغادر سريره بسبب المرض!"

عيناها الجميلتان اخذت طابعا قاسيا وهي تنظر اليه مباشرة وتكمل بمرح زائف " ليس هذا فحسب .. فالتأخير يعني ان اخوتي الصغار لن يجدوا من يساعدهم في حل الواجب المدرسي لان وقتي محدد بموعد دراستي المسائية في معهد السكرتارية ..."
اختفى المرح تماما وحلت قوة لم يرها في فتاة بسنها سابقا عندما قالت اخيرا بهدوء شديد " وهكذا سيد ماهر .. امامك بنت في التاسعة عشرة من عالم آخر بعيد عنك ... تناضل مع الحياة يوميا وليس لديها لا الوقت ولا النية للتحول الى يقطينة او اي فاكهة تخطر ببالك .."

نظراته اخذت كل الوقت لتفحصها ليقول ببطئ شديد متهمل " صباح الخير انسة صفية .."

ردت وهي تستعيد الابتسامة (البلهاء) " صباح الخير سيد ماهر ... يوما سعيدا " دون ان يقول المزيد تركها واستدار لتتنفس هي الصعداء بينما فاتها ان ترى العزيمة والاصرار اللتين علت ملامح الصياد ..

تهادت نهى يسبقها عطرها الفواح لتتوجه نجو مكتب زوجها ... خطواته اكثر ثقة اكثر خفة اكثر شوقا واكثر .... توجسا ... توجس نابع مما قد تراه !!

تلاقت مع اسباب توجسها فحضرتها كلمات نادية (انسي ريمة انسي كل شيء ... فقط ركزي على نفسك ... ركزي على شاهر ...) ... انكفأ التوجس ليرتد بعيدا ثم ارتسمت ابتسامة انيقة على شفتيها المصبوغتين بلون ذهبي باهت لتقول لصاحبة العينين المميزتين " صباح الخير ريمة .."

رفعت ريمة عينيها عن الاوراق التي تمسكها بيدها منذ فترة تحاول التركيز فيها دون جدوى ... بدت متفأجاة لعدم شعورها بوجود نهى ... كانت منهكة ... منهكة عاطفيا وجسديا ... اصبحت قليلة النوم تحاصرها موجات بكاء خانقة لاتعرف كيف تتخلص منها ولا ممّا تُشيعه فيها من احساس كريه بالرثاء للنفس ...

لم تتصور يوما انها ستعشق الانسان الخطأ هكذا .. دوما كانت الفتاة الطيبة العملية المتفوقة ... دوما كانت المتفائلة التي تشيع جوا من الراحة لمن حولها ... وها هي غدت في عقدها الرابع تعاني من عشق غريب جعلها تأمل بحياة اخرى تسمع عنها ولم تجربها ... لاتملك الا ان تأخذها الاحلام لتعيش تلك الحياة مع عشق شاهر الغازي ...

نظرت لنهى ... غريمتها ... لا انها ليس الغريمة ... انها تأمل ان تكون غريمتها فقط دون نجاح يذكر! أملت ان شاهر الغازي سينظر اليها يوما على انها حبيبة وزوجة محتملة ... لكن للاسف ... شاهر لايرى الا زوجته ... قد تبهره بعض الاضواء هنا او هناك لكنه لن يستطيع مغادرة مبهرته الحقيقية الوحيدة .... نهى .... حتى وان انطفأت كل الاضواء بينهما سيبقى رغما عنه يسعى اليها في الظلمة حتى يجدها !

ردت اخيرا وهي ترسم ابتسامة مرحبة تخفي غيرة محزنة " صباح الخير سيدة نهى .." قالت نهى بهدوء " تبدين متفاجئة بوجودي ؟!" قالت ريمة " لا ابدا ... كنت سارحة ... بافكاري فقط ..." تبسمت نهى لتقول بلطف " كيف حال ابنة اخيك او ابنتك كما تحبين مناداتها ..؟"

انعصر قلب ريمة وهي تتذكر برود يسرا معها ..
قالت بابتسامة مرتعشة " انها بخير ... اقصد مؤكد ستكون بخير ... ما زالت صغيرة ولاتدرك الحياة .."
قالت نهى بشجن غريب " هناك كبار ولايدركون الحياة ! على الاقل صغر سنها يشفع لها ..." ردت ريمة ببعض الشرود " نعم ... صحيح .." استعادت نهى صوتها اللطيف لتسأل " هل زوجي بمفرده ؟" اسبلت ريمة اهدابها وهي تقول بتحشرج " نعم سيدتي ... تفضلي .."

دخلت نهى مكتب شاهر ثم اغلقت الباب خلفها ليراود ريمة احساسا فظيعا لايمكن وصفه ....

رفع شاهر رأسه فطالعته صورة فاتنة لزوجته ... لايعرف ما الذي تغير فيها هذه الايام لكن مؤكد هذه الفتنة تنبع من شيء ما ... شيء جديد ...

قالت بابتسامة مترددة " صباح الخير ... آآمل اني لم ازعجك بقدومي ..." رد وهو يضيق عينيه " صباح الخير ... انت تعرفين انك لاتزعجيني ابدا ..."

خفق قلبها بقوة وهي تراه يقف على قدميه ليلتف حول مكتبه ولكنه تماهل حتى وقف بجانب المكتب يستند اليه بجسده ويقول بهدوء " لكني اتساءل فقط ... ما زال الوقت مبكرا جدا للغداء ولم اتعود مجيئك في ساعة كهذه ..."

فاجأته بأن اخذت نفسا ثم تحركت خطوة لتقف بعدها وتقول بخجل غريب " هل مسموح لي ان اقبلك هنا ؟" احتدت نظراته وتأهبت حواسه وهو يراقب تعابير وجهها .. بدت على وشك التراجع بينما تعاني الخجل ... اطرقت فابتسم رغما عنه ...
لايصدق بعد مرور هذه السنوات تخجل هكذا ؟!!

قال باستفزاز رقيق " ما دمتِ تريدين ذلك حقا فلمَ لا ؟!"

رفعت وجهها اليه فبدت اكثر جمالا بتوهجها ... تقدمت نحوه .. وقفت امامه .. وضعت كفها على كتفه لترفع نفسها قليلا حتى تصل شفتيه ... قبلتها كانت ناعمة جدا ... خجولة غير واثقة لكنها صادقة محبة ... قاوم شاهر حتى لاينساق اكثر .. فيكفي ما تعرض له من احباطات ... لكنه لم يستطع ردع نفسه عن امساك خصرها مانعا اياها من الابتعاد عنه كما ابتعدت شفتيها عن شفتيه ... قال بابتسامة غامضة " هل استطيع ان اسأل عن السبب ؟" كانت عيناها تلمعان وهي تقول بانفاس متهدجة " اردت ان اشاركك فرحتي وحماستي .."

رفع حاجبا واحدا وهو يقول بمكر " ما الذي اسفرت عنه مباحثاتكما السريّة انت ونادية ؟"

عقدت حاجبيها وهي تقول بخيبة امل " اذن فانت تعرف !" ضحك بخفة ليقول " لا .. لاتبتأسي لااعرف اي شيء الا انكما تخططان لشيء ما .." ثم غمز لها ليقول " آسر يموت غيظا ليعرف ! فنادية قدمت طلبا رسميا لاجازة مفتوحة دون ان تبدي الاسباب... اتصل بي صباحا وانا في طريقي للشركة ليخبرني انه سيؤجر محققا ليعرف ...!"

اخذت نهى تضحك من قلبها فلاحقها بنظرات ناعمة ثم قال بتحشرج " لم ارك تضحكين هكذا منذ فترة طويلة .." ردت وهي تتنهد رغما عنها " لاني سعيدة .. سعيدة بما انوي فعله مع نادية ..."

ثم وضعت يدها الاخرى على صدره وقالت بامتنان ايقظ فيه روحه " و سعيدة لانك تتبادل معي الكلام مثل السابق ..." يقاوم مرة اخرى ليكتفي بابتسامة شقيّة وهو يسألها بمرح " ماذا ستفعلان برجال آل الغازي ؟"

ضحكة رقيقة سبقت كلماتها وهي تقول " لن نفعل بكما شيئا .. بل لانفسنا .." حثها وهو يميل براسه جانبا " ابهريني .." اغمضت عينيها للحظة ثم فتحتهما قائلة بشعور طفولي بالذنب " ستقتلني نادية لاني وعدتها الصمت حتى نفاجأكم ولكني لااطيق صبرا لاخبارك بسرنا الصغير .."

مال رغما عنه وطبع قبلة على خدها ليهمس " قولي .. فلا يليق بك الاحتفاظ بالاسرار ..."

قبلته جعلتها تشعر بالفخر والفرح الغامر ... قالت بسعادة تعكسها عيناها " سنفتتح مشغلا خاصا بنا للمنسوجات والازياء ..."

اتسعت عينا شاهر بينما اكملت نهى بحماسة " هي ستمسك الحسابات وانا التصميمات .. والاشراف والادارة بيننا .."

هزّ راسه بعدم تصديق وهو يقول " هذا رائع .. حقيقة ابهرتني .."

منحته ابتسامة خلابة لتقول " ولن تصدق ..." صمتت قليلا لتثير فضوله اكثر ثم قالت بضحكة مشاكسة " نجلاء ستحاول اقناع بلال بمشاركتنا .. "

الخميس ... عقد القران ... بيت بلال الناجي

انها زوجتك ... ملكك يا ظافر ... انتهى الامر .. لم يعد هناك من يستطيع اخذها منك ... انها لك ... لك ... لك ... وستبقى لك حتى آخر نفس واخر نبض في عروقك ...

ينتظر خروجها بفارغ الصبر بينما يواصل اقناع نفسه بأنه قادر على الاستمرار بشروطها حتى ترضى عنه وتمنحه نفسها بالكامل ... سيفعل كل شيء واي شيء .. قد تتصور ان شروطها من ستكون الفيصل بينهما ولكنها في قرارة نفسها تعرف ايضا انه لن يستسلم ..

خفق قلبه والزغاريد تعلو ... هلّت عروسه اخيرا ..

جاشت مشاعره وهو يرى مولاته لاول مرة بعد عقد القران ... فالعقد تم بغيابها عن ناظريه وقد وكلت والدها لاتمامه .. ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر لفستانها .. هذه المرة الاولى التي ترتدي فيها شيئا كهذا ! كانت مشعة ملفتة بانوثة متفجرة ... ذلك الفستان الاخضر حدد بخجل تفاصيلها .. لوهلة ادرك واعترف ان جاذبية كهذه تستحق ان تخبئ ... بل يجب ان تخبئ ! تخبئ ولايراها غيره ...

اقترب وهو يمارس الضغوط على رغباته باحتضانها وما ان التقت عيناه بعينيها حتى انتهى امره ... كانت تبدو ببراءة تسلب القلب وتدفعه لحمايتها .. مولاته تحبه وهذا هو المهم ... والقادم سيأتي لامحالة ...

كانت مرتبكة وهي تنظر اليه وتتوجس من فعل قد يفلت منه خصوصا مع تهليل امها ليقبل العروس لكنه اكتفى بنظرة شغوفة بينما مال ليلثم اعلى راسها فوق الحجاب وهو يهمس " استرخي مولاتي ... " ضاعت تنهداتها المرتاحة مع الزغاريد بينما امسك بخفة اعلى ذراعها ليقودها نحو مجلسهما الذي خصص لهما في احدى جوانب الحديقة حيث يقام الاحتفال البسيط ...

كانت راضية ... اجل راضية ... او ربما تقنع نفسها ببعض الرضا وهي ترى ردة فعله ... لا ليست ردة فعله الان فحسب فهو التزم طوال الاسبوع الماضي لذلك فهو يستحق ... يستحق خروجها عن المألوف بملابسها لاجله .. كانت تريد ارضاءه ولو بشيء بسيط كهذا حتى يشعر ببعض الفرق ... لاتريده ان يجزع فما زال امامهما الكثير ...

التفتت نحوه فوجدته يراقبها .. ابتسمت له فاطلق نفسا عميقا والتمعت عيناه وهو يهمس " الا يوجد شيء يسمى الرؤية الشرعية ؟!" ارتفع حاجباها عاليا وهي تقول بدهشة " هل تعرفها ؟؟"

قال بابتسامة محبطة " قضيت الايام السابقة اقرأ في كتب دينية لاجد ثغرة .. والرؤية الشرعية من حقي حتى قبل عقد القران " ضحكت حوراء رغما عنها فذابت نظراته وهو يضيف " حوراء ... اريد رؤيتك دون حجاب لمرة واحدة ... هذا من حقي .."

ادارت وجهها بعيدا عنه لتقول وهي تنظر اليه بطرف عينها " لقد تمت الرؤية الشرعية .." هتف مستنكرا " متى ؟! انت تغشين ..."

ردت بابتسامة " بل انت من بدأ بالغش ... اولها ما حاولت فعله معي في مكتب ابي .. "

تحشرج صوته وهو يتذكر ما اوشك ان يحصل عليه " هذا ليس غشاً وانما خروجا عن السيطرة .. اعتبريه مخالفة ! " ثم اضاف مصرا " والان ماذا عن حقي ؟؟ " ردت بخجل " قلت لك لقد تم الامر .." سأل بحنق " متى ؟؟ " اجابت وهي تنظر اليه بوجه محمر " هل نسيت انك رأيتني ذلك اليوم قرب حوض السباحة ؟؟ "

عبس ظافر ليقول بتبرم " هذا ليس عدلا حوراء ! لم اتعمد فعل ذلك ولم اسعَ اليه ! ما زلت متمسكا بحقي .." همست بانفاس ناعمة وهي تهز رأسها " انت ستتعبني ... "

اجفلها وهو يمسك كفها بقوة هامسا بشغف " ربما انت من ستتعبيني وانا اعلمك الحب ..."

عضت شفتها وهي تطلب منه " اترك يدي ظافر .." لم يفعل وهو يلامس ظاهر يدها بابهامه يبتهج برؤية ارتعاشها الذي يماثل ارتعاشه ..

قال يريد الهاءها عن محاولاتها لسحب يدها منه " رمضان بعد يومين على الاكثر .. عليك استعادة قواك .. " استكانت محاولاتها فعلا لتنظر اليه وتسأله فجأة " هل ستصومه كاملا يا ظافر ؟ " رد وهو يغرق في عينيها " نعم ... هذه المرة ساصومه كاملا معك ...."

شعلة نارية جعلت عيناه تكادان تخرجان من محجريهما .... تصلب جسده بالغضب رغما عنه وهو ينظر لفستانها ذي اللون الناري القصير والمكشوف الى حد ما عند الكتفين .. اما شعرها فلاول مرة يراها تصففه بتموجات انيقة هكذا !! ماذا دهاها ؟؟ !! دوما كانت طبيعية بل حتى تهمل هذه الامور وتعتمد البساطة ..

كزّ على اسنانه وهو يتطلع لزينة وجهها التي جعلتها تبدو قمة في الاغراء ... همس بغضب " ما الذي تسعين اليه يا سلسبيل ؟!!"

رآها تتحرك بكعبيَ حذائها العالي هنا وهناك وقد تجاهلته كليا ... منذ زيارتها الاخيرة لمكتبه وهي تتجاهله .. صوت صغير انطلق من اعماقه يشمت به قائلا " ذق من نفس الكأس يا مهدي.."

قادته خطواته نحوها ليقترب منها جدا حتى اوشكت ان ترتطم به وهي تلتفت لندائه " سلسبيل .."

ابتسمت له بطريقة اثارت غيظه ! هل تتعمد هذه الفتاة استفزازه بابتسامتها البريئة هذه بينما عيناها تلمعان بالمكر ...

قالت له وتلك الابتسامة تثير جنونه " مرحبا يا وسيم ... " رد بقناع من الهدوء " تعالي معي.. هناك ما اريد محادثتك بشأنه ..." رفعت حاجبيها عاليا ببراءة مستفزة تماثل استفزاز براءة ابتسامتها لتقول بصوت ناعم رقيق " هل انت غاضب مني يا مهدي ؟ هل ارتكبت خطأ ما ؟؟ "

ابتسم لها واسنانه تصطك حنقا ثم قال " هيا الى الحديقة الخلفية وستعرفين ..." هزّت كتفيها بخفة وتقدمت بتمهل شديد متعمد ..

وقفت امامه برأس يميل جانبا لتقول بمرح " هل اخبرك احدهم اني ذهبت للسباحة في البحر قبل ايام ؟؟" احتدت نظراته واكتسحه قلق مرعب وهو يقول بصو ت متحشرج " هل فعلتها سلسبيل ؟ هل كسرتِ وعدك لي ؟؟"

ضحكت بنعومة وهي تهز رأسها نفيا وتقول " لا ... لم افعل ... كنت اناكفك فقط فأنت تبدو جدي للغاية !"

ارتسم الغموض على وجهه وهو يستعيد هدوءا ظاهريا ليقول " ما هذا الذي ترتدينه الليلة يا سلسبيل ؟!" فتحت ذراعيها لتمدهما جانبا ثم القت نظرة على نفسها لتقول بدعابة " ماذا ؟ الا ابدو جميلة ؟!! "

التزم بنفس الهدوء وهو يرد " تعلمين جيدا انك تبدين جميلة جدا ... اجمل من المفروض في الحقيقة ..." رفعت حاجبيها قليلا لتختفي الدعابة ويحل محله شموخ ساحر وهي تقول بابتسامة مبهمة " هل يزعجك ان ابدو جميلة جدا يا وسيم ؟ "

بدأ يشعر ان غيرته تفلت منه وتؤثر على رجاحة عقله وتماسكه .. وجد نفسه يقول ببعض القسوة " بل لايجوز ان تظهري جمالك بهذه الطريقة امام الاخرين .. عليك ان تكوني اكثر تحفظا وحشمة .." ردت وتلك الابتسامة لاتفارق شفتيها " لايوجد من هو غريب .. انه احتفال عائلي .."

صوته ارتفع رغما عنه وهو يقول بحدة " الم تفكري ان رياض قد يحضر وهو لايقربك بشيء .."

غمزت له ببساطة لتقول " رياض اذكى من ان يحضر الليلة ... فظافر ليس في مزاج لتحمل وجوده خصوصا من كل القيود التي فرضتها حوراء عليه ... عندها سيجعله متنفسا لكل احباطاته والضغوط التي يفرضها على نفسه من اجلها .."

عيناه تفحصتاها بعمق قبل ان يسأل " هل انت سعيدة لان حوراء ترتبط بظافر بدلا من رياض ؟"

هزت راسها استنكارا وهي تقول " مؤكد سعيدة !!"

احتدت نظراته وهو يتساءل " لاجل ظافر ام لاجل رياض ؟" ارتبكت للحظة وهي ترد على سؤاله بسؤال " ماذا تقصد ؟"

ارتباكها الطفيف جعل غضبه المتراكم نحوها يتفاقم ... حاول السيطرة على نفسه لكنه لم يستطع ... كان غاضبا منها فوق الوصف بل حتى خائب الامل ! صورتها مع رياض لاتفارق خياله ....

وجد نفسه يقترب ليمسك ذراعيها العاريين وهدر صوته بغضب متفجر " اقصد انك فتاة تحتاج لاعادة تربية .." اتسعت عيناها في ذهول وهي تردد " انا ...؟؟؟ انا مهدي ؟؟!!"

هزها بقوة وهو يهدر " نعم ... انت ... ماذا كنت تفعلينه بالضبط وانت تشاغلين رياض بهذه الطريقة الفجة المخزية ؟!!"

اتسعت عيناها اكثر وشعرت بالغضب يتسلل اليها هي الاخرى لتقول بحدة " فجّة ؟! مخزية ؟!! انا لم افعل ما تقول .."

اصابعه انغرزت في لحمها وهو يعنفها قائلا " لاتتلاعبي معي يا سلسلبيل ... خلال الفترة السابقة اكتشفت اني كنت مغفلا جدا باعتقادي انك صغيرة وبريئة .. لكني اكتشفت اني كنت المغفل الوحيد لاني كنت اراعي سنك هكذا .."

التمعت عيناها بدموع تأبى النزول وهي ترد له الصاع صاعين " اجل انت بائس مغفل ! " ثم شهقت بالالم من ضغط اصابعه لكنها اكملت بتحدِ " وانا كنت مغفلة ايضا لاعتقادي انك اكثر احتراما لنفسك من ان ترتبط بفتاة منفتحة كسجى هذه .."

صرخ بها قائلا وهو يهزها " اياك ان تقولي عنها كلمة ... انها فتاة محترمة وذات اخلاق رفيعة ..."

ارتعشت وهي تمنع دموع القهر التي تلبدت بها عيناها لتقول بعدم تصديق " اتدافع عنها بشراسة هكذا يا مهدي وهي تخرج معك دون حياء وخجل وامام الناس بينما تتهمني بمشاغلة رياض وانا لم اخرج معه الا مرة واحدة وبصحبتكم .."

توقف كل شيء حولهما للحظات لتتبعه كلمة واحدة خرجت من فمه بحدة " لا .... "

ابتلعت ريقها في توجس وهي تقول " ماذا تقصد ب(لا) ؟!! انا لااكذب .." رد ساخرا بعنف " لااعرف اذن كيف تسمين ذهابك اليه في شركته وانت تكادين تغازلينه بشقاوتك .."

شحبت قليلا وهي تسأله " كيف علمت ؟" قال باحساس فظيع " رايتك ... رأيتكما معا ... "

انفاسه هدرت مع صوته وهو يكمل " كنت ذاهبا اليه لاكلمه بأمر حوراء وظافر عندما وجدتك هناك ... لقد ... شعرت بال.... الخزي !"

فقدت سلسلبيل اعصابها وهي ترد عليه بعنف يماثل عنفه بينما دموعها تنطلق " الخزي ؟!! انا تقول عني انك تشعر بالخزي من افعالي ؟!! ايها المنافق !" دموعها شقت قلبه لكنه قال لها محذرا " احفظي لسانك وادبك .."

لكن سلسبيل لم ترتدع ... كانت قد انفجرت ولم تعد تسيطر على نفسها فاخذت تصرخ به باكية لاول مرة في حياتها امامه " اجل منافق ... منافق ... منافق تتهمني وتحاكمني دون ان تفهم حقيقة الامر .. على الاقل لاتعرف اهدافي التي قد تكون كاهدافك بالضبط وفي المقابل تبيح لنفسك الخروج مع فتاة وتنشر الاقاويل انك (قد) ترتبط بها .."

كان صدرها يعلو ويهبط باضطراد وهي تواصل هجومها عليه " قضيت الايام السابقة معها ... لاتفارقها ... انها حتى لاتكف عن الحضور لمكتبك صباحا ومساءا .. ماذا يسمى هذا يا ابن عمي ؟؟ قل لي انت يا صاحب المبادئ العليا .."

لا يعرف كيف يفترض ان يشعر وهي تنهار بين يديه هكذا !! كأنه قد فقد المفتاح الذي يغلق الباب ... تلك الباب التي شرعت في اعماقه لتفلت مشاعر دأب على كبحها ... همس بحشرجة " هل اسميها غيرة يا ابنة عمي ؟" انفاسها ما زالت تتلاحق ... دموعها اختلطت بزينة وجهها دون ان تبالي .. لكن ما ان ادركت معنى سؤاله حتى اضطربت !

همست بتعثر " كنت... اتحدث عنك... لا عني .." اصر في خفوت وهو يقترب برأسه منها " وانا اريد جوابا سلسبيل .." جبينه يكاد يلامس جبينها فاسبلت اهدابها وهي تهمس بألم لم تستطع كتمه " هل هي السارقة ؟ اخبرني مهدي ... هل سرقت قلبك ؟" لم يرد بينما انفاسه تتسارع لترفع عينيها اليه في تحد رقيق ومشاعر واضحة لتهمس له " قل لي انها ليست السارقة ... قلها مهدي ..."

كان يدرك انه يفقد السيطرة وهو يتطلع لتلك العينين ويقول بشغف " متى كبرتِ هكذا ؟! " ارتعشت شفتيها بلونهما اللامع لتهمس بعاطفة " مهدي .. انا .. " لم يستطع ... لم يحتمل وهو يجرها اليها ليعتصرها بين ذراعيها .. كانت مقاومة تقبيلها فوق مقدرته ... شعر بطاقته على الاحتمال نفذت ...

يا الهي ماذا يفعل ؟!! انها الصغيرة سلسبيل .... ابنة عمه التي يجب ان يحافظ عليها ويحميها ... دفعها بعيدا عنه ليلتفت بحدة موليا اياها ظهره وهو يعنف نفسه قائلا " يا الهي ... ماذا فعلت ؟! " لم يستطع النظر اليها وهو يكمل معتذرا " انا آسف ... أنا .. لم يفترض ان افعل هذا ... انت صغيرة وانا ..." شعر بحركتها المرتبكة وهي تهمس له " نعم مهدي ... انا اموت غيرة .. منها ..." ثم تركته لتخلع حذائيها وتركض هاربة ...

كان الجميع يهلل ويحتفل عدى مهدي الذي اخذ ركنا يلتزم به لايغادره بينما يراقب فتاته التي ظنها صغيرة حتى تذوق قبلتها !

لامست قلبه عندما رآها قد ظهرت مرة اخرى بفستان طويل ازرق داكن بينما تركت شعرها على ما تبقى من تموجاته ليتألق وجهها بزينة خفيفة لم تخفي اثار البكاء ... كانت تراقص التوأمين احيانا وهي تدّعي المرح واحيانا اخرى تناكف ظافر وحوراء او تضاحك ماهر وتزعجه بكثرة السؤال عن حبيبته المجهولة ... تفتعل كل هذا لتستعيد صورتها امام نفسها اولا ... لكنها لاتعرف ... ان ما حدث بينهما اليوم غير صورتيهما معا ولن تعودا كما السابق ابدا !

همست نادية في اذن آسر " سلسبيل ليست على طبيعتها .. انا قلقة ! " لم يرفع آسر نظراته حتى بل اكتفى بالقول " اذا لم يتقدم لها مهدي قريبا اقسم سازوجها بنفسي لرجل آخر نكاية به !"

في نهاية الحفل اقترب بلال من آسر وعلى فمه ابتسامة .. مد يده مصافحا وهو يقول " رمضام كريم ..." فابتسم له آسر مادا يده هو الآخر قائلا " الله اكرم ..."

اليوم الاول من رمضان ...

توجهت حوراء على استحياء نحو غرفة الجلوس حيث ينتظرها ظافر منذ ساعتين كما اخبرتها امها ..

رفعت عينيها اليه ما ان عبرت عتبة الباب لتجده يقف عند النافذة توردت وجنتاها وهي تواجه تحديقه فيها ... قالت بصوت مرتبك " مساء الخير .." رد وهو يقترب بضع خطوات " مساء الخير .."

قالت وهي تحاول الابتسام " اسفة لاني جعلتك تجلس بمفردك طويلا ... " غامت عيناه بالمشاعر وهو يقول " لابأس .. اعلم انك في اول يوم من رمضان تصابين بالصداع وبعض الدوار ... انا من طلبت من عمتي ان لاتوقظك .. " احمرت وهي تتساءل بدهشة " الا يوجد شيء لاتعرفه عني ؟!!" نظراته انسابت على طول قامتها ليقول بصوت أجش " نعم يوجد الكثير وانا اسعى جاهدا لاستكمال الصورة ..." ابتعدت بنظراتها ووجهها يتخضب اكثر ... ابتسم ليقول " عموما عمي بلال كان يجالسني ولم يتركني الا قبل قليل ليقرا القرآن ..."

هزّت رأسها وهي تتحرك نحو احدى الكراسي قائلة " نعم ... هذا وقته وسيستمر حتى الافطار ..."

تأوهت وهي تمسك برأسها قائلة " الدوار يعاودني .. لابد اني ابدو شاحبة و مريعة !"

عيناه تابعتاخطواتها ليهمس " شاحبة ربما قليلا لكن مريعة ؟!! حقا انك لاتنظرين لنفسك في المرآة .. اكاد اثبت قدمي بمسامير على الارض لامنع نفسي من فعل شيء يثبت لك كم انت مخطئة "

تعثرت رغما عنها بالسجادة المفروشة على الارض ليظلم ما حولها قليلا ودوارها يشتد .. همست اسمه بعفوية " ظافر .." لم تشعر بعدها الا وهي تتمايل وفي اللحظة التالية كانت تتهاوى لتجد صدره سندا لها ...

همست والنبض يرتفع حتى صم اذنيها " اسفة .. ما زلت اشعر بالدوار .. اشعر ان قلبي ينبض في رأسي !"



ارادت الابتعاد وهي ما زالت عاجزة عن رؤية شيء حولها لكن ذراعيه التفتا حولها ليضمها اليه ويغرق وجهه بين طيات حجابها بينما همساته تخرج مرتعشة " اللهم اني صائم .."

الفصل الثاني عشر

كانت تشعر انه يتشممها بشغف بينما تقاوم الظلمة حولها قبل ان تقاومه هو .. همست وتشوشها يتضاعف " ظافر.... اتركني .."

رد وجسده يرتعش " قد تقعين ارضا اذا تركتك .." رفعت كفّيها تدفعان صدره بضعف وتقول " ظافر .. اتركني الان .. " يده تتحرك على ظهرها وهو يهمس بضحكة خافتة " لاتخافي الاحضان والقبل لاتبطل الصيام ....ما دمتِ زوجتي .. " زفر انفاسا قبل ان يتأوه قائلا " آآآه ... زوجتي .. ملكي ..."

كانت قد استعادت تركيزها واخذت تقاوم تأثير لمساته واحتضانه المتردد لها ... تقاوم تأثير رائحته الرجولية التي تداعب انفها فتصيبها بدوار من نوع آخر .. لاتعلم من اين استعاد عقلها صورة مطمئنة لوجه والدها ...

اخذت نفسا قبل ان تقول بتماسك " ولكنها تبطل العهد الذي قطعته لي .. وانا .. لست زوجتك بعد .."

يده تلكأت قليلا ليقول ببطئ " عهد الزواج اقوى من اي عهد آخر الا تظنين ؟! " عاد ليشمها بعمق وهو يغرق وجهه اكثر في حجابها ويهمس " ما اطيب رائحتك ؟! آآآآآه ... كما اذكرها وانت طفلة .. " قال بعدها بشغف كبير " قلبك يخفق فوق صدري ليشارك قلبي جنونه ..."

لمساته لظهرها تشوشها بينما همساته المجنونة تفعل بها الافاعيل لتلجم الكلمات التي تستجمعها بشق الانفس .. عاد لهمسه الشغوف قائلا وقد شجعه صمتها ليشدد من احتضانه لها " يا ربي ... ما هذه الانوثة التي تملكينها؟ " رفع رأسه اخيرا لينفث انفاسه على خدها قائلا " انت ترتعشين وتذوبين بين بين ذراعي مولاتي ..."

ابتلعت ريقها واطرقت برأسها لتقول بضعف " ارجوك .." ما زالت انفاسه تلفحها وهو يداعبها بكلماته المغوية " ما اروع الشعور اني الوحيد الذي له حق لمسك ..." لاتعرف كيف ان جملته الاخيرة ايقظتها فجأة ... كان لها تأثير اكبر من تأثير صورة والدها حتى ... !

وجدت نفسها ترفع وجهها اليه لتقول بصلابة وتحدٍ " انا لم اعطِك هذا الحق بعد وانت تستغل ضعفي وتأخذه عنوة ! "

استكان وجهه ! فاضافت بثقة اكبر " يبدو انك تعجز عن اخذه برضاي كما ادعيت انك ستفعل .." رغم سكون ملامحه الا ان نظراته توحشت وهو يرد عليها قائلا " تجيدين الضرب تحت الحزام حوراء .." رفعت ذقنها وهي تستغل سكونه لتبعد ذراعيه عنها وتقول " ما دمت تخلي باتفاقنا ..." تركها تبتعد ثم ابتسم بتحدٍ يوازي تحديها وهو يقول " رمضان كريم مولاتي .."

صباح اليوم التالي

قالت سجى " ما بك مهدي ؟" رد وهو يحدق بعيدا " منذ الصباح اتصلت بعمي آسر .. لكن مساعدته اخبرتني انه مشغول حاليا وسيتصل بي فيما بعد " تبسم قليلا وهو ينظر اليها ويقول " ولكني اتصوره يتعمد عدم الرد علي .."

عبست سجى قليلا وهي تتساءل بدهشة " ولماذا يتعمد هذا؟ هل اغضبته ؟! " اتسعت ابتسامته وهو يسبل اهدابه قائلا " اعتقد انه غاضب مني او لنقل مغتاظ..."

ابتسمت سجى بشقاوة لتقول ممازحة " عمك آسر هذا رجل مميز ... ينضح جاذبية .. التقيت به عدة

مرات مع والدي في مؤتمرات رجال الاعمال في امريكا ..."

ضحك مهدي بخفة ليقول بجدية مصطنعة " احذري سجى ... فزوجته لاتقل شراسة عن ابنته ..."

رفعت سجى حاجبيها عاليا وقالت وهي ترفع كفيها باستسلام " حسنا ... حسنا ... يكفيني عداوة الابنة ..." صمتت للحظة لتسأله بفضول " لكن هل ستخبره عبر الهاتف ؟ "

رد بنظرات شاردة " لا ... اردت فقط ان اتأكد من تواجده في مكتبه وان لديه الوقت للتحدث معي .."

ابتسمت سجى لتقول بحماسة " هذا ممتاز .. هذا ما يفترض ان يحدث منذ فترة .. لقد سبق واخبرت والديك ايضا ... اليس كذلك ؟ "

هزّ راسه موافقا وهو يقول " نعم مؤكد ... اخبرتهما ليلة الامس وقد بديا سعيدين جدا بقراري حتى ان والدي قال ان سيكلم عمي مباشرة لكني طلبت منه ان يمنحني الفرصة لاطلبها بنفسي .."

ضيّقت سجى عينيها وهي تنظر لمهدي بتركيز ثم قالت بدهشة واضحة " اذن ... لماذا تبدو بهذه الحالة البائسة ؟!!"

تنهد مهدي وهو يقف على قدميه ليتحرك نحو النافذة التي تقع خلف مكتبه ... اخذ يتطلع منها بشرود حزين وهو يقول " هل تعلمين يا سجى .. انت الشخص الوحيد الذي استطعت ان افضي له بمكنونات صدري ... انا ممتن لك فعلا فقد تعبت من حمل هذا العبأ بمفردي ..."

التفت اليها وهي تجلس على الكرسي امام مكتبه ليقول بهدوء " حالتي هذه والتي تصفينها بالبؤس لاني لااعرف ان كانت تحبني يا سجى .. انت لاتعرفينها ... انها صغيرة محتالة وتتلاعب بمن حولها بمهارة وذكاء حاد .."

اتسعت عينا سجى قليلا لتسأل باستهجان " هل تعتقد غيرتها الواضحة نحوك نوعا من التمثيل ؟! لااصدق هذا .."

قال ببساطة " ليس تمثيلا بالضبط ولكنها متملكة بطبعها وقوية جدا وجريئة جدا .. جدا ... لقد سبق وقالت لي انها تحب ان تكون المفضلة لدي وانها ستغار ممن سترق قلبي .."

امالت سجى راسها لتقول باستدراك " وهي تعتقد اني سرقت قلبك ...اليس كذلك ؟! " رد متنهدا " اجل ... هي كانت تعتقد هذا حتى يوم الحفل ..
ولااعرف حقا كيف تفكر الان ! انها فتاة غير عادية لاتكهن بردات فعلها ببساطة ! .."

قالت سجى بامتعاض واضح " لاافهم لمَ افتعلت خدعة ارتباطنا المزعوم من الاساس ؟ لمَ لم تواجهها بدلا من ذلك ؟! " قبل ان يرد عليها اضافت " قد تكون اسبابها صادقة يا مهدي .. اقصد ما فعلته مع قريبكم ..."

تشنجت عضلة في وجهه ليقول من بين اسنانه " رياض ليس قريبنا !"

ثم تقبضت يده وهو يضيف بصوت حانق غاضب " حتى لو كانت تريد ابعاده عن حوراء يبقى تصرفا مشينا سخيفا وغير لائق بفتاة محترمة ..."

قالت سجى بعدم رضا " كان يفترض ان تسألها مباشرة ومنذ البداية عن سبب ذهابها لرياض هذا بل كان يجب ان تحاسبها ايضا "

عاد لينظر عبر النافذة وهو يقول بصوت اجش " فضلت تأديبها بطريقتي .. وبصراحة .." توقف قليلا ليكمل " لم استطع مواجهتها وانا اشعر بكل هذه الغيرة الجنونية .. وانظري ماذا حصل عندما افلت الامر مني وواجهتها ..."

ابتسمت سجى لتقول بمشاكسة " لااصدق انك قادر على اتباع اسلوب قاس مع اي شخص لكنك اذهلتني وانت تتصرف هكذا مع من تحب ! حقا انكم غريبوا الاطوار يا آل الغازي "

لم يرد بشيء وهو غارق في افكاره ... اما سجى فلم تستطع منع نفسها من البوح بافكارها الخاصة ... فقالت وهي تتنحنح "... مهدي ... ماذا فعلت بالضبط في حفل عقد قران ابن عمك ؟ لماذا اشعر انك لم تخبرني بكل شيء ؟! "

ايضا لم يلتفت لكنها شعرت بانفاسه تتغير .. لاتعلم لمَ انتابتها موجة اخرى من المشاكسة لتلح قائلة " قرارك بالتقدم لخطبتها نابع من احساس بالذنب اقرؤه في عينيك .. لاتنسى اننا كنا صديقين مقربين في الجامعة وانا اعرفك جيدا .."

رد بهدوء مغيظ " لم يحدث اكثر مما قلت لك يا سجى ... " قالت باصرا ر " لكنك غيرت رأيك على غفلة ! فجأة اصبحت متعجلا للخطبة بعد كل خطواتك البطيئة المتأنية التي تثير الغيظ ... "

ابتسم وهو يلتفت نحوها قائلا " ربما هو الاحساس بالذنب لاني قسوت عليها هو ما يجعلني اتعجل لكن الشيء المؤكد اني لن استطيع المجازفة بأن اصبر عليها اكثر من ذلك لتتوجه بمشاعرها لغيري في النهاية !..."

نظرت اليه بحنق طفولي لتقول مغتاظة " لاتراوغ يا ابن الغازي وتلبس قناع الغموض هذا ..." ضحك وهو يسبل اهدابه فقالت برقة متعمدة " ألن تخبرني؟!"

تكتف وهو ينظر اليها بملامح لاتقرأ فقالت محبطة " حسنا ... ألن تخبرها بنفسك ؟ اقصد برغبتك في الزواج منها .."

رد بنفس الملامح " ساكلمها فيما بعد ... الان علي التحدث مع عمي آسر قبلها .."

فجأة التمعت عينا سجى وهي تقول " آآآ مهدي .. هنالك امر كنت قد نسيته تماما والبارحة فقط تذكرته .. في امريكا التقيت بفتاة جميلة شقراء لكنها غريبة الاطوار ... التقينا في احدى المناسبات الاجتماعية التي تقام للجالية هناك ! تدعى سالي او ما شابه ... يبدو ان والدها يعاني من ازمات مالية هنا وهو فضل السفر حتى يحل مشاكله من خارج البلد دون التعرض للمسآءلة القانونية او ما شابه ..."

ادركت انها استرسلت قليلا فاضافت " عموما ما اردت اخبارك به انها لم تكف عن التباهي بخطيبها ... وسيفاجئك انها ذكرت اسم ابن عمك ... ظافر الغازي ..." اتسعت عينا مهدي وهو يهتف قائلا " ماذا ؟!! " ردت سجى وقد شعرت غبائها لانها لم تذكر الاسم سابقا " اسفة ... انا حقا لم اربط الاسم مع ابن عمك الا البارحة .. كنت قد نسيتها اصلا واتصور انها كانت تتبجح فقط .. "

ملامح مهدي اقلقتها ليقول بعدها بتشكك " ربما تتكلم عن شخص اخر ... لم يتكلم ظافر يوما عن اي فتاة باهمية خاصة .. دوما كان لايهتم بشكل خاص الا بحوراء ..."

ردت سجى بارتباك " لااعلم... ولكن لااظن انها تقصد رجلا آخر !.. وبوقتها لم استرسل معها بالكلام لانها كانت شخصية مزعجة ومغرورة .."

علا رنين هاتفه فرفعه مهدي ليستقبل مكالمة عمه آسر قائلا " مرحبا عمي ... " رد آسر بلهجة غامضة مستفزة " اهلا يا ابن اخي .." قال مهدي بهدوء " هناك امرا اريد ان اكلمك بشأنه ...اليوم لو سمحت ... " كان آسر يبتسم في الجهة الاخرى بينما جاءه صوت ابن اخيه مضيفا بلهجة اثارت فضوله " في الحقيقة انهما امران ! "

لم يستطع مهدي التكهن بما يجول في راس عمه بعد ان اخبره بموضوع سالي هذا ... لقد فضل ان يخبره اولا عنها لانه شعر بالقلق ... ارتباط ظافر وحوراء ما زال يحتاج للتقوية وبناء دعائم تحميه ولو ظهرت فتاة اخرى في الصورة سيكون الامر مريعا لحوراء ...

قال آسر وهو يسبل اهدابه " اولا لاتخبر احدا بالموضوع اطلاقا ... حتى ظافر لاتخبره انا ساكلمه بنفسي لاستقصي الامر ... ثانيا اريد منك معرفة اسم والد سالي بالكامل واي معلومات تعرفها صاحبتك سجى عنه .."

احمر مهدي قليلا وهو يقول " سجى ليست صاحبتي باللهجة التي تعنيها عمي .." ابتسم آسر وهو يرفع حاجبا مستفزا ويقول " حقا ؟! اذن ما موقع الجميلة التي ترافقك هذه الايام ؟ "

رد مهدي وهو ينظر لعيني عمه الماكرتين " عمي ... انا اريد سلسبيل زوجة لي ..."

اتسعت ابتسامة آسر بينما يسبل اهدابه ملتزما صمتا مستفزا لاعصاب الشاب المتحرق للاجابة امامه ...

بيت آسر الغازي

اوشكت نادية ان تشد بشعرها وهي تتطلع لوجه سلسبيل الهادئ المستفز بينما والدها يخبرها عن مهدي .. كانت تبدو شبيهة بوالدها حقا والى درجة تثير الغيظ ...

اما ظافر فكان يكتفي بابتسامة مشاكسة وهو يقف في اقصى غرفة الجلوس التي جمعتهم ليخبرهم آسر بطلب مهدي الزواج من سلسبيل ..

قالت سلسبيل اخيرا وهي ترفع ذقنها بكبرياء " عليه اولا ان يكلمني وساخبره برأيي .."

انفجر ظافر ضاحكا لتحدجه نادية بنظرة معنفة فارسل اليها قبلة هوائية معتذرة ..

عادت نادية بتركيزها الى زوجها وابنتها اللذين ما زالا يقفان بوجه بعض ... هو يدرس ملامحها بذكائه الحاد وهي تلتزم بقناعها الهادئ كطفلة مطيعة ! ابتسم آسر ليقول لابنته بعينين تلتمعان ذكاءا " حسنا يا محتالة ... اليك ما طلبت ... ساتصل به ليحظر اليوم ويفطر معنا ..."

التفت آسر نحو ولده قائلا بهدوء غامض " تعال معي لغرفة المكتب هناك امر يجب ان نتحدث به على انفراد .." قال ظافر وهو ينظر لساعة يده " لم يبقَ شيء على وقت الافطار وعلي الذهاب لبيت عمتي .."

رد آسر وهو يتحرك نحو باب غرفة الجلوس " مولاتك لن تمانع قليلا من التأخير ... تعال معي .."

لحق ظافر بابيه وقد بدى ممتعضا بينما بدت نادية اكثر امتعاضا وهي تنظر لبرود سلسبيل وقد ذهبت لتجلس على احدى الارائك بلا اكتراث لتمسك باحدى المجلات وتقرأ فيها بانهماك !!

اقتربت نادية لتأخذ المجلة من يد ابنتها ثم رمتها بعيدا وجلست بجانب ابنتها على نفس الاريكة ... قالت سلسبيل ببراءة مزعجة " لماذا اخذت المجلة امي ؟!! كنت اقرأ فيها موضوعا مهما عن الخيول !"

قالت نادية بهدوء " صارحيني يا صغيرة ... هل تحبين ابن عمك مهدي ؟" ارتعشت شفتها للحظة قبل ان ترسم ابتسامة وتقول ببشاشة " من لايحب مهدي .. انه وسيم ال الغازي .. " امعنت نادية النظر في ابنتها لتعيد السؤال بحزم اكبر هذه المرة " هل تحبين مهدي يا سلسبيل ؟" هذه المرة غامت عينا سلسبيل لتهمس شفتاها بصدق مس قلب نادية " نعم ..."

ضرب ظافر كفّا بكف وهو يقول " انا لااصدق ما تقول !! انها مجنونة .. ظننت انني تخلصت منها اخيرا عندما اختفت ! " رفع آسر ذقنه قليلا بينما اضاف ظافر " اذن مشاكل والدها المادية وسفرها لامريكا هو ما ابعد هوسها عني ..." اخذ ظافر يذرع غرفة المكتب وهو يردد بغضب " تلك التافهة المدعية .. تلتصق بي كالغراء .."

قال آسر اخيرا " الموضوع قد يكون تافها وقد يكون خطيرا بنيّ .. لذلك وجب الحذر من اصناف كهذه .."

توقف ظافر ليقول لابيه بقوة " ماذا تقصد بخطير ؟ فلتقل ما تريده وتجعل من نفسها اضحوكة .."

رد آسر بهدوء " هل فكرت كيف ستشعر حوراء لو وصلها الخبر ؟! "

ابتلع ظافر ريقه وقد تسلل اليه خوف مقيت ليقول " حوراء تعرف انه كان لي صديقات وقد سامحتني لهذا .."

قال آسر وهو يقرأ علامات القلق على ملامح ابنه " حوراء كانت تسمع من بعيد عن علاقاتك فماذا سيحصل ان واجهت احدى هذه العلاقات وجها لوجه ؟ على ارض الواقع وربما ستتكفل سالي هذه باخبارها بنفسها ..."

هدر صوت ظافر قائلا بتوعد " اقسم ساقتل سالي ان اقتربت من حوراء .."

حذره آسر قائلا بتركيز " التزم الهدوء ظافر ... دوما كانت حوراء تخرج اسوأ وافضل ما فيك ! انها تستطيع ان تظهر حقيقتك الخام الصرفة بمساوئها ومحاسنها ... فكن حذرا بنيّ لانها فتاة بريئة فمهما بلغت قوتها تبقى مثاليتها سلاحا مشهر في وجهك .. قد تنهار في لحظة اذا اختارت هذه ال(سالي)
الاقتراب منها والتبجح بعلاقتها بك او حتى الاسوأ ..."

تحشرج صوت ظافر وهو يسأل " ماذا تقصد بالاسوأ ابي ؟!" رد آسر وهو يسبل اهدابه بينما اصابعه تطرق على سطح مكتبه " الفطن من يضع كل الاحتمالات نصب عينيه .. ليأخذ احتياطه من اسوأها .. " ..

ثم رفع نظراته نحو ولده ليضيف " انا سأعمل ان اخذ كل الاحتياطات.." وضع ظافر كلتي يديه في جيبي بنطاله ليقول بغموض " لاتقلق ابي .. انا ايضا لدي احتياطاتي ..." ثم همس " الا حوراء ... الا حوراء ..."

بعد الافطار ...

سأل مهدي وهو يواجه سلسبيل بمفردهما في غرفة الضيوف " هل اخبرك عمي ؟"

ردت بلهجة مسترخية " نعم .." مضت لحظات ينظر اليها يستكشف ما تخبؤه خلف وجهها الذي يحمل تعابير الشموخ ....

قال اخيرا " قبل ان نتحدث بشيء هناك امر يجب ان نضع النقاط على الحروف فيه .." سألت وهي تتكتف بسلاسة " ما هو ؟"

سأل بشكل مباشر " ماذا يمثل رياض لك ؟" ردت بابتسامة صغيرة " شخص اراد سرقة حوراء من ظافر .."

جوابها لم يجعله يسترخي فسألها ببعض الحدة " هل حاولت مشاغلته عمدا ؟" امالت رأسها جانبا وهي تتطلع لعينيه بتعبير هادئ مغيظ ...

قال وهو يكز على اسنانه " ساعتبر صمتك هذا نعم ..." ثم اسبل اهدابه ليضيف " لكني احذرك سلسبيل .. جموحك هذا وجرأتك يجب ان تضعي لهما حدودا وقيودا .. "

قالت بتحدٍ سافر وهي ترفع حاجبا واحدا " هل تريد ان تكبح جماحي يا ابن العم ؟ هل هذا سبب رغبتك المفاجئة للزواج مني ؟"

رفع اهدابه لتتسع عيناه بتعبير عاطفي ثم قال بصوت اجش " انت تعرفين لماذا اريد الزواج منك .."

رغم محاولتها التمسك بقناع الهدوء الساخر الا ان الحدة شابت كلماتها وهي تقول " آآآآآ تذكرت ... لانك قبلتني ... اليس كذلك ؟"

احتدت نظراته لكنها لم تبالي لتضيف بسخرية واضحة " مهدي الغازي الرزين المتحفظ يقبل ابنة عمه الصغيرة تحت جنح الظلام .." نهرها قائلا " سلسبيل ..توقفي ..."

لكنها لم ترتدع لتكمل بنفس السخرية اللاذعة " ام ربما لتحميني من رياض مثلا ؟!" ثم ضحكت باستفزاز لتقول بلهجة نارية " كبح جماحي يتطلب الكثير ... كما انك في النهاية لن تجدني نفس ال (سلسبيل) التي تعرفها .."

المفاجأة تمكنت منها رغما عنها عندما رأته يبتسم ليقول بصوت مبحوح " اذا اصبحت زوجتي فاجمحي كما تشائين معي فقط ... افعلي كل ما يخطر ببالك ..." لترتعش هذه الابتسامة وهو يكمل " لكن ... اياك .. اياك واياك ... ان تستخدمي هذا الجانب منك مع .. شخص آخر .."

كانت تحدجه بنظراته المشتعلة بينما هو يكمل بتأنيب واضح " ما فعلته مع رياض لم استطع تقبله لحد الان ... لم يكن لديك الحق لتفعليه .. "

عاد الهدوء لنظراته شيئا فشيئا ليسألها ببساطة " الان .. ما ردك ؟"

نظرت اليه ... تحقد عليه و.. تعشقه في نفس الوقت ... مهدي ... فارسها الذي حلمت به طوال حياتها ... خطف قلبها واستولى عليه الى غير رجعة ...

يؤلمها انه يأتي اليها بعد اربعة ايام كاملة ليطلبها للزواج ... اربعة ايام ارهقها الانتظار الذي كرهته ...

منذ ان قبلها تلك الليلة وهي تنتظر ان يصارحها بحبه .. لكن .. ها هو أتى ليملي عليها تصرفاتها ويحاسبها ... اطبقت فكيها لتتوعده في سرها قائلة " حسنا يا ابن عمي ... لن اغفر لك اذلالي وانا انتظرك ... حتى وان كان امام نفسي فقط ... ساجعلك تتلظى وانت تطلب كلمة حب مني ..."

ابتسمت ابتسامة طفولية برعت في رسمها على شفتيها لتقول " ساحتاج لوقت حتى افكر واقرر يا وسيم .." ابتسم بمشاكسة وهو يسأل" هل ستأخذين اسبوعا كحوراء ؟"

ردت وابتسامتها تتسع ببراءة مصطنعة " لااا ... حوراء اذكى منك بكثير ... انا ساحتاج لوقت اطول ..." تطلع اليها ليقول بمزاح ظاهري " اسبوعين مثلا ؟" تنهدت بشكل مسرحي وهي تقول " لا ... اكثر .. اكثر ..." عبس قليلا لتكمل وهي تهز كتفيها " لنقل ان ردي قد يجهز بعد العيد ....بيومين ... !"

بعد اسابيع ..

نظرت اليه عبر شباك غرفة الجلوس العائلية المطل على الحديقة يلاعب الغلامين برشاش الماء وقد اصابتهم جميعا هستيرية الضحك ... الثلاثة لم يكونوا يرتدون الا بناطيل الجينز ...!

لم تقاوم النظر لعضلات صدره البارزة وقد القت عليها الشمس الغاربة بسحرها لتلتمع قطرات الماء على بشرته .. وجهها محمر وتوشك على غض بصرها والتراجع لكن صوتا لجوجا ملحا يعنفها قائلا " انه زوجك يا غبية ولك الحق بالنظر اليه كيفما تشائين .." همست لنفسها باحباط " ها قد اصبحت تتكلمين مثله ! "

اجفلت بقوة عندما سمعت صوت نداء امها من المطبخ وهي تقول " حوراء ... نادي اخويك ليبدلا ملابسهما قبل الافطار .. وخذي منشفة لظافر .."

تنهدت وهي ترد " حسنا امي .."

بعد دقائق كانت تحمل المنشفة على ذراعها بينما تتمسك بواجهة مسيطرة على ذاتها ...

كان هو اول من تنبه لقدومها فالتمعت عيناه في شقاوة زادتها ابتسامته الواسعة ... ليرفع خرطوم الماء ويفاجأها برشها بالماء ايضا ! تعالى صخب الغلامين بينما حوراء تحاول الاحتماء بالمنشفة وهي تصرخ به " ظافر ! توقف ... اقسم لن اكلمك ..." احاطها الغلامان وهما يهتفان بحماسة " سنحميك .."

تعالت ضحكات ظافر عندما اخفض خرطوم الماء اخيرا ليهدأ صخب الغلامين قليلا وهما يرميان بجسديهما على ارضية الحديقة ويغرقان بالضحك بينما حوراء رمت المنشفة المبللة ارضا وتخصرت في غضب وهي تنظر لظافر وتقول " انظر ماذا فعلت ؟! لولا المنشفة التي احضرتها لك اصلا ولولا وجود الغلامين لكنت تبللت بالكامل .."

لم يرد ظافر بشيء بينما عيناه تنسابان على جسدها وابتسامة شغوفة تعلو ثغره ... كزّت حوراء على اسنانها وهي تنفض جلبابها البيتي قليلا وترتب حجابها وهي تأمر محمد ومحمود قائلة بحنق " اذهبا وغيرا ملابسكما حالا .." تماهل الغلامان قليلا قبل ان يقف محمد ليساعد اخيه في النهوض ثم غمزا لظافر باستمتاع وركضا سوية للداخل ...

استدارت حوراء مهملة ظافر الذي كان يرتدي قميصه وعيناه تلاحقانها .. تحركت خطوتين فقط عندما سحبتها يده من ذراعها وهو يقول بصوت مبحوح " تعالي .. لاتذهبي .. ليس الان "

يده الاخرى امسكت ذراعها الآخر وهي تقاومه بقوة وتقول " اتركني ظافر .. اتركني لاذهب واغير ملابسي .." كان يضحك بخفوت وهي تجاهد لتخليص ذراعيها منه لكن وجهها فضح تأثرها به وعيناها تهربان من النظر لصدره المكشوف وقد اهمل تزرير قميصه .. همس بحرارة " قاوميني ! اجل هكذا .. مقاومتك مواساة لي لانها تعني اني لااعاني بمفردي !! "

صوتها تخلله التوسل وهي تقول بضعف " كفى ظافر .. اتركني .."

ترك ذراعيها فعلا لا لشيء الا ليأسر رأسها من الجانبين بين كفيه دون ان يلمس وجهها ... استكانت للحظة وعيناها تنظران اليه بصدمة فهمس بعذاب وهي يرسم ملامح وجهها بعينيه " يالِ هذا الوجه .."

كم مر على رمضان ؟ ثلاثة اسابيع ؟ اجل ... منذ اول يوم فيه عندما احتضنها لم يعاود لمسها هكذا ... يعذبها بنظراته التي لا تحدها حدود.. يقترب منها فتلامسها انفاسه فقط ليتراجع في اخر لحظة بعد ان يبذر بذور الشوق فيها .. كلما حضر لبيتهم يلازم الغلامين اكثر من ملازمتها لكنه يجد طريقة لسحبها اليه وضمها لمجموعتهم ... يضحكها ويضاحكها ... يستفزها ويصالحها ... يحاورها ويتباعد في اللحظة التي تليها ليلتزم الصمت ويكتفي بمحاورة تبثها عيناه ... محاورة تجعلها تتعثر في خطواتها امامه !

همسته ارعشتها ليخرجها من خرسها هذا " هل تذكرين عندما كنت في السابعة ووقعت على وجهك في الطين .. كنا في اولى ايام العيد ؟" ردت كاذبة وهي تأبى مواجهته " لا .. لا اذكر .."

عاتبها برقة " حقا ؟! لاتذكرين ؟" تنهد وهو يقول بنعومة فائقة " انا عن نفسي لم انسَ.. اذكر جيدا اني كنت مفتونا تماما بوجهك وانا امسح عنه الطين ، لم ابالِ باستخدام كم قميصي الجديد لانظفه ما ان رأيتك تبكين مرتعبة من عقاب عمتي نجلاء ..."

احد ابهاميه تحرك ليلامس جانب خدها فهمست بضعف " ظافر .." قال بصوت مبحوح يكمل قصته " ما ان انتهيت حتى قبّلتني ... هنا على خدي الايمن وقلت (شكرا ظافر) .. الا تتذكرين ؟!! " كان قد ادار وجهه قليلا ليقول المزيد بنفس النبرة المعذبة لحواسها " قبلة لم اطلبها ولكن روحي كانت تهفو لاحصل عليها طواعية .. كنت استطيع الحصول عليها بالخدعة لكنني لم استطع فعل ذلك معك ! لاتعرفين كيف يمكن لطفل في عمر العاشرة ان يخفق قلبه كطائر مغرد .."

غامت عيناه وابهامه الآخر لحق بنظيره ليلامس وجنتها الاخرى ... همس " فاتنة منذ صغرك يا ابنة عمتي .. وفتنتك هذه كلفتني عقاب من امي لاني لوثت قميص العيد بالوحل .."

مال بوجهه قليلا نحوها فهمست ببعض الصلابة " اياك ان تفعلها ظافر .. لقد اتفقنا .." تجمد قليلا ليبتسم بغموض فقال بسخرية " لست يائسا لهذه الدرجة !! خصوصا مع هذا الحجاب الذي يفصلنا "

ابعد يديه عنها وهبط ذراعاه الى جانبيه وهو يقول بهدوء " اذهبي وبدلي ثيابك فقد اصابها البلل وانت تمرضين سريعا .." تراجعت وهي تتنفس الصعداء رغم ان قلبها يتوجع هجران الحبيب .. قالت وهي تحاول التماسك " الفطور بعد ساعة تقريبا ... ستفطر معنا اليس كذلك ؟ .."

نظر اليها للحظة قبل ان يقول بصوت اجش " امرك مولاتي .. الفطور عندك ... كل اوامرك مطاعة ... " التمعت عيناه وهو يردد " كل الاوامر ... لاخلع للحجاب .. لا قبلات .. لا احضان .. "

ابعدت عينيها عنه واستدارت بخطى متلهفة للهروب منه ... لا ... ليس منه ... ولكن من تأثيره المتزايد عليها ... يداعب انوثتها بمغازلاته التي لايتوقف عنها ويلامس روحها بنظراته المتملكة لها ويتحدى فكرها

في اي موضوع يناقشها فيه ... تشعر بالحيوية قربه .. تشعر انها حوراء بطريقة مختلفة عمّا تعودته طيلة حياتها ....

عند منتصف الليل رن هاتفها بينما كانت تقرأ القرآن .... فتحت الخط وهي تقرأ اسمه ... وقبل ان تقول شيئا عاجلها بانفاس خشنة " لقد كذبت .." سألت بحيرة وتوجس " كذبت ؟!!" قال بصوت مبحوح " انا يائس حتى الموت لاحصل على قبلة من شفتيك ! " ودون ان ينتظر ردها اغلق الخط !

هتف محمود بحنق وهو يرمي بطاقات اللعبة ارضا " هذا ليس عدلا .." ثم رفع سبابته نحو ظافر قائلا بنفس الحنق " انك تغش مع حوراء .. الغش في رمضان حرام ..."

ضحك محمد وظافر من قلبيهما بينما عنفته حوراء قائلة " انا لاغش يا ولد فتأدب .. والغش حرام في رمضان وغير رمضان ... ثم انها مجرد لعبة فلا تجعل الامر جديا .."

نكس محمود راسه قليلا وهو يقول " اسف اختي ولكني لم اقصد انك تغشين بل هو من يفعل ذلك بالتغاضي عن اخذ المال منك عند وقوفك على املاكه او حتى يلهينا انا ومحمد عندما تقفين على املاكنا ... بينما لايتورع عن اخبارك عند وقوفنا على املاكك عندما يراك غير متنبهة ... انا اشك انه حتى يعطيك

دون ان تعلمي من مال المصرف الذي يصر على التحكم وحده فيه .."

نظرت حوراء لظافر بتأنيب فقابلها بنظرة ملتمعة شقيّة والابتسامة المدغدغة لمشاعرها تعلو ثغره اما محمود فقد عقد حاجبيه وهو ينظر للّوح المربع الذي يمثل لعبة المونوبولي ليضيف بنزق شديد " انه حتى يبيع لك املاكه احيانا بنصف الثمن .."

وضعت حوراء يدها على فمها تكتم ضحكتها بينما حاولت امتصاص نقمة محمود قائلة " عزيزي لاتتضايق ... سابيع لك ما تريد من املاكي و بنصف الثمن ايضا .." فهتف هذه المرة محمد ليعترض قائلا " وماذا عني انا ؟!! انا ايضا اريد ان اشتري منك بنصف الثمن ..."

ضحك ظافر باعلى صوته وهو يغمز لها قائلا " كيف ستحلينها ؟!! سنظل بهذه الحلقة المفرغة ولن تنتهي اللعبة ابدا اذا استمرينا بمراعاة بعضنا البعض هكذا !" حدجته قائلة بتأنيب ناعم " انت السبب ... تجعلني افرح بما اكسب وانسى العدل ..."

لم يرد عليها وهو يتطلع اليها باستمتاع لايوصف.. كان وجهها متألقا سعادة وقلبه يرفرف لسعادتها الطفولية هذه ...

اصوات قادمة من خارج غرفة الجلوس جذبت اهتمامهم ... اختلط صوت بلال المرحب بصوت رجولي آخر .. تشنجت حوراء وهي تتطلع لعيني ظافر بتوجس حذر بينما هتف التوأمين ببشاشة " لقد اتى رياض .." ثم هبّا على اقدامهما ليركضا خارجا ويرحبا بابن عمتهما الذي طال غيابه عن البيت ...

كسا الجمود وجه ظافر وهو يسبل اهدابه بينما اخذت يداه تجمعان بطاقات اللعب وكل ما يخص اللعبة ليضعها في صندوقها المخصص لها ...

كانت حوراء ما تزال على جلستها بجانبه على الارض تراقب ما يفعل وهي تدرك انه يحاول السيطرة على ردة فعله لتواجد رياض ...

همست برقة " لم اكن اعرف انه قادم .." رد دون ان ينظر اليها " اعلم هذا ولكنه لايساعدني في شيء .."

رفع عينيه نحوها ليقول بنظرات متوحشة " عدم معرفتك لاينفي وجوده هنا الان .. لاينفي اني اريد تحطيم اسنانه ... لاينفي اني اريد اخفاءك عن ناظريه اللذين تطاولا يوما لينظر اليك كزوجة محتملة ... "

تجرأت ومدت يدها لتلامس ظاهر يده فتقول بنعومة أسرته " ولاينفي اني اخترتك انت .. " تألقت عيناه ليسألها بصوت مبحوح " هل خذلتك ابدا ؟! هل جعلتك للحظة تندمين على اختيارك ؟ " هزّت راسها نفيا وهي تقول " مطلقا ... يكفيني فرحا عندما اراك تصلي مع ابي لاشعر وادرك ان قلبي لم يخطأ .. وان القادم افضل بأذن الله .."

ترك ما كان يفعل ليميل نحوها بانفاس متهدجة " اذن متى سترضين عني ..؟؟ متى ستسمحين لي بأن .." قاطعه صوت بلال وهو ينادي " حوراء ... ظافر ... تعالا لتسلما على رياض ..."

شخر ظافر بينما وقفت حوراء على قدميها وهي تقول ببشاشة " تعال معي .. ام انك تريدني ان اذهب لاسلم عليه بمفردي ؟!"

هب على قدميه ليقف بجانبها ويمسك بذراعه ويهمس قرب اذنها " من اجلك مولاتي افعل اي شيء .. مهما كان ..."

مر من امامها وهو يلقي تحية عابرة لترد عليه بتحية متصنعة بشوشة فيدّعي عدم الاكتراث ويكمل طريقه نحو المصعد دون ان يلقي اليها نظرة بينما هو بكليته يتوق لكل شيء فيها بشكل غريب ...

رن هاتفه من ان خرج من المصعد ... اسم يسرا جعله يتأفف ... انها المرة الرابعة التي تتصل به اليوم وهو غير قادر على الرد عليها ... شعور خانق يسيطر عليه كلما لمح اسمها ... تنهد ماهر وهو يسير نحو مكتب ابيه فيزداد شعوره بالاختناق ... بحث بعينيه عن ريمة فلم يجدها ..

شعوره بالاختناق تضاعف ليتسلل اليه شعور اكثر سيطرة ووضوحا ... انه الشعور بالغضب ...

سحق اسنانه وهو يفتح باب مكتب ابيه دون ان يطرقه ليجدها هناك ... شعر ان هناك امرا ما وهو ينظر لوقفة ابيه الهادئة بينما اتسمت وقفة ريمة بالصمود والكبرياء ..

تأهبت حواسه وهو يرسم ابتسامة ويقول " اسف لم اطرق الباب .." نظر اليه والده ليقول محذرا " المرة القادمة ساطردك حتى تتعلم التصرف الصحيح .."

ابتسامة ماهر ظلت صامدة بينما نظراته تتجه نحو ريمة ليقول " كيف حالك سيدة ريمة .." التفتت اليه ببطئ لتقول بجمود سكن محياها الشاحب " انا بخير .. شكرا لك .."

قال دون ان يرحم بؤسها الظاهر " تبدين مرهقة ! ربما العمل مع والدي لم يعد يناسبك .."

كان يعلم انه يرتكب حماقة لكن فاض الكيل ولم يعد يحتمل كل الضغوط التي يمارسها على نفسه ... لم يعد يحتمل ما يفعله مع يسرا بسبب هذه المرأة التي تريد سرقة والده ... لم يعد يحتمل احساسه انه مسجون في دائرة مغلقة قوامها ريمة هذه ... صوت صغير في عقله يسخر منه قائلا " اعترف ان الضيق ينتابك لان واسعة العينين لاتوليك ادنى اهتمام وتتجاهلك كليا بينما انت تدعي التجاهل وفي داخلك تحترق لنيل اهتمامها الانثوي ..

تنبه على صوت والده الحانق وهو يقول " منذ متى تبدي رايك بفريق العمل الذي يخصني ؟!! لقد حذرتك مرارا من تجاوز الحدود .."

فاجأته ريمة وهي ترد بارهاق " لابأس سيد شاهر .. ربما ماهر على حق .. انا قلت لك لاداعي لمنصب جديد .. انا حقا ارغب بالاستقالة كما سبق واخبرتك .."

قال شاهر بحزم " استقالتك مرفوضة ريمة ... انت عقلية خسارة ان تفقدها الشركة واعتقد ان رغبتي في جعلك مديرة للتسويق في فرع شركتنا الثاني افضل من قرارك المفاجئ للاستقالة .. منذ فترة وانا ارتب لهذا الموضوع .."

ردد ماهر " مديرة قسم التسويق ؟؟" لكن شاهر لم يلتفت لابنه وخص ريمة باهتمامه وهو يقول لها " هذا قرار لارجعة فيه ... فارجو ان تثبتي لي انك قوية كما عهدتك دوما .."

رفعت ريمة عينيها لشاهر وقد الجمتها جملته الاخيرة ! تطلعت لعينيه اللتين عشقتهما ككل شيء فيه فلم تجد فيهما ما طمحت للوصول اليه يوما ... لم تجد عشقا .. ولا حبا .. لم تجد الا احتراما ومؤازرة .... خنقتها العبرة وكأنها تغلق هذا الباب اخيرا ... باب العشق الذي انفتح رغما عنها .. ربما هي اخطأت لانها لم تقاومه .. لكنها على الاقل تذوقت هذا الشعور الذي لم تعرفه يوما ...

اطرقت وهي تدمدم " شكرا سيد شاهر .. ارجو ان اكون عند حسن ظنك دوما .." ...

وبينما شاهر يشد ازرها ببضع كلمات اخرى كان ماهر يراقب والشكوك نحو نواياها ما زالت تتلاعب به ..

صباح العيد

كانت تساعد في تحضير مائدة الافطار الكبيرة قرب حوض السباحة في بيت خالها آسر .. لقد تقرر ان يكون اول افطار بعد رمضان هنا .. سعادتها جعلتها تدندن باغنية ما .. كيف لاتكون سعيدة وقد شاركهم ظافر صلاة العيد .. منذ سنوات بعيدة لم يفعلها ... اتسعت ابتسامتها وهي تهمس لنفسها بفرح غامر " لقد اتم رمضان ..." امتلأت فخرا به ثم احمرت قليلا وهي تذكر قبلته فوق حجابها امام الجميع وهو يعايدها بعد الصلاة ويلبسها سلسلة ذهبية تعلقت بها سبيكة نقش عليها اول حرفين من اسميهما ...

استدارت لتجد سر سعادتها يقف على الجانب الآخر من حوض السباحة ... يرتدي بنطالا جينز وقميصا اسودا وقد بدى شعره مشعثا قليلا ...

ابتسمت له بينما يتقدم نحوها وقد بان النعاس على ملامحه .. رفعت حاجبيها قليلا وهي تكتشف انه يسير حافي القدمين .. قالت برقة " لايفترض ان تمشي حافي القدمين هكذا فقد تتزحلق هنا .."

لم يبالِ بكلامها فقط وصل اليها ليقول بابتسامة عريضة " بما اننا نختبر بعضنا كزوجين ما رأيك باختبار الزوجة ؟"

ابتلعت ريقها وهي تنظر بتوجس لعبث نظراته ... ضحك بخفوت وهو يقول " لا .. ليس هذا النوع من الاختبارات .." ثم غامت عيناه وهو يضيف " فما زلت بانتظار الرضا ..."

احمرت قليلا وهي تبتعد بنظراتها عنه ...

همس " هذا هو الاختبار ... انظري ..." التفتت اليه فوجدته يحمل ابرة وخيطا ! قالت له بدهشة " ما هذا ؟"

رد وهو يرفع بيده الاخرى زرا صغيرا اسودا " اريدك ان تخيطي زر قميصي المقطوع .. اليس هذا اختبارا سهلا للزوجة ؟ "

ردت وهي ترفع ذقنها باعتداد مرح " انه الاسهل .." ابتسمت وهي تقول " ولكن اين القميص ؟ "

قال وهو يرفع احد حاجبيه باستفزاز مغيظ " انه الذي ارتديه الان يا مولاتي .."

تراجعت ابتسامتها وسقطت عيناها على قميصه لتكتشف فعلا ان الزر الوسطي غير موجود ..

رفعت عينيها اليه لتقول بتأنيب " هل سنعود للتلاعب ؟" قال ببراءة وهو يقترب منها اكثر فيقف بجسدها الضخم امامها مباشرة " انا لااتلاعب ... اعدك اني ساضع يديّ خلف ظهري ولن تمساك ابدا ... اقسم لك انهما لن تفعلا .."

تنهدت وهي تمد يدها نحوه قائلة " حسنا .. اعطني الابرة والزر .." اعطاها ما ارادت ثم التزم بلف ذراعيه للخلف وهو ينظر اليها بابتسامة مشرقة ..

اخذت تخيط الزر ملتزمة الحذر حتى لاتمس بشرته لكنها كانت تشعر بوجهها المحترق خجلا بينما هو لايساعدها بنظراته التي لاتفارق وجهها ...

عندما اكملت تنفست الصعداء ثم رفعت وجهها اليه بابتسامة مرتعشة لتقول " انهيته ... ما رأيك هل نجحت في الاختبار ام لا ؟"

هدرت انفاسه وهو يقول " نجحت بتفوق وتستحقين جائزة ..." وقبل ان تتدارك الموقف مال براسه سريعا ليطبع قبلة على جانب فمها بينما ذراعاه ما زالتا خلف ظهره .. شهقت وهي تبتعد عنه وتتراجع بسرعة بينما ظافر يتنهد بابتسامة مفتونة ثم فاجأها بأن تأوه بصوت عالٍ وهو يغمض عينيه ليميل بجسده جانبا حتى سقط في حوض السباحة لتتناثر المياه هنا وهناك اما حوراء فاخذت تسابق خطواتها لتهرب من المكان بقلب خافق وابتسامة عشق بينما يدها المرتعشة تلامس جانب شفتيها حيث وضع قبلته ...

في اليوم التالي ...

يذرع غرفة الضيوف ذهابا وايابا وقلبه يخفق بجنون ... هي من طلبت ان يكون اللقاء هنا ... التفت بلهفة ما ان سمع صوت خطوات خلفه لكن قلبه غار عميقا وتسلل اليه البؤس وهو يرى سلسبيل عند الباب.... بمفردها ! ابتلع ريقه وهو ينظر لوجه اخته الحانق ودون ان يسألها وصلت اليه وهي تقول متبرمة " لقد .... هربت !" ثم دمدمت لنفسها بينما ظافر يستوعب ما قالت " يا الهي... بعد كل هذا التعب !! "

اختنق وضاق صدره ليهمس بصعوبة " ماذا تقصدين ؟ هل ... تراجعت ؟ اين هربت ؟ عادت لبيتها ؟"

ردت سلسبيل متنهدة " لا ... لاتستطيع العودة للبيت وهي بملابسها تلك ! لقد نزلنا سوية وهي كانت ترتعش ثم فجاة قالت (لااستطيع) لتركض نحو المطبخ وتخرج من الباب الخلفي.."

عقد حاجبيه ليتحرك بخطوات هادرة خارج غرفة الضيوف .. نادته سلسبيل وهي تتحرك خلفه " ظافر ... توقف ... لاتذهب اليها الان .. انها تحتاج للوقت فقط ..."

التفت اليها بعينين عاصفتين ليقول بصوت محذر " لاتأتي خلفي سلسبيل ... سأجدها بنفسي ..." ثم استدار ليتوجه نحو المطبخ بعزم لايلين بينما سلسبيل تتطلع اليه بابتسامة حانية وتهمس لنفسها " ستجدها مؤكد .."

صوت امها جاء من عند السلم وهي تسأل " ماذا يحدث ؟ ما به ظافر ؟ واين حوراء ؟" التفتت سلسبيل لامها وهي تقول ببشاشة " حوراء خرجت للحديقة وظافر لحق بها ... المجنونة لم تستطع مواجهته دون حجاب !"

ضحكت نادية لتقترب من ابنتها وتقول " ستعتاد الامر ... انها تحتاج للوقت فقط ... على ظافر ان يكون ممتنا لانها ستسمح له برؤيتها دون حجاب اخيرا ..." هزّت سلسبيل رأسها بينما اضافت نادية بمكر " هل سيأتي مهدي اليوم ؟"

ردت سلسبيل وهي تطرق برأسها " لا ... قال سيأتي غدا ... ليسمع جوابي !"

كم تحب هذه الغرفة ؟!! غرفة الانطلاق والعبث ... هذا ما اسمته به خالتها نادية عندما طلبت بناءها في هذا الجزء الخلفي من البيت قبل ما يقارب العشرين عاما ... جعلتها حقا غرفة الانطلاق للاطفال ليعبثوا فيها كما يشاؤون ... لم يكن بها اثاث يذكر فقط الجدران وارضية مفروشة بسجاد وثير ذو الوان مبهجة بينما تناثرت العاب مختلفة للصبيان والبنات واقلام تلوين لاتعد ولاتحصى بالاضافة لاصباغ التلوين المائية والزيتية ...

امها تبنت فيما بعد نفس الفكرة لتنفذها في بيتهم بعد ولادة التوأمين وفعلا تم بناء غرفة خارجية على نفس الطراز لتكون غرفة الانطلاق للشقيين الصغيرين ...

مررت حوراء اناملها على رسوماتهم الطفولية التي رسموها بايديهم على الجدران البيضاء وعلى مر سنين الطفولة التي جمعتهم ... هذه صورة رسمها مهدي للخالة نادية وهي تحمل الرضيعة سلسبيل .. وهذه صورة رسمها ماهر المشاغب لما يمكن ان يسمى سيارة سباق ! ضحكت وهي ترى صورة رسمتها هي ... كانت قد رسمت نفسها في الواقع وهي تمسك بفراشة اضخم منها بينما بدت الشمس كبيرة جدا وسط لوحتها ... لكن الرسم تم التلاعب به ..! احمرت وهي تنظر لرسمة صبي بجانبها الرسمة التي تمثلها وهذا الصبي الاسود يمسك يدها الاخرى عنوة ! هذه الاضافة التملكية كانت من ظافر ... دوما كان يتلاعب برسوماتها ليضيف نفسه ...

لم يكن لديه رسمة تخصه ... اكتفى بأن يراقب رسوماتها وينتظر ان تنتهي ليأتي وبكل ثقة فيرسم نفسه ممسكا بيدها ...

رسمة اخرى لم تنسها مطلقا ! كانت قد تحجبت للتو وكانت تعاني من مضايقات مستمرة لبعض الاولاد والبنات في المدرسة وهم يسخرون من ارتباكها في ترتيب حجابها .. وبوقتها جاءت تبكي لهذه الغرفة بالذات بعيدا عن الجميع لكن يبدو ان الخالة نادية احست بها فوجدتها تدخل عليها الغرفة واستطاعت بطريقة ما من دفعها لتبوح بما يضايقها ثم انتهت المصارحة بأن جعلتها ترسم رسمة جديدة ... رسمت نفسها وهي تبتسم فخورة مرتدية الحجاب والزهور تحاوطها من كل الجانب ... كانت سعيدة جدا بالرسمة لولا ما حصل بعدها !

لاتعرف لماذا فعل ظافر هذا ؟! لم يكتفِ باضافة نفسه للرسمة كالعادة بل تلاعب ليضيف خطوط بلون كستنائي فوق حجابها لتمثل شعرها ... الخالة نادية عاقبته على فعلته لكنه لم يهتم بينما نظراته شعّت عنادا وحنقا !

" كنت اعرف اني ساجدك هنا .." شهقت وهي تلتفت لمصدر الصوت ... رفعت وشاحها الشفاف فوق رأسها لتتستر دون جدوى بينما بدى هو في حالة من الصدمة وعيناه لا يوقفهما شيء لتتفرسا بكل جزء منها ... لم تحتمل فاستدارت مرة اخرى نحو الحائط تستند عليه بيد بينما يدها الاخرى تضم وشاحها لصدرها ثم همست بتوسل " اخرج ظافر ... لست مستعدة الان .."

صوته المبحوح يقترب منها وهو يقول " لقد وعدتني ليلة الامس ... هل تذكرين ؟!" اغلقت عينيها وهي ترد بخجل فظيع " لاعرف كيف استجبت لتوسلاتك .. لكني .. لم استطع ..ارجوك اتركني بمفردي الان .. يا الهي لاحتمل انك تراني هكذا ... بهذا الثوب الفاضح الذي دفعتني سلسبيل لارتدائه ..." شعرت به خلفها تماما وانفاسه كرياح حارة تهب لتلهب مشاعرها اكثر ...

شعرت به يلامس وشاحها ثم اخذ يهمس " انا زوجك .. عليك ان تعتادي الامر .. لايمكن ان تظلي بخجلك هذا مني ..."

لم ترد بشيء بينما انامله تحاول سحب الوشاح من الخلف بتمهل وهي تزداد تمسكا به لكنه لم ييأس فاضاف برقة شديدة " الا استحق هدية العيد .. انت قلت اني استحقها ... اليس كذلك مولاتي .. ؟ " ممانعتها خفت قليلا ليكمل بهمس " حتى ولو منحتني ما اريد اليوم فقط فلا بأس .. انا راضٍ .."

كان يحاول السيطرة على نفسه بمجهود جبار .. لايصدق انه يراها هكذا اخيرا ... عقله لم يستوعب الصورة عندما وجدها تقف قرب الرسومات على الحائط ...

فستان احمر داكن طويل و ... بدون اكمام .. مكشوف قليلا عند الصدر بفتحة دائرية .. وشاح نصف شفاف بنفس اللون القته باهمال على كتفيها ليغطي اعلى ذراعيها المغريين ... اما شعرها ... شعرها ... .اسمها خرج مع تأوهه وهو يسحب الوشاح اخيرا ليرميه على الارض ...

ارتعاشها تضاعف لكنه تحامل على نفسه ليقول " استديري نحوي ... اريدك ان تفعليها من نفسك حوراء ... انت زوجتي .. زوجتي .. "

التفتت نحوه ببطئ دون ان ترفع وجهها اليه ... جاشت مشاعره وهو ينظر لجمالها الذي انكشف امامه اخيرا دون اي حواجز ... صدره يعلو ويهبط كصدرها ليقول بهمس مبحوح " ارفعي وجهك لي .." رفعت وجهها بتلكؤ لتطالعه تلك الملامح البهية وقد تزينت لاجله ... عيناها زادهما الكحل فتنة .. وتلك الشفتان تغنيان اغنية الاغواء وقد نثر احمر الشفاه كلمات الاغنية ...

اشتعل بتأثيرها الطاغي الذي هوس عقله ... شعرها الكستنائي يحيط جانبي وجهها لتكتمل الصورة الفاتنة .. صوتها اختنق فلم يسمع الا همسها بحروف اسمه ... عيناها اطرقتا للارض غير قادرة على مواجهة نفسها قبل ان تواجهه ..

ارتعشت يداه وهو يرفعهما لتلامسا نعومة خصلات شعرها الطويل فتنساب الانامل نحو نعومة من نوع آخر ... تلك البشرة التي تذوب تحت ملمس اصابعه المنحدرة على طول ذراعيها المكشوفين ... انها حوراء ... أرض لم تطأها قدم قبله ولن تطأها قدم بعده ...

قلبه يختض في صدره وهو يلامس تلك النعومة التي حرم منها طويلا ... ارتعاشها يوازي ارتعاشه وانفاسه المتسارعة تتوق لتلتحم بانفاسها ... تلك الانفاس المجنونة التي تخرج من تلك الشفتين ... همس وهو يعض شفته السفلى بعذاب اللهفة " آآآه من تلك الشفتين ..."

انحنى براسه ويداه تتحركان من ذراعيها لظهرها بتهمل تعذيبي لكنها وضعت كلتي يديها على صدره تدفعه بقوة لاتذكر بينما ادارت وجهها جانبا فتفلت شفتاها منه دون ان يفلت خدها .. اختنقت بقبلته التي لامست خدها برقة وشغف ثم همست " لحظة .. ظافر .." مال بوجهه للجانب الآخر يلاحق الشفتين لتحيد بوجهها مرة اخرى للجانب المعاكس وهي تهمس بضعف اكبر " توقف... لحظة .."

اصابعه اخذت تحفر بشرتها كجداول من لهب وهو يمررها بعنف العاطفة على ظهرها ليخنق جسدها بقوة ذراعيه .. ما زال يلتزم الصمت المعذب.. خده يلامس خدها.. ليعود لتلك الملاحقة فتهرب منه تلك الشفتان لجانب معاكس وهي تهمس بانهاك " ليس هكذا ظافر ..." شهقت وهو يلصقها به بعنف اكبر

ليقول هامسا " انا ساتحطم وانت تقولين ليس هكذا !! قولي لي مولاتي اذن كيف ؟!!"

رفعت وجهها نحوه قليلا دون ان تنظر اليه .. الحمرة القانية تزيدها بهاءا وهي تهمس بقلق " هذا كثير علي .. لااحتمل ..." هزتها انفاسه العنيفة ليقول وهو يهاجم شفتيها اخيرا " انا من فقد معنى كلمة الاحتمال .. ارحميني بالله عليك ...."

سنوات بين خيال وحلم ليعرف طعمهما كيف سيكون ! وها هو يفقد الاحساس بأي شيء حوله ويكاد ينهار على ركبتيه امامها لذلك المذاق المحرم والذي حُلّ له اخيرا ...

اختنقت الكلمات وهو يرددها بشغف مجنون كلما اخذ نفسا ليعاود الارتواء " مولاتي ... عشقي المجنون ... اسيرك انا ... عشت حياتي .. اسيرا لك ... آآآه من هاتين الشفتين ... آآآآآه من صاحبتهما ...... ماذا سافعل وانا اخضع لهذا الجنون بلا حول ولا قوة !... يا الله .... ماذا يفعل بي عشقك ... انا اعشقك ... اعشقك ...."

لحظة اخرى ووجدت حوراء نفسها تطير في الهواء تقريبا وهو يضع ذراعه تحت ركبتيها رافعا اياها بعنف... لم تكن تشعر بذاتها واين هي وماذا يحصل ؟!! كان مكتسحا دون رحمة .. ولم تكن الا قبلتهما الاولى فقط...!!

مددها على الارض ليسجنها بجسده وقد غامت عيناه بعاطفة هائجة جائعة بضراوة اعادت لها بعض وعيها لتهمس بوجل " ماذا ستفعل ؟! "

لكنه لم يرد وقد بدأ يفقد زمام نفسه تماما ليهاجم انوثتها دون رادع ... الوجل تصاعد لرعب وهي تقاومه قائلة " لا ظافر ... توقف ... ماذا تفعل ... بربك توقف ... ! "

الفصل الثالث عشر

كان مجنونا بعاطفته فاقدا لسيطرته .. رفعت يديّها تلامس خده باضطراب شديد لتوقفه بهمسات اشد اضطرابا " ظافر .. توقف .. ليس هكذا ... وليس الان .. "

فما يكون رده الا ان اخذ يقبل باطن كفيّها بعاطفة نهمة متقدة ... كانت ترتجف والخوف يشل اطرافها بينما تتمسك بتلابيب العقل ... همساته النارية لم تتوقف " احبك ... اعشقك .. كل شيء فيك اعشقه واتوق اليه ... " تتوسل اليه " ظافر .. اتركني ... " لكن يديه اصبحتا اكثر جرأة لتزيح احداهما طرف الفستان عن كتفها فيتأوه مقبلا اياه ... شهقت وهي

تتلوى تقاومه لتسيل بضع دمعات دون ان تدري لها سببا ..! هل هو الانتهاك لبراءة جسدها ام خوف مما سيفعله ظافر وقد فقد احتكامه لعقله ...

همست باختناق بينما كان يقبل عنقها " انظر الي ظافر .. انا .. خا..ئفة .. اتوسل .. اليك انا .. اموت .. رعبا .. انظر الي ..."

لحظة... وتوقف ... شعرت به يجمد دون ان يرفع رأسه .. انفاسه كانت حادة وجسده متوتر ... زفر بقوة بينما تدفقت دموعها اخيرا بشعور غريب ..

قال اخيرا بصوت متحشرج من العاطفة وشفتاه تلاصقان عنقها " لاتخافي .. يا الهي .. لاتخافي ابدا ... اعلم اني .." تنهد بقوة فاغمضت عينيها ليهمس لها " انا .. اسف .."

ابتعد عنها ليستلقي على ظهره بجانبها على الارض .. ارادت التحرك قبل ان يغير رأيه فسارع للامساك بيدها القريبة وهو يهمس بقوة " لا ... لاتذهبي ... اياك ان تتحركي الان ..."

اطاعته وهي تستشعر الجهد الذي يبذله للسيطرة على نفسه ... اغمضت عينيها مرة اخرى بينما يدها الحرة اخذت تمسح دموعها ...

شعرت بحركته مقتربا منها .. تشنجت دون ان تجرؤ على فتح عينيها لتراه بهيئة قد ترعبها اكثر ... ما زالت تتصرف بحدسها لتمتص انفجاره العاطفي هذا ... انفاسه اقتربت اكثر لتلفح وجهها .. ارتعشت عندما قبّل عينيها المغمضتين برقة شديدة ثم همس

" لاتخافي ... اهدأي حبيبتي .. انا لن افعل ما يؤذيك ابدا .. استرخي واطمأني ... اقسم لك اني ساحميك حتى من نفسي ... فقط اطمأني ... "

زفرت بضع انفاس لتهمس باسمه " ظافر .." رد لها " افتحي عينيك .. اريد رؤيتهما .."

فتحت عينيها على مهل لتراه مشرفا عليها بعينين تفيضان بالمشاعر وابتسامة شغوفة تعلو ثغره .. حاولت الكلام عندما وضع اصبعا على شفتيها وهو يهمس " اششششش ... فقط انظري الي انت واسمعيني فربما ستعذريني .."

كان يمسح بضع دمعات علقت بجانب وجهها وهو يقول بنعومة " انا اعشقك حوراء ... اهيم بك منذ سنواااات ... بل اني لااذكر يوما في حياتي لم اشعر نحوك فيه بهذا العشق ... "

رفع يده وهو يشير للجدران حوله ويكمل " هذه الجدران تشهد على ثورتي المكبوتي لتكوني لي .. دون حواجز ... دون قيود ... "

ثم اعاد يده اليها ... يسحب بضع خصل من شعرها لشفتيه فيقبلها بافتتان ثم يلفها حول وجهها ليتركها تنساب حوله .. اخذ بعدها يلامس برقة ملامح ذلك الوجه .. يرسم حاجبيها ... يمرر انامله فوق رمشيها فعظمة انفها الرقيقة حتى يصل شفتيها ليستشعر ذلك النفس المرتعش يدغدغ بشرته ...

ابتسم وهو يستشعر خفقات قلبها المتسارعة كخفقات قلبه بالضبط ليقول بشغف وهو يغرق في عينيها الرائعتين " عيناك هاتان اسرتاني .. جعلتاني اعاني الامرين وانا اقاوم تأثيرهما عليّ .. لكن .."

صمت قليلا ليقول بهمس " انه ليس تأثيرهما فحسب وانما تأثيرك انت ... كل ما تقولينه وتفعلينه كان يفتنني ... وما زلت مفتونا مولاتي ...وساعيش باقي حياتي وانا اسير فتنتك هذه .."

تحشرج صوتها وهي تسأله بخجل " لماذا ... لماذا تناديني... مولاتي ؟!!"

تنهد بقوة ليقول بصوت معذب " ألم اقل اني اسيرك ؟! ما ان تنظرين ألي حتى تقيدني سلاسل وتخضعني اوامر لكني اعاند واتمرد فاقاتل بشراسة ضعفي امامك ..."

كانت عيناها متسعتين وشفتاها منفرجتان والانفاس المتسارعة تتلاحق لتغادرهما ...

راته بوضوح يبتلع ريقه ونظراته تتسمر على شفتيها ليقول بصوت مبحوح " ولكني في النهاية استسلمت .. لاحياة لي بدونك ... " صمت قليلا ليهمس بصعوبة " قولي شيئا حوراء .. او دعيني اسرق الكلمات بطريقتي من شفتيك هاتين .."

ارتجفت شفتاها بابتسامة لتهمس بوجنتين مخضبتين " انا احبك ظافر ... اعشقك ..."

اغمض عينيه وهو يتأوه ليغرق وجهه في تجويف عنقها ويهمس بعذاب " عليّ تركك الان .. كيف لن اموت وانا افعل هذا ؟ لااعلم ! كل ما اعلمه اني يجب ان افعل ... ولكني اقسم برب العباد ليلة العرس لن ارحمك ..."

فجأة هب مبتعدا عنها ليتحرك وهو يوليها ظهره ويقول بصوت اجش " ساخرج ... اذهبي انت للحمام الملحق بالغرفة واعيدي ترتيب نفسك ..."

ثم خرج بخطوات متسارعة تاركا اياها تنظر اليه والابتسامة الحانية لاتفارق محياها ...

قالت نادية وهي تتطلع لنهى من فوق نظارتها الطبية " ما بك نهى ؟؟"

التفتت نهى نحو نادية تاركة اوراق التصاميم التي تعمل عليها لتسقط باهمال على سطح مكتبها ثم قالت باحباط " شاهر لايبدو بطبيعته .."

خلعت نادية نظارتها لتقول بهدوء " ألم تقولي انه لم يعد باردا معك ؟" ردت بحيرة " انه ليس برود ولكنه ... يبدو شاردا ... بعيدا بعض الشيء !"

تنهدت ثم اضافت " عندما ابتدأنا العمل في المشغل كان داعما لي .. ينصحني ويعطيني رأيه .. صحيح انه كان يضع حدودا لتعامله معي لكنه كان .. كان فخورا .. شعرت به .. اقسم لك كان فخورا بخطوتي هذه .."

حركت نادية حاجبيها قليلا وهي تقول بمزاح ساخر " انت محظوظة ! آسر اوشك ان يخنقني ...!!"
تبسمت نهى لتسأل " لماذا ؟!" ضحكت نادية بخفة وهي ترد " لايصدق اني تركته لاؤسس عملا خاصا بعيدا عنه .. تصوري لقد اتهمني بالخيانة !"

ضحكت نهى وهي تلوح بيدها قائلة " انه يبالغ ليجعلك تشعرين بالذنب .."

ردت نادية وهي تكز على اسنانها " اعلم وهو ايضا يعلم ... لكنه يحب استفزازي .." ثم هزّت راسها لتقول بحنق " لااصدق كيف انه وشاهر اخوين شقيقين !"

ثم نظرت نحو نهى لتقول بفطنة " لكنهما يشتركان بنفس الغموض القاتل عندما يريدان .." قالت نهى بشرود وضحكتها تتراجع " اجل ... الغموض .. اخفاء المشاعر عندما يريد ... كل هذا اعتدت عليه .. لكن شروده وتلك النظرة الغريبة لاافهمها !"

ثم التفتت فجأة لنادية قائلة" هل تعلمين ان ريمة ستترك العمل خلال ايام ؟" تساءلت نادية وهي تسبل اهدابها " حقا ؟!"

ردت نهى ببعض الحماسة " اجل ... اعطاها منصب اخر في احدى فروع الشركة وهي ستغادر نهائيا ما ان تدرب المساعدة الجديدة على اداء مهام العمل .."

عقّبت نادية بكلمة واحدة " حسنا .." عبست نهى قليلا لتسألها بتوجس " الن تقوليها لي يا نادية ؟"

قالت نادية وهي تلتقط نظارتها لترتديها مرة اخرى " ماذا اقول ؟" ابتلعت نهى ريقها قبل ان تسأل بضعف " هل هي ريمة ؟"

تنهدت نادية باحباط لتعنفها قائلة " توقفي عن هذا السؤال السخيف .." اطرقت نهى قليلا لتتساءل بحيرة واضحة " اذن ماذا يحدث لشاهر ؟ لماذا عاد ليتباعد عني ؟!! انا احاول جهدي ارضاءه بكل جانب وابذل كل ما لدي لانجح حتى يفخر بي اولا ... انا لافهم ... ماذا يريد الرجال حقا ؟!!"

ثم رفعت راسها لنادية وهي تقول بحنق ناعم " حتى ولديّ .. باتا غريبيَ الاطوار !"

رفعت نادية حاجبيها عاليا بتسلية وهي تقول " مهدي وانا اعرف علّته لانها علّتي انا ايضا ! عسى ان تحل الليلة ... لكن ماهر ممَّ يشكو ؟"

ردت نهى بتذمر " لااعلم .. عجزت عن سؤال لااتلقى جوابه !"

دخلت نجلاء للمكتب الذي يجمعها مع شريكتيها بينما نهى تلقي بجملتها الاخيرة وبدلا من ان تلقي التحية القت بجملة متذمرة حانقة " بلال يثير الجنون احيانا !" انفجرت كلا من نادية ونهى في الضحك فعبست نجلاء قائلة " لماذا تضحكان بهستيرية هكذا ؟!!"

ردت نادية من بين ضحكاتها " يبدو ان هناك لوثة سرت بعدوى سريعة الانتشار بين رجالنا ! كبيرهم قبل صغيرهم !"

عقدت نجلاء حاجبيها بعدم رضا بينما سألتها نهى بمرح " اخبرينا ما به بلال ؟" ردت نجلاء وهي تجلس على كرسيها خلف مكتبها " يفترض انه كان سعيدا بعملي معكما خصوصا واني المسؤولة عن ملابس المحجبات فكان فخورا للغاية بافكاري .."

تكتف نادية وهي تقول بعينين مشاكستين " حسنا هذا افضل ردة فعل حصلنا عليه من ازواجنا.."

عبست نجلاء بطفواية لتقول " هذا كان في البداية فقط ! البارحة رمى لي بعتاب ناري صريح .."

رفعت نهى حاجبيها بتعجب وهي تتساءل " عتاب ؟ وناري ؟؟ ومن بلال ؟؟!!! هذا حقا لايدعو على التفاؤل !"

قالت نجلاء باحباط " اتهمني انني لم اعد اهتم به مثل السابق .. اني اهمل تدليله ! تخيلوا ؟!!"

كانت ضحكات نادية ونهى هذه المرة هستيرية فعلا فعنفتهما نجلاء قائلة بغيظ " توقفا عن الضحك ... لاينقصني الا هذا ! " تنهدت وهي تضيف " اعترف اني قصرت قليلا معه لكني كنت متعبة الاسبوع الماضي خصوصا مع نهاية رمضان والتحضير للعيد .."

التفتت نجلاء نحو نادية على حين غرّة لتسأل بغيظ اكبر " ماذا فعل ظافر بالامس ؟؟ البنت ستثير جنوني كوالدها ! جاءتني من بيتكم وكأنها عادت للتو من رحلة للقمر ! ثم هربت من اسئلتي لتدعي حاجتها لنوم مبكر !!... ماذا حصل عندكم بالضبط؟"

رفعت نادية حاجبا واحدا وهي تسأل بمكر " ألم تخبرك حقا ؟"

ردت نجلاء وهي تقف على قدميها ترقبا " لا .."

تنحنحت نادية بشكل مسرحي وهي تنقّل نظراتها بين نجلاء ونهى لتقول بابتسامة عريضة " اذن سعيدة لاني سأرى تعبير وجهيكما وانتما تعرفان مني الخبر لاول مرة .."

اتسعت عينا المرأتين فضولا لتكمل نادية بنفس الابتسامة " البارحة ... الانسة المبجلة حوراء خلعت الحجاب امام ظافر .."

فتحت نهى فمها وهي تقول " حقا ؟!"

بينما اطلقت نجلاء انفاسها وهي تردد " اخيراااا .." لتتملكها الاثارة وهي تسأل نادية " وماذا فعل ؟!"

هزّت نادية كتفيها وهي تقول " هذا ما لااستطيع الرد عليه ... فلم يرها امامي .." ثم غمزت لتضيف " يكفي ان اقول ان حال ظافر بعد ذلك كان كحال ابنتك .." ضحكت نهى بينما سألت نجلاء بجدية مضحكة "

هل تتوقعين انها سمحت له بتقبيلها ؟"

تعالت ضحكات نهى وهي تقول " انك مجنونة يا نجلاء ..!" لكن نجلاء لم تهتم وهي تقترب من نادية وتقول باصرار للمعرفة " حقا نادية اخبريني .. هل يمكن لابنة ابيها ان تقدم على خطوة كهذه وتسمح له ؟"

حركت نادية حاجبيها صعودا ونزولا لترد بمرح " بل قولي ابن ابيه هل كان ليفوت الفرصة ؟!! ..... مؤكد ...؟"

فاجابت نهى ونجلاء في صوت ضاحك واحد " لاااااااا"

دخلت سلسبيل بهدوء تحسد عليه لغرفة الضيوف حيث ينتظرها مهدي منذ ربع ساعة ...

قالت بابتسامة لاتعبر عن شيء " مرحبا .." التفت اليها في وقفته جنب احدى الزهريات التي كان يتطلع اليها باعجاب ثم قال بعينين مدققتين فيها " مرحبا .." ثم امال رأسه جانبا ليقول بسخرية رقيقة " اخيرا قررت التكلم معي ؟"

لفّت ذراعيها خلف ظهرها لترفع حاجبيها ببراءة طفولية مغيظة وهي تقول بدهشة " ألم اكن اكلمك ؟!!" ابتسامة صغيرة شقّت شفتيه قبل ان يقول " في الواقع ؟ لا ... لم تكوني ! كلما التقينا تستمرين بالقاء المزاح ثم تتركيني فجأة لتتعلّلي بالصداع !"

ردت وهي تمط شفتيها " كنت اعاني الصداع فعلا ... انا لااكذب .."

اتسعت ابتسامته وهو يقول " لك طرقك الخاصة للتحايل على الكذب نفسه .."

هزّت كتفيها بلا اكتراث بينما قال هو ببعض الجدية " الان ... انا انتظر ردك ..."

اخذت نفسا قبل ان تقول وهي ترفع نظراتها للسقف بتفكير " امممممم اعتقد .. ربما انا بحاجة للمزيد من الوقت .." صوته كان منخفضا لكن صارما ايضا وهو ينطق باسمها " سلسبيل !"

اعادت نظراتها اليه وهي تسأل بنفس قناع البراءة " ماذا ؟! ماذا فعلت الان ؟!!" تنهد وهو يقترب منها بضع خطوات ليعنفها برقة قائلا " لاتكوني طفلة .. "

عيناها اكتسحهما الغموض والمكر وهي تسأله بابتسامة مبهمة " انا اصلا طفلة ! ألستُ كذلك يا وسيم ؟؟ الستَ انت من وصفني بطفلة تحتاج للتربية من جديد ؟! ألم تضحي بنفسك لتتقدم لخطبتي من اجل اعادة تأهيلي ؟؟"

سألها بهدوء شديد " هل هذا ما تظنينه ؟؟" لم ترد عليه فسأل سؤالا اخر " لماذا لاتسأليني عن سجى ؟"

لم تفته تلك الارتعاشة وهي ترد بقناع من الغموض الكامل " انا لااسأل .. انت من يفترض التوضيح على اعتبار انك تقدمت لخطبتي .."

رد ببساطة وهو يتطلع لعينيها " انها صديقة .." ثم ابتسم قليلا ليؤكد " مجرد صديقة .. لااكثر ولا اقل .." بنفس القناع استدارت نحو الباب فناداها بعبوس ودهشة " اين تذهبين ؟!!"

التفتت اليه وهي تبتسم بضراوة وتشير باصبعيها الابهام والسبابة قائلة " بعض الوقت ... قليل منه ... ساحاول خلاله الاختلاء بنفسي مرة اخرى لاحلل اسباب طلبك الزواج من طفلة !.."

ازداد عبوس مهدي وهو يتقدم نحوها ليصل اليها قائلا " انا لم اقل انك طفلة ! لم انظر اليك كطفلة ابدا منذ سنوات .." تكتفت وهي تسأله باستهانة " حقا ؟!!"

تطلع اليها لفترة قبل ان يمد يده لجيبه ويخرج منها السلسلة الفضية ثم قال " انظري لهذه السلسلة سلسبيل .."...

رفعها عاليا امامها فتدلى القلب منها ... نقلت سلسلبيل نظراتها بينه وبين السلسلة لتتعلق عيناها اخيرا على القلب فسألت بصوت منخفض " لمن هذه ؟؟" رد بتحشرج " انها لك .."

عيناها لم تفارقا القلب وهي تسأله باستفزاز " هل اشتريتها لي حقا ؟" قال غير مبالٍ بادعائها البرود " نعم .. في عيد ميلادك الثامن عشر .."

رفعت عينيها اليه بقوة فقال بابتسامة " هل ترين الان ؟!" سألت بغموض " لماذا لم تقدمها لي بوقتها ؟"

رد بتنهيدة عميقة " لاني رأيتك صغيرة وما زلت اراك هكذا .. صغيرة على مشاعر لاتدركينها او تفهمينها بشكل صحيح .."

ظلت تنظر اليه وكأنها تسبح في بحر جديد تستكشفه لاول مرة ...

اكمل مهدي قائلا " كنت اخاف عليك من نفسي .. كنت اشفق على صغر سنك من مشاعر قد تجرح براءتك واشفق على جموحك الرائع الفطري من القيود التي قد تكبله فتخنقه وتخنقك ... " زم شفتيه ليسأل بالحاح " هل فهمتِ الان ؟؟"

مدت يدها لتأخذ السلسة من يده ثم استدارت نحو الباب مرة اخرى ليناديها هذه المرة بذهول قائلا " سلسبيل ... اين تذهبين ؟!! " التفتت برأسها للخلف قليلا فلاحت له ابتسامتها المشاكسة وهي تقول " اعتقد اني بحاجة لاسبوع اخر من التفكير فهذه القلادة تعتبر احجية ضخمة لعقلي الصغير .."

اقترب بانفاس متسارعة هامسا باسمها " سلسبيل .." ردت بصوت منخفض " نعم .." رفع يداه لتمسكا كتفيها لكنه تراجع واكتفى بأن امال رأسه للامام ليهمس قرب اذنها " انت هي السارقة ..."

ما زالت توليه ظهرها ولم تلتفت نحوه بل تقدمت للامام لتفتح الباب بهدوء وتغادر الغرفة ... كانت تصعد درجات السلم ويداها تفتحان القلب على مهل لتجده فارغا ! همست بنظرة لامعة " ايها الغبي لماذا ابقيت القلب فارغا ؟!!"

صرخت سالي بهستيرية عبر الهاتف " ايتها الغبية كيف لم تخبريني .." تلعثمت ميس وهي تبرر " اهدأي سالي .. انا لم اعرف الا منذ بضعة ايام فقط .. انا ايضا كنت خارج البلد ... اهدأي قليلا ارجوك ..." استمرت سالي بصراخها " اهدأ ؟!! اهدأ ؟!!! كيف تريدينني ان اهدأ ؟ انت مجنونة لتطلبي هذا .. "

اخذت تتحرك ذهابا وايابا والخط ما زال مفتوحا مع صديقتها بينما تردد بصوت مسموع " ظافر خطب ابنة عمته ؟؟ لااصدق .. لااستطيع التصديق .. لم يمر الا اقل من شهرين على فراقنا ... وانا الغبية التي تصورت ان بعادي عنه قد يلعب دورا في اثارة شوقه الي وعندما اعود استرجعه ! غبية غبية .. كله بسبب والدي ومشاكله السخيفة ! "

ابتلعت ميس ريقها وهي تقول بحذر " سالي انسيه .. ستجدين افضل منه .." عادت لتصرخ قائلة " انساه ؟! هذا لن يحدث ابدا ... اياك ان تقوليها مرة اخرى .." سالت ميس بتوجس " ماذا ستفعلين ؟" قالت سالي بحقد " اخبريني ماذا تعرفين عنها ؟ مؤكد صديق ظافر الذي تصاحبينه حاليا قد اخبرك عنها اليس كذلك ؟ اخبريني بكل ما قاله .. "

ردت ميس بتلكؤ " حسنا ... هو قال انها ابنة عمته .. " سألت بصوت كريه حاد " كيف تبدو ؟؟ هل تدرس ام تعمل ؟؟"

قالت ميس " انها .. جميلة .. محجبة .. تعمل في معهد البحوث التقنية .." رددت سالي باستهجان " محجبة ؟!! محجبة ! ظافر الغازي يخطب فتاة من هذه النوعية ؟!! هل هي خارقة الجمال ام ماذا بالضبط ؟ " صمتت قليلا لتضيف بتساؤل " ام ربما اجبروه عليها .. مؤكد زواج عائلي .. "

لم يصلها تاكيد او حتى رد من ميس فسالتها بحدة " لماذا لاتردين عليّ ؟!! اخبريني بكل شيء ..." قالت ميس بتوجس " حسنا ساخبرك ولكن ارجوك لاتغضبي .." قالت سالي من بين اسنانها " تكلمي ميس .. واياك ان تكذبي عليّ .."

تلعثمت ميس قليلا وهي تقول " حسنا .. هذا كلام عماد ... يقول .. ان ظافر .. يعشق ابنة عمته منذ ... زمن .. لانه سبق وتحرش بها .. اقصد عماد من تحرش بها طبعا دون ان يعلم بقرابتها لظافر فما كان من ظافر الا ان حطم فكه !"

همست سالي بصوت كالفحيح " وماذا بعد ؟!" ردت ميس بصوت منخفض " حسنا ... انه يقول بأن ظافر هجر كل شيء من اجلها ... لقد .. ابتعد عن اصدقائه ويكاد لايفارقها ..."

استمر الصمت للحظات طويلة فنادتها ميس " سالي !" شخرت سالي وهي تقول " ساعود باقرب طائرة ... سافعل المستحيل لاقناع ابي .. "

دخلت حوراء على استحياء للمطبخ ... كانت تصلها صوت ضحكاته منذ ان هبطت السلالم .. تدرك احتراق وجنتيها لكن ما باليد حيلة ! لقد تركها يوما واحدا فقط لتعالج اثار هجومه الضاري على مشاعرها ولكن لم يصبر اكثر .... هل حقا قبلها بتلك الطريقة ؟؟ هل حقا قالت له انها تحبه بل وتعشقه ؟!!

همست وهي تتحاشى النظر لهيئته الواقفة جوار امها وهي تعد قالب حلوى " صبا...صباح... الخير .."

تطلع اليها وهو يرد بصوت مبحوح " صباح الخير .." قالت بخجل شديد " انها التاسعة صباحا الا يجب ان تكون في الشركة ؟! لم اصدق عيني عندما رأيت سيارتك من نافذة غرفتي !" رد ممازحا وهو ما زال يقف عند عمته " هل يزعجك مجيئي لرؤيتك ؟"

رفعت عينيها اليه لتنكر بقوة " لا .. ابدا .. انت تعرف .. اني ... لااقصد .."

التقت نظراتهما ... الشغف يحيط ابتسامته ونظراته وملامح وجهه .. اما هي فالبراءة تلازم الانجذاب اليه يوما بيوم .. ساعة بساعة ...

تنحنحت نجلاء وهي تخفق العجين وتقول " دعكِ منه انه يحاول اغاظتك... لم يتوقف عن اغاظتي وهو يحاول اقناعي بتذوق الحلوى قبل ان تخبز في الفرن ..." غافل ظافر عمته ليمد اصبعه نحو عجين الحلوى فالتقط القليل به ليسارع ويضعه في فمه فضربته نجلاء على كتفه وابعدت الاناء المقعر الذي تخفق فيه ثم سكبته في القالب المعد وادخلته مباشرة للفرن ....

قالت وهي تراقبهما بطرف عينها بينما تتوجه لحنفية الماء وتغسل يديها " سأذهب لايقاظ التوأمين ... يجب ان يعتادا النهوض باكرا ولم يبقَ الا يومين على بدأ العام الدراسي الجديد .."

ما ان غادرت نجلاء حتى اشتعلت نظرات ظافر واخذ يقترب منها ببطئ مفترس ... قالت حوراء بمشاعر مختنقة وهي تتراجع للخلف " ظافر لاتقترب ... توقف ... لم ... لقد قلنا انه .... آآآآه .."

كان قد جرها من معصمها وفي لحظات وجدت نفسها في غرفة المؤن التابعة للمطبخ والباب مغلق بالمفتاح !

قال بصوت مبحوح وهو يحارب يديها الضعفتين ليخلع عنها الحجاب " هذا الحجاب لن يحجبك عني بعد الان .."

اسقط الحجاب على الارض ليمد يديه ويحل شعرها وهي تهمس " لا ..." لكنه لم يتوقف واخذ يلامس رقبتها ووجهها بشغف وانفاسه تتلاحق كانفاسها ... قال وفمه امام فمها " لااريدك ان ترتدي الحجاب مرة اخرى .. ابدا حوراء ... ابدا .. ابدا ... ابدا ..."

لم يمهلها لترد بينما يعلمها الحب كما اراد منذ زمن طويل ... كانت عجينة خام بين يديه وهو يشكلها كما يشاء ...

قالت لاهثة مغمضة العينين حالما ابتعد عنها " انك تحطم كل القوانين ظافر.."

رد وهو يقيد حركتها التي ما زالت تقاومه بضعف يمس القلب " لا مزيد من القوانين والاوامر ... مولاتي ... ليس بعد ما حصل .. هل تتخيلين بعدما حصل في غرفة الانطلاق سنعود لنفس اللعبة .."

فتحت عينيها لتنظر اليه بعتب وهي تقول " انها ليست لعبة ظافر .."

اخذ يلامس وجهها بابهامه وهو يبتسم بحرارة ويقول " ألم تكوني بشوق لان اقبلك ؟؟ " عضت شفتيها وهي تدير وجهها جانبا وتهمس" لا ... اقصد .. ان الامور لاعلاقة لها بالشوق او .. المشاعر .. انها .."

اخذ يقبل رقبتها وهي تحاول ابعاده قائلة بضعف " ظاااافر .." لكنه كان يعتصرها بقوة تكاد تزهق روحها فهمست تتوسل " يا الهي .. ارجوك توقف عن هذا التهور ... لقد وعدتني انك لن تتجاوز الحدود مرة اخرى .." ضحك بخفوت وهو يهمس قرب اذنها " هل هذا مفهومك عن تجاوز الحدود ؟؟!! "

كانت تشتعل وهي تتمسك بكتفيه لاتعلم كيف ولكنها تتمسك بهما وكأنهما نقطة ارتكازها حتى لاتغرق معه ... قال ونبضات قلبه تصلها " هل تعرفين كيف اشعر الان ؟؟ " عاد ليضمها بقوة وهو يهمس بجرأة " متى ترتدين الثوب الابيض لاخلعه عنك بنفسي ...؟!"

صوت قادم جعله يبتعد متنهدا وهو يقول " علي البحث عن بيت اولا يخصنا بمفردنا دون مقاطعة ! "

لم ترد بينما هي تلهث لنجاتها وتلتقط حجابها من الارض تلف به راسها ثم فتحت الباب وخرجت بينما هو يتابع بعينيه رحلة هروبها منه وابتسامة مفتونة تشق شفتيه ....

كزّ على اسنانه بغضب يعتمل في نفسه ولم يعد يطيق كبته اكثر ... انه يكبت الكثير ولم يكن ينقصه الا هذا النوع من الغضب ...

نظر لعينيها الواسعتين وقد لمعتا بفرح تعكسه ابتسامتها بينما تأخذ من يد حارس الامن صحن صغير فيه بضع قطع من حلوى شعبية ..

الحارس الشاب كان ينظر اليها بابتسامة تفضح الكثير ! هل هي غبية لكي لا تدرك انها تبتسم لذلك الحارس بطريقة تجعله يطمع بأكثر من مجرد ابتسامة ؟! تقبضت يداه وهو يتذكرها قبل يومين تجالس نفس الحارس تتهامس معه في احدى الزوايا ... لم يكن همس عشاق بالتأكيد بل بدى واضحا انه يعاني من مشكلة وهي تحاول مواساته !

لقد مر امامهما دون ان يشعرا به مما زاد من حنقه واليوم ها هو يراها تبتسم له بامتنان ساحر خلب لبه للفتى ...

تقدم منهما مدفوعا بغضب لايريد اعطاءه تسمية اخرى ليقول ببرود ما ان وصل اليهما " ماذا تفعل هنا يا نزار ؟! الا يفترض ان تكون في مكان عملك ؟؟ " ثم وجه نظرات مستهينة نحو صفية متجاهلا احراج نزار ليقول " ام انك اعتدت التسكع هذه الايام ؟!"

اشتعلت عيناها المعبرتان بغضب مكبوت لكنها التزمت الصمت بينما نزار يفسر ببعض الارتباك " عفوا سيد ماهر ... كنت اشكر الانسة صفية لانها وقفت معي في ازمتي واحضرت لها بعض الحلوى امتنانا .."

اسبل ماهر اهدابه وهو يلوح بيده بغير اكتراث " لااريد سماع اي تبريرات ... عد لعملك فهو اجدر باهتمامك ..."

ردد الحارس دون ان يخفي الامتعاض من نبرته " حسنا سيد ماهر ... اعتذر ..."

تطلعت اليه بكبرياء بات يمقته وهو يستشعره كحاجز يقف في وجهه فيمنعه الاقتراب ...

قالت " هل يفترض ان تكون فخورا بنفسك سيد ماهر وانت تمارس سلطاتك على من هم ادنى منك مستوى ؟! " احتدت نظراته وهو يحذرها قائلا " الزمي حدودك يا انسة ... لن تثنيني ظروفك الصعبة عن فصلك من عملك وقطع رزقك اذا تكلمت معي هكذا مرة اخرى .."

ذقنها الناعم الصغير ارتفع قليلا لتقول بقسوة " الرزق من الله سيد ماهر وانت لاتملك ان توصله او تقطعه الا باذنه ... " ضيّق عينيه بينما واصلت الكلام بنفس النبرة الواثقة المعتدة " وانا لن تثنيني ظروفي الصعبة التي تحتاج للمال عن ان اقول لك لاتتبجح على الناس وتستصغرهم لمجرد انك ماهر الغازي ... لست سوى انسانا مثلهم حباك الله بمميزات منذ الولادة بينما حرم غيرك منها لحكمة هو يرتضيها ...." لمحة اشمئزاز مرت بتلك العينين وهي تهمس " اذا اعجبتك قدرتك على الناس فتذكر قدرة الله عليك .."

تملكه غضب فاق التصور فضرب بقوة على سطح المنضدة امامها ليهدر صوته " اقسم بالله كلمة اخرى وساطردك من هنا شر طردة ... اعرفي حدودك وموقعك يا انسة ..."

فاجأته بابتسامة سرقت قلبه رغما عنه وهي تقول بتصنع مرح " صباح الخير سيد ماهر ... يوما سعيدا ..."

التفت بحدة بعيدا عنها دون ان يقول شيئا اخر ... كان يحاول التماسك بينما تقوده قدماه نحو المصاعد الكهربائية ... ما ان انغلقت ابواب المصعد حتى اغمض عينيه ليقول بشراسة " لماذا انت مختلفة لهذه الدرجة ؟!! " ثم فتح عينيه ليهدر بعنف " حسنا يا صفية ... انت تتحدينني ؟! سنرى .."

رن هاتفه ما ان غادر المصعد ... طالعه اسم يسرا فتفاقم غضبه ليشمل نفسه هذه المرة!

اغمض عينيه للحظة يستعيد هدوءه قبل ان يفتح الخط لياتيه صوت يسرا المتلهف " اين انت يا ماهر ؟!!" ....

بعد دقائق ليست بالطويلة تلك اللهفة تداعت ليحل محلها البؤس ... قالت بألم " لماذا تفعل هذا يا ماهر ..؟!!" رد عليها يحاول ايجاد الكلمات بعناية حتى لايؤذيها اكثر " اسمعيني يسرا اعتقد اننا يجب ان ...نفتر.."

عاجلته لتقول برجاء يائس" لاتقلها .. عزيزي ارجوك ... انا احبك .. سانتظر حتى تحل مشاكلك كلها ... "

قال باتزان " يسرا الامر ليس .." لكنها قاطعته مرة اخرى قائلة بهستيرية " لا ماهر انت لاتفهم ... انا مستعدة للانتظار مهما طال الوقت .."

جملة خرجت من فمه تعبر عن دواخله " انا من لم اعد احتمل الانتظار .."

تلك الجملة فسرتها يسرا كما تحب و..تأمل ! ذاب صوتها وهي تهمس بلهفة كبيرة " حبيبي .. انا ايضا .. انا ايضا لم اعد احتمل بعادك ... انا .. انا .."
ترددت قبل ان تكمل " انا مستعدة ان اتزوجك .. اليوم .. الان ... "

اتسعت عينا ماهر وهو يسمع كلامها ! تماسك وهو يرد عليها بهدوء غير حقيقي " يسرا لايمكن ان نتزوج ... انت تعرفين .." لكنها كانت في حالة من اللهفة لاتوصف فردت بحماسة " نتزوج سرا ماهر حتى تبتعد عمتي تماما عن والدك .. ستنساه ... اقسم لك ستنساه .. "

رد وهو يمسد جبينه " لايمكن ان تنساه وانا لايمكنني نسيان الامر .. انه اكثر تعقيدا مما اعتقدت .."

صمتت بينما انفاسها تعذبه لتقول بعدم تصديق " هل تتخلى عني ؟!! " قال بتحشرج " ستجدين من هو افضل مني .." ردت بعنف " ولكني احبك وانت قلت انك تحبني ..!!"

ابتلع ريقه ثم استعاد قوته ليقول بحزم " هذا الحب مكتوب عليه الفشل .." شهقاتها سبقت كلماتها الغاضبة " انا اكره عمتي ... اكرهها ..." شيء ما قبض على قلبه ولم يملك الا ان يقول " وداعا يسرا ..."
نادته " ماهر انتظر .." لكنه اغلق الخط !

قالت ريمة بثبات وهي تواجه شاهر " جئت لاودعك سيد شاهر ... ابتداءا من الغد ساذهب لمقر عملي الجديد .."

تطلع شاهر نحوها لفترة ... الشعور بالذنب يقتله .. هل هو السبب في حالتها الكئيبة هذه ؟؟ ام انها ابنة اخيها حقا من يؤرقها ؟

لايملك الا هذا الشعور بالذنب لانه ترك الباب مواربا لها .. وها هو يشعر بالخسة والدناءة ..!

قال وهو يقف على قدميه ليلتف حول مكتبه مقتربا منها " هل آذيتك يوما ريمة ؟ هل فعلت ؟"

المفاجأة عكستها عيناها المميزتان لتقول بصوت ينضح احراجا وارتباكا " لماذا تقول هذا ؟"

انقبض قلبه وهو يصر قائلا " اصدقيني القول ريمة .. هل ... فعلت ..."

نظرت نحوه لتقول بهدوء غريب يشوبه الحزن " لا .. انك .. لم .. تفعل .." قال وهو يضغط بيده على حافة مكتبه " لماذا اشعر اني فعلت ؟ هل كنت تتوقعين مني التمسك بك عندما طلبتِ الاستقالة ؟ هل خيبت ظنك ؟"

ردت بابتسامة تحمل الالم " انا من خيبت ظن نفسي بنفسي !... انا من يتحمل نتائج افعالي .. " ما زال يحاول قراءتها بينما اكملت ببساطة " سيد شاهر .. يكفيك ان تعلم اني لن اندم يوما على معرفتي بك .. ساظل دوما ممتنة للقدر لاني التقيت بك و .." تلعثمت قليلا وهي تكمل " عملت معك ..."

وجد نفسه يقول دون ان يحدد السبب حقا " انا ... آسف ..ريمة "

اتسعت ابتسامتها بينما التمعت عيناها بدموع لم تهطل لتقول " اتمنى لك .. كل السعادة لانك تستحقها .. انت رجل رائع "

رد لها بصدق " وانت امرأة فريدة من نوعها .."

لم يدرك الاثنان ان هناك من وصل ليسمع آخر جملتين فقط ... طيف اسود غاضب حانق يقف خلف الباب الموارب ... هذا الطيف لم يكن الا لماهر الذي شعر ان قدرته على الاحتمال استنفذت ...

بعد المكالمة التي انهاها قبل قليل مع يسرا شعر انه فقد احترامه لذاته ولكن .. ها هي تلك الخبيثة لتمزق شعوره بالذنب نحو يسرا وتؤجج نيران الغضب والانتقام ...

تحرك بخطوات نارية وبدلا من ان يدخل مكتب ابيه دخل مكتبها هي ... لينتظرها ... لقد حان الوقت !

دخلت ريمة لتتفاجئ بوجود ماهر .. وقبل ان تعبر عن مفاجأتها قال بهدوء قاتل بينما عيناه تنضحان بالكره " ماذا كنت تفعلين مع ابي ؟"

عقدت حاجبيها وهي تسأل باستهجان واضح " ماذا تعني سيد ماهر ؟" رد بغضب هادر" تبا لك من امرأة مستغلة حقيرة .."

اتسعت عيناها ذهولا بينما ابتسم بكراهية وهو يقول " هل تفاجأت بما انعتك به ؟! اجل انك حقيرة لانك تستغلين ضغف رجل وهو يمر بمحنة في زواجه لتخطفيه .. لاتعطيه حتى الفرصة ليقاتل من جديد لاجل المرأة التي احبها طيلة حياته .. هذه المرأة هي امي ... امي هل تفهمين ؟؟!!"

اختنقت ريمة بينما تتعرى حقيقة صورتها امام نفسها ... تلك الصورة التي تهربت من النظر نحوها ... اجل .. هكذا يراها الآخرون ... قالت تحاول التماسك " ماذا تعني ؟ هل جننت لتتكلم معي هكذا ؟!!"

قال من بين اسنانه وهو يقترب منها حتى احرقتها انفاسه الهادرة " الزمي الادب وانظري مع من تتكلمين .."

كانت تنظر اليه وبضع دمعات هطلت رغما عنها ... بينما عقلها كان يستدرك لماذا ارعبها دوما !! انه مختلف ... ليس كوالده ... ليس كاحد عرفته سابقا ... هذا الفتى يستطيع تحطيمها فعلا اذا اراد !

وكأنه يعكس افكارها عنه عندما قال بشراسة " استطيع تحطيمك بسهولة ... لن اتردد لحظة ! لن تخدعيني بدموعك كما تفعلين مع والدي ... "

مسحت دموعها بإباء وقالت بتماسك وهي تدّعي انشغالها بجمع بعض الاوراق " يبدو انك لاتدرك ما تقول سيد ماهر ولذلك لن ارد عليك فأنت في عمر يناسب ان تكون كولد لي .."

ضحك بقساوة وهي يقول ساخرا " حقا ؟! هل ترينني كابنة اخيك يسرا الجميلة .."

يداها توقفتا عن الادعاء ! صوتها خرج مشحونا بالقلق وهي تسأله " كيف .. كيف تعرف يسرا .."

رد بابتسامة منتقمة " اعرفها اكثر مما تتصورين ... اعرفها لدرجة انها عرضت علي قبل قليل ان نتزوج بالسر .." وضعت يدها على فمها بينما عيناها اوشكتا ان تخرجا من محجريهما

سأل بعينين قاسيتين " ما رأيك ؟" همست " انت كاذب .." ضحك بخفة وهو يقول ساخرا بقساوة تضاهي قسوة عينيه " كاذب ؟! ربما ... لاني كذبت عليها ببعض الامور ... كذبت عليها عندما اقنعتها اني احبها بينما لااراها الا انعكاس لك .. وانت تمثلين كل شيء اكرهه .. امرأة مستغلة وسارقة ورخيصة !"

همست ريمة ويدها ما زالت على فمها " يا الهي ... انت من جعلها تكرهني !"

قال وهو يرفع رأسه بفخر " نعم ... فيسرا الان تعتقد انك من يقف في طريق زواجنا .. "

اشتعلت عيناه بالتهديد الصريح وهو يكمل " العين بالعين ريمة .... اقسم لك .. ان رأيتك قرب ابي مرة اخرى ساتزوجها سرا وافضحك .."

اخذت تهز رأسها وتقول بضعف " لن تجرؤ ... ساخبرها عن .." ضحك مقاطعا لها " لن تصدقك ... لقد قرأت مذكراتك المشينة وهي تعلم بخيوط العنكبوت التي كنت تحاولين حيكاتها حول ابي ..."

وجهها احمر بالشعور بالاهانة والعار معا ! قال بنظرة مشمئزة " كم هو مريح لي ان ارى خزيك الذي تنطق به ملامحك ..."

قالت تتوسل اليه " ابتعد عنها ... اتركها انها بريئة .. ليس لها ذنب .. انا هي المخطئة .." قال باهانة متعمدة " بريئة ؟ ليس لها ذنب ؟! ... اجل ... بريئة كعمتها ... ! قد تكون بريئة ولكنها ايضا سهلة المنال "

اقتربت في لحظة غضب لترفع يدها واوشكت ان تصفعه عندما امسك معصمها بقسوة وهو يقول من بين اسنانه " اياك ان تجرؤي ..." ثم رمى يدها بقسوة بعيدا وهو يهددها ببرود " هذا الانذار الاخير لك ... ابتعدي تماما عن ابي وسأبتعد عن يسرا ..."

لم يتنبه للحركة خلفه بينما جذبته عينا ريمة التي اتسعتا فجأة وهي تهمس " يا الهي ..."

ادرك ماهر انها تنظر لشخص خلفه وما ان التفت حتى ... رآها ... بوقفتها المصدومة وعينيها الجاحظتين ... همس باسمها " يسرا !" قبل ان يراها تهرول راكضة خارج مكتب عمتها ....

بعد يومين ...

كانت حوراء تسير في اروقة المعهد وهي تحيي الطلاب بابتسامة رقيقة ... البعض كان يبارك لها على خطوبتها فترد عليهم بخجل ...

جذبتها فتاة تقف في نهاية الممر .. كانت جميلة جدا وانيقة جدا ايضا ... شقراء وعيناها بدتا ملونتين ... لم

يكن جمالها واناقتها ما دعياها لتلاحظها ولكن تلك النظرات التي كانت تصدر من الفتاة نحوها !

لم تتفاجأ عندما اقتربت منها الفتاة بتعابير غامضة وهي تنظر اليها من الاعلى الى الاسفل ...

رغم ذلك ابتسمت لها حوراء فما كان من الفتاة التي تبدو مقاربة لها بالعمر الا ان حيتها قائلة بصوت بارد " مرحبا .. هل انت حوراء الناجي كما قال لي احد الطلبة ؟"

ردت حوراء باستغراب طفيف " نعم .. انا حوراء ... اهلا بك ... هل تحتاجين لمساعدة ؟"

قالت الفتاة وقد جمدت تعابير وجهها " هل يمكننا الذهاب لمكان ما خال قليلا من الطلاب ؟ اريد مكالمتك بموضوع مهم جدا لايحتمل التأجيل "

ردت حوراء وهي تنظر لساعتها " حسنا .. اعتذر منك ليس لدي الا عشر دقائق .. يمكننا الذهاب للساحة الخارجية انها تخلو من الطلبة في هذا الوقت .."

هزّت الفتاة الشقراء راسها وهي تتقدم حوراء بغرور !

في الساحة كانت حوراء تنظر للفتاة بدهشة فقد التزمت الصمت للحظات طويلة وهي تغمض عينيها !!

من جانبها كانت سالي سعيدة ان اغماض عينيها قد يعني انها متأثرة بينما في الحقيقة كانت تسيطر على غضب جامح يدفعها لتمزيق وجه هذه الفتاة البلهاء .. ما الذي اعجبه فيها ؟؟!! بملابسها الفضفاضة القبيحة الخالية من اي انوثة !!

اخذت نفساً وكانت سعيدة لقدرتها منذ الصغر لاستدار الدموع بسهولة .. تلك الدموع التي خدعت بها والديها مرارا ... ها هي تستخدمها لتهطل بضع دمعات بينما تسمع صوت تلك الحقيرة تقول بقلق " هل انت بخير يا انسة ؟!! عفوا ... لم اعرف اسمك !"

فتحت عينيها وهي تفتعل رجفة في يديها ورعشة مبحوحة في صوتها لتقول بضعف مدروس " انا ... سالي .. سالي القبطان ... لاا عرف ان .. سمعتِ اسمي سابقا .."

درست سالي ملامح حوراء لتدرك ان الاسم سبب لها رد فعل ما ... اوشكت ان تبتسم لكنها تمالكت نفسها لتقول باضطراب مخادع " ساعديني ارجوك .. ابي سيقتلني ... انا كنت .. على علاقة ... بظافر ... خطيبك .. لقد .. وعدني بالزواج .. وانا ... وانا ..."



رفعت يدها لفمها وكأنها تكتم نشيجها بينما سعادتها لاتوصف وهي ترى العذاب والصدمة ترتسمان على وجه حوراء ...

اكملت تمثيليتها قائلة بعينين اطرقتا ارضا " سلمته... نفسي ...بعد ان امنت له .." ثم رفعت رأسها لتضرب ضربتها القاضية وهي تضع يدها على بطنها وتقول بعذاب مفتعل " الان ... انا ... حامل .."

الفصل الرابع عشر

الابتسامة لاتفارق فمه منذ ان وقع عقد شراء البيت هذا الصباح .. البيت الذي سيجمعه بحوراء ... مولاته ومليكته واميرته المتربعة على عرش قلبه منذ .. منذ ... منذ متى ؟ ! لا يعرف ... هكذا كانت طوال حياته وستبقى على الدوام .. كم يصبو لان تعشقه بهذا الجنون هي الاخرى ! يريدها ان تذوب فيه وتلتحم روحها بروحه ...

اخذ نفسا عميقا وهو يفكر .. " كم اتوق للالتحام الكامل بها ..."

اتسع صدره بانفاس الصباح الباردة بينما يدخل بوابة معهد البحوث التقنية ... انه مصمم على اخذها الان لترى المفاجأة .. عسى ان يحنن قلبها وتوافق على اتمام الزواج قبل عيد الاضحى ...

كان يحث خطاه عبر الساحة الكبيرة ليصل المبنى ولم يصدق عينيه وهما تلتقطان وجودها الحبيب الجاذب لكل خلية فيه ...

ملأه الشغف والشوق الملتهب ليلتهمها بنظراته دون ان يلقي بالا للفتاة الشقراء التي تقف معها ...

ضوء اشتعل في ذهنه المتوقد .. فتاة شقراء ؟!! عيناه اتسعتا وهو يقترب ليميز الفتاة بل وليميز الاسوأ .. شحوب حوراء الشديد وقد جحظت عيناها بصدمة بينما سالي تضع كفيّها على بطنها ! همس بصوت مسموع " يا الهي !"

تسابقت خطاه مع انفاسه الهادرة ليصل للمحتوم ... رآها تلمح مجيئه .. تمزق وهو يقرأ نظرة عينيها ... ألم ... صدمة ... قهر .. واخيرا اغمضت عينيها لتتمايل حتى سقطت ... بين ذراعيه ....

" حوراء ... كلميني .. ماذا قالت لك تلك البائسة ؟؟"

لكن .. ما من رد ...

تلك الحقيرة البائسة هربت بينما كان هلعا على حوراء بعد ان اغمي عليها ليتلقفها بذراعيه ثم حملها سريعا خارج المعهد نحو سيارته المركونة على جانب الشارع ..

ايقظها بعطره الذي يحتفظ به عادة في الدرج الداخلي للسيارة .. كان يقبل وجهها ويتوسل اليها

لتفيق دون ان يبالي بنظرات المارة المصدومين حوله ... انه غير قادر على تصور ما قالته لها سالي وجعلها تفقد وعيها هكذا ... ليس فقدان الوعي فحسب بل فقدان كل الدفء... كل اتصال بينهما ...

ما ان فتحت عينيها ورأته حتى سالت دموع صامتة لتدفعه بعيدا عنها وتميل برأسها للجانب الآخر ثم همست " اريد امي .."

عجز عن جعلها تستجيب ... كلمها ... سألها ... شتم بسالي ... شتم نفسه !! لكن دون استجابة ....

اخذها للمشغل حيث تكون والدته في هذا الوقت من النهار ...

امسك ذراعها ما ان اوقف سيارته في موقف المشغل لكنها دفعت يده بعنف دون ان تعطيه المجال لينطق بشيء وترجلت من سيارته ليترجل هو الآخر منها لاحقا بها ...

تملك منه الغضب وهو يسحبها من ذراعها هادرا باسمها " حوراء ... توقفي ..."

اخذت تقاومه دون ان تنظر اليه فقط تهمس بضعف " دعني ... دعني ..."

لكنه امسكها هذه المرة بقوة اكبر ومن كلتيِ ذراعيها بينما همس وجبينه يكاد يلامس جبينها " انا لااعلم ما قالته تلك الحقيرة ... لكن اياك ان تجعليها تهدم كل شيء ...."

ورغما عنها طبع قبلة متملكة على خدها ثم تركها فجأة ليقول بصوت غامض اجش " اذهبي لعمتي ... سنتكلم لاحقا ..."

ابتعدت ... تتعثر بخطواتها فيكاد قلبه يتوقف مع كل عثرة ! اقسم اغلظ الايمان انه سينتقم ... سينتقم لكل ذرة ألم تسببت بها تلك السافلة لحوراء ...

لايعلم ما الذي جعله يأتي هنا حقيقة لينتظر انسانة يكرهها من صميم قلبه ... كرهه لها تضاعف بعدما حصل مع يسرا ... لم يشعر يوما بالقذارة تتلبسه كما شعر بها وهو يواجه عيني يسرا المصدومتين المكسورتين !

رآها اخيرا تخرج من المبنى السكني الذي تقطنه ..
تحرك من وقفته المستندة على دراجته النارية ليخلع خوذته دون ان يخلخ نظارته الشمسية السوداء ..
كان بحاجة لدرع حتى لايكشف احساسه بالكامل لهذه المرأة فما زال بامكانها فعل الاذى له او لوالديه ..

تحرك نحوها مناديا " سيدة ريمة .." التفتت اليه ريمة فهاله شحوبها .. تغضن وجهها بالغضب ما ان رأته ... رآى كيف اتقدت عيناها المميزتين كعيني يسرا لتتقدم نحوه بعزم وقبل ان يفهم ما يحصل ... صفعته !

كان مذهولا حقا بينما قالت ريمة " هذه الصفعة من اجل يسرا ... فتاة بريئة بعمر الزهور اغتلت سعادتها وتجربتها الوحيدة في الحب ..."

زمّ شفتيه وهو يتحامل على نفسه ليكبح غضبه ثم قال بصوت هادئ " ارجو ان يريحك قليلا انك تمكنت هذه المرة من صفعي سيدة ريمة .."

ضحكت بتهكم وهي تقول ساخرة " اصبحت تناديني فجأة بسيدة ريمة بينما كنت لاتخجل من مناداتي بأسمي دون القاب وبكل وقاحة ..."

رد ماهر وغضبه المكبوت يوشك على الانطلاق " اتيت من اجل يسرا فحسب ... انا ... اخطأت ... لم يكن عليّ توريطها ..."

ثم خلع نظارته بكبرياء ليقول بنظرات حادة " لكنك تتحملين ذنبها ايضا ... بل وذنبي انا شخصيا لانك دفعتني لفعل امر بغيض وحقير كهذا ..."

اتسعت عينا ريمة وهي تقول باستهجان " اذن وتحملني المسؤولية ايضا ؟؟! وماذا فعلت انا ؟ انا لم ... لم ... " تقطعت كلماتها والخجل غلبها ليكمل لها ماهر بصلافة " وتدعين انك لم تحاولي سرقة قلب ابي ؟؟! "

ردت وقد سكن ارهاق مفاجئ ملامحها لتقول بضعف شديد " هل تحاسبني على مشاعر ليست بيدي ؟! انا .... ضعفت واخطأت لكني على الاقل لم اتعمد الاذى ... مشاعري كانت خارج نطاق سيطرتي .." ثم نظرت اليه باتهام لتقول " بينما انت كنت متعمدا وتعرف جيدا ما تفعله مع يسرا وبكل برود اعصاب..."

هتف بها بعنف " بكل برود اعصاب ؟!! انت واهمة ... كنت اقلل من احترامي لنفسي وانا افعل هذا ... اما من ناحية المشاعر فأنا ايضا احمل من المشاعر ما جعلني افقد السيطرة ودفعني لفعل هذا ... انها مشاعري نحوي امي التي ربتني ... اراها تذبل امامي وقد مرت بمرحلة صعبة من حياتها جعلتها تهمل ابي ... انها تحبه وهو يحبها ... وكل ما كانت تحتاجه هو المساعدة لتتخطى ازمتها ... كنت اتحطم وانا اراها تتألم من بعدها عن ابي .. اتحطم وانا اراها عاجزة عن التفكير بشيء لاستعادته بينما انت تستغلين الامر وتحومين حوله تتصيدين ضعفه وحاجته للاهتمام دون رحمة ... "

اختنقت ريمة وهي تتطلع لعينيه اللتين تنضحان ولاءا وحبا لامه ...

تحشرج صوتها وهي ترد بعينين دامعتين " انا اسفة ... اسفة حقا... لكنك ايضا لم ترحم يسرا ابدا وانت تحيك الاكاذيب وتجعلها تكرهني ... لقد اخبرتني يسرا بكل شيء .. كل ما جعلتها تعتقده ..."

اسبل ماهر اهدابه ليخفي مشاعره المتأججة حنقا ثم قال " واحدة بواحدة ... ومع ذلك ... لااملك الا ان اشعر بأني ظلمت يسرا ... ولذا ... انا آسف .. لها فقط ..."

قالت ريمة وهي ترفع راسها مستعيدة بعضا من قوتها وشموخها اللذين هزّهما هذا الشاب " انتهينا سيد ماهر ... ويسرا ستتخطى ألمها وخيبتها وستجد من يقدرها ... اما انت ..." تماهلت قليلا قبل ان تكمل " انصحك ان تعيد حساباتك .. تلك القسوة التي ينبض بها قلبك اكسرها ..."

التفتت بعيدا عنه لتقول اخيرا " انا لن اخبر سيد شاهر عمّا فعلته مع يسرا .. اعتبره لسد ديني نحو امك ... وبهذا ... حسابنا اغلق سيد ماهر ولم يبقَ الا حساب الله عز وجل ..."

غادرت بخطوات واثقة وذقن شامخ لتشير بهدوء لاحدى سيارات الاجرة وتستقلها ...

تحرك ماهر عائدا لدراجته بينما شعور قابض يسيطر عليه ... لكنه بهدوء شديد التقط خوذته واستقل دراجته ليتوجه نحو الشركة ...

دخل ماهر للشركة وعيناه تعجزان عن مقاومة البحث عنها ... التقاط وجودها الذي يبهجه فربما يتحسن مزاجه الاسود ...

تفاجئ بفتاة اخرى مكانها ! تقدم دون ابطاء ليسأل متجاهلا الرد على تحيتها حتى " اين الانسة صفية ؟" قالت الفتاة الضئيلة بارتباك " الانسة صفية متغيبة اليوم .." سأل بقلق ظاهر " لماذا؟" ردت الفتاة بتلعثم " وا... والدها ... توفي ...ليلة الامس .."

صوت الجرس اوقف قرضها لاظافرها ... كانت تشعر بالرعب رغما عنها كلما تذكرت وجه ظافر ...

تحركت نحو باب الشقة لتنظر من العين السحرية تستكشف الطارق فرأت غلام صغير وبيده كيس

مشتريات ... قالت سالي بنزق دون ان تفتح الباب " ماذا تريد يا غلام ؟؟" رد عليها " هذه المشتريات طلبتها الانسة ميس ليلة الامس وقد احضرتها اليوم ما ان استوفيت كل ما ارادت من حاجيات .."

تنهدت سالي بضجر لتفتح الباب وهي تقول بحنق " هاتها ..."

شهقتها علت وهي تواجه هيئة ظافر العنيفة بدلا من الغلام الصغير ... تراجعت برعب للخلف وهي تهمس " ظافر ؟؟!! كيف ... كيف وجدت مكاني ..؟؟"

رد ظافر بوحشية وهو يدخل الشقة ويغلق بابها خلفه " اجل يا حقيرة ... ظافر ... هل كنت تتصورين اني لن اصل اليك وانت تختبئين في وكر ميس القذر.. "

ودون ان يمهلها لتفكر مد يده ليقبض على شعرها بقسوة شديدة دون ان يأبه لتوجعها ليهدر قائلا " ايتها السافلة المنحطة الرخيصة ... حذرتك سابقا ... حذرتك من الاقتراب ... وانت اقتربت جدا ... جدا ... "

ظلت تتوجع وهي تقول بتوسل " ظافر ... آآآه ... لحظة ... انا ... آآآه ... انا احبك ... قلت .. لها هذا لاني احبك ... صحيح اني كذبت عندما قلت انك ... وعدتني بالزواج .. لكن ... لكن الحمل ... مو .. مو ... مؤكد ..."

اتسعت عينا ظافر بغضب مجنون ليصرخ بها " قلت لحوراء اني وعدتك بالزواج وانك حامل مني ؟؟!!! "

ولم يشعر الا وهو يهوي على وجهها بصفعة مدوية اوقعتها ارضا ...

كانت انفاسه تهدر وهو ينظر اليها كيف ترفع يدها لخدها المصفوع بينما ظلت على جلستها على الارض .. تنظر اليه بعيون لامعة وتقول باصرار غريب وتعابير متملكة " اجل ... انا فعلت هذا ... لاحظى بك ... وانا ... حامل ... حامل منك ... شئت ام ابيت ستتزوجني ... سافضحك ... ساتهمك انك اخذت عذريتي رغما عني ... "

ثم ابتسمت بانتصار كريه لتضيف وهي تتطلع لوجهه الذي استكان فجأة " اجل يا ظافر .. وصديقتي ميس ستشهد معي ... هل تعرف ما عقوبة ذلك ؟؟ انها تسمى في القانون هتك عرض .. واذا اثبت انك اغتصبتني مثلا ستكون عقوبتها الاعدام ! تخيل ماذا سيحدث لعائلتك العريقة ايضا وكيف ستلطخها بالعار طوال حياتهم ..."

مرت لحظات وهي تشعر بالانتصار بينما ظافر يتطلع اليها دون ابداء ردة فعل واضحة لكنها على الاقل افحمته ... اليس كذلك ؟؟

فجأة ابتسم ! ابتسامته بعثت القشعريرة في جسدها ... ارتبكت وهي ترى نظراته المستهينة لها بينما يقول بهدوء شديد " لم تخيبي ظني سالي ... كنت اعرف انك ستلجأين قذر لشيء كهذا .. تتصورين انك ذكية وستلوين ذراعي .... كم انت مغفلة وغبية ... كادعائك الاحمق انك حامل بينما ندرك نحن الاثنين انك لست كذلك ... "

ابتلعت ريقها بينما تراه ينحني نحوها وغضب هائج يحوم حوله رغم سيطرته الباردة ... امسك بشعرها مرة اخرى بينما امتدت يده الاخرى لبطنها ليقول بقسوة " هنا ... لايمكن ان يكون شيء مني ... انا كنت اعرف انك تأخذين حبوب منع الحمل .."

همست بعناد " لكني اغفل عنها احيانا ..."

ضحك وهو يدفع راسها بقوة ويقول " حقاً ؟! وما رأيك اني اخذ احتياطي ايضا ...فامثالك قد يحملن كل انواع الامراض وهن يعاشرن كل من هب ودب كبائعات الهوى الرخيصات ...."

اختنقت بالاهانة والشعور بالاذلال ... قالت وهي تقف على قدميها " لايهم ... اجل انا لست حاملا لا منك ولا من غيرك ..." ثم نظرت اليه بتشفي وهي تقول باتسامة منتقمة " المهم ان حوراءك المبجلة لن تصدق ... " صفعة مدوية اخرى وهو يصرخ " اياك ان تنطقي باسمها ايتها القذرة ..."

لكنها لم تتوقف عن استرسالها المنتقم فقالت ببهجة وهي تراه مرتبك قليلا " وبامكاني الادعاء دوما ان الحمل اجهض ... وربما ساتهمك انت بفعل ذلك بعد ان ابرحتني ضربا مثلا ..."

اغمض عينيه ليستعيد تركيزه ... ما ان نطقت هذه السافلة باسم حوراء حتى تشتت ! لا ... عليه التماسك ... عليه ان لا يفقد السيطرة الان ...

فتح عينيه لينظر لوجه سالي الفخور ليقول بدون تعابير " تظنين نفسك ذكية .. اليس كذلك ؟ حسنا ... ساخبرك بما عندي ..."

اسبل اهدابه قليلا ثم قال بهدوء " اذا ادعيت اني اخذت عذريتك التي اشك انك فقدتها منذ سن الرابعة عشرة فصدقيني ستفتحين على نفسك باب لايمكن غلقه ... ساحطمك ببساطة بكل ما عرفته عنك وانا اتقصى تاريخك الاسود ..."

ارتجّ رأسها للخلف بردة فعل قوية بينما همست بقلق " ماذا تعني ؟؟"

نظر اليها باشمئزاز ثم رفع يده ليعدد على اصابع اليد الاخرى قائلا " في السادسة عشرة تم الامساك بك في حفلة داعرة مع امثالك والشرطة التي اخذتك من سرير احدهم تحفظت على الامر بدفع اموال طائلة من ابيك الذي صدق دموعك بأنهم اعطوك مخدرا وخدعوك .. لكني دفعت ايضا لاصل ويمكنني ان ادفع لاثارة الموضوع مرة اخرى ..."

اتسعت عينا سالي بصدمة بينما اكمل ظافر وهي يؤشر على الاصبع الثاني " لدي شابان مستعدان ليحلفا على المصحف انهما تزوجاك زواجا سريا ... "

ابتسم بقسوة ليضيف " طبعا قبل ان اقربك اصلا او حتى اتعرف بك ... " ثم اتسعت ابتسامته وزادت ضراوة قسوته وهو يكمل " وهما على استعداد ايضا ليقسما انك لم ... تكوني ... عذراء ...."

زمّت سالي شفتيها بقوة ثم قالت " لايهم ... حتى لو اثبت ما تقول ... ساتهمك باغتصابي ... انك اجبرتني على معاشرتك ..."

ضحك ظافر عاليا ثم قال " كم انت غبية ... هل تعتمدين على ميس لتشهد معك ؟ هل تتصورين ان ميس ستقحم نفسها في هذا ؟؟!! استطيع ان اتسبب لها بفضيحة هي الاخرى ولا تنسي تأثير عماد عليها ... انه صديقي وسيفعل ما اريده منه .."

تقبضت يدا سالي بغضب مستعر من شدة احباطها بينما اكمل ظافر بسلاسة " لن اكمل تعداد فضائحك فيكفي ما قلته ... وبالمناسبة .." اقترب منها ليمسك ذقنها بقساوة مؤلمة وهو يقول " وفوق كل هذا ... استطيع ان اخادع كما تخادعين ... وعند الضرورة ساقدم ورقة زواج سريّ بيننا وبامضائك !"

فاجأته سالي بأن امسكت يده التي تقبض على ذقنها بكلتي يديها ثم اخذت تقبلها بهوس وهي تقول " احبك ... احبك ... فعلت كل هذا لاجلك ... اعلم انك غاضب مني لكنك في قرارة نفسك لاتقاومني ... تعرف انك مهووس بي ايضا كهوسي بك ... "

كان قد تركها تقبل يده وتقول كل ما عندها بينما تمادت اكثر واخذت تفتح ازرار قميصها الانيق وهي تهمس بعيون تلمع " اشتقت اليك ... انت ايضا اشتقت الي ظافر ... نظراتك تشتهيني ... "

خلعت قميصها امام نظراته المبهمة لتقترب منه تحتضنه وتقبل وجهه وعنقه بينما اخذت يداها تعبث بازرار قميصه لتحلها ... مرت لحظات ولحظات وهو كلوح الثلج ... كانت انفاسها تتسارع وهي تستمر بتقبيله حتى وصلت شفتيه لكنه لم يرفع يده حتى ! اختنقت بقهرها وتوقفت عمّا تفعله لتحني راسها بذل ما بعده ذل وقالت بغضب سافر " ما الذي فيها ليجعلك وفيا لها هكذا ؟!! لم يقاومني احد من قبل ... لم اشعر يوما بهذا الرفض وهذا الامتناع عن تلبية رغباتي ...."

ابعدها عنه ببرود شديد ثم اخذ يعيد تزرير قميصه بتأنٍ بعدها وبكل بساطة التفت موليا لها ظهره ومتوجها نحو الباب وهو يقول " انتهى الامر ...

والمرة القادمة اذا تواصلت مع حوراء بأي طريقة اقسم برب العزة ساحرقك بتاريخك الضحل ..."

خرج ظافر مغلقا الباب خلفه بينما سالي تنهار على الارض تبكي بحرقة خذلانها لكنها ما زالت تتوعد !

ما ان استقل سيارته حتى اتصل بوالده اخبره بايجاز بكل ما حصل ... رد عليه آسر بهدوء " حسنا ... ربما هي لن ترتدع ... لذلك ساتصرف انا ايضا ..."

سأل ظافر " ماذا ستفعل ابي ؟" رد آسر " لاتهتم بما سأفعل ... ما عليك الاهتمام به حاليا هو حوراء فقط ... " صمت قليلا ثم اضاف " سالي انتهت بالنسبة اليك وعليك معالجة الضرر الذي حصل ... فكن هادئا وذكيا كما عهدتك .." ...

اغلق الخط مع والده ليتصل برقم آخر ...

قال ما ان فتح الخط " مرحبا عمي ..." رد بلال وقد شاب صوته القلق " مرحبا ظافر ؟؟؟ ماذا يحدث ؟ انا في طريقي للمشغل .. نجلاء اتصلت بي قبل قليل بعد ان عجزت وهي ووالدتك عن فهم ما جرى من حوراء .. ماذا حصل ؟؟ حوراء تلتزم الصمت بينما لم تتوقف عن البكاء ..." قلبه كان يتمزق لكنه اصلب من ان يضعف الان .... عليه تحكيم عقله والسيطرة على الامور قبل ان تفلت منه ...

قال ظافر بتماسك " يجب ان اراك عمي ونتحدث .. هناك امر حصل فعلا ويجب ان نتكلم حوله .. "

صمت بلال للحظة ثم قال " تعال بنيَ للمقهى القريب من المشغل ... يبدو اني يجب ان اعرف منك لاتمكن اولا .." ....

تبادلت نادية ونجلاء النظرات وهما تتطلعان لحوراء التي اتخذت من احدى الارائك ملاذا لها تتكوم عليها في الزاوية ... لقد جاءتهم حوراء في حالة صدمة شديدة لتنهار في بكاء مرير ما ان رأت امها وبعدها هدأ البكاء لكن حالتها لم تتحسن بل هامت مع دموعها بعيدا عمّا حولها ولم تستجب لمحاولات نادية ونجلاء لدفعها حتى تتكلم ...

اتصلت نادية بظافر عسى ان تفهم ما يحصل لكنه اخبرها انه سيفهمها لاحقا وان الامر لايعدو سوء تفاهم ... اي سوء تفاهم يحدث هذا الضرر ؟!!

" السلام عليكم .." كان هذا بلال ... تطلع نحوهن بهدوء وقبل ان ترد احداهن السلام كانت حوراء تركض لترمي نفسها في احضانه تبكي كطفلة ...

في مساء اليوم التالي ..

وقف ظافر على قدميه ما أن رآى بلال يدخل غرفة الجلوس ليسأله بصوت مختنق " كيف هي اليوم ؟"

رد بلال وهو يجلس على احد الكراسي " ليست بخير ... والحمد لله على كل حال .. "

عاد ظافر لجلوسه بينما الاحباط يتفاقم في داخله ... قال بلال " انها ترفض التحدث مع احد بالموضوع ولاتقول الا (دعوني بمفردي احتاج للاختلاء بنفسي) ..."

مرر ظافر يده في شعره وهو يقول بانفاس مختنقة " لكن لماذا تفعل هذا بنفسها وبي ... تلك الفتاة.. كاذبة .."

نظر اليه بلال ليقول بهدوء " لكنها لم تكذب عندما قالت انك اقمت علاقة محرمة معها حتى وان كانت برضاها ودون ضغط منك ..."

شعر ظافر بنقمته تتزايد فقال بانفعال " عمي حوراء .. تعرف ... وغفرت لي كل علاقاتي السابقة .. وانا التزمت .. لماذا الان لاتسامحني على شيء سامحتني عنه سابقا ... انا لم اخدعها ..."

قال بلال بصوت معتدل " اهدأ بنيَ .." اطلق ظافر عدة انفاس ليهدأ بينما قال بلال بتأنٍ" ما حصل صباح اليوم هو ما كنت متخوفا منه .. "

رد ظافر متمالكا نفسه " عمي انا لم ادّعي انني .." قاطعه بلال وهو يشير اليه بيده ليهدأ ثم قال مفسرا " لااقصد واقع افعالك الماضية ولكن واقع ان حوراء رغم قوتها الا انها مثالية جدا ..."

التزم ظافر الصمت لكن بلال كان يقرأ تعابيره التي تشير الى التفكير بما يقول فاكمل كلامه قائلا " هي رضيت بك وسامحتك كما تقول عن اخطائك السابقة .. وانا كنت سعيدا بل مبتهجا بعودتك لمرضاة الله والابتعاد عن نواهيه خصوصا وان ابنتي من ساعدتك في ذلك .. او لنقل انها كانت السبب لتعود لاصلك الطيب وزرعك النظيف ... الدافع لتلقي بعيدا برداء الشيطان الذي جعلك تسير خلف ملذاتك وتعصي خالقك ..."

صمت قليلا ليضيف بعدها " لكن ... مواجهة تلك الفتاة وضعت حوراء وجها لوجه امام اقبح اعمالك ... فيما مضى كانت تسمع اما صباح اليوم فقد رأت ...! وما رأته هزّها وهزّ ثقتها بنفسها وبقدراتها على اكمال المسير معك .."

ابتلع ظافر ريقه بصعوبة لكن تمسك بواجهة مسيطرة وهو يقول بلهجة قاطعة " ماذا تقصد عمي ؟! انا لن اتنازل عنها ... لن ابتعد لمجرد انها لاتستطيع مواجهة ما وافقت عليه ..."

قال بلال " اهدأ ظافر ... الامر يحتاج لبعض الوقت ... كل ما ساطلبه منك ان تنتظر ... انتظر حتى تستعيد حوراء نفسها وتلم شتات ثقتها التي تبعثرت ..."

نظر ظافر نحو عمه بلال ليسأله بصراحة " هل ... هل ستقف بجانبي عمي..؟؟ هل ستدعم ارتباطي بحوراء ؟؟" رد بلال بعد لحظات " نعم ... سافعل .. ان شاء الله ..."

بعد اسبوعين ..

هبطت سلسبيل درجات السلم بينما التقطت وجود اخيها عن نهايته ... انها تشفق عليه ... تدرك معاناته وقد امتنعت حوراء عن اللقاء به او حتى مكالمته بل واعتزلت في البيت بعد ان اخذت اجازة مرضية من عملها ... انها تتألم من اجلها ومن اجل ظافر ايضا ...

كما توقعت كان ينتظرها ليسأل بلهفة يحاول اخفاءها " هل ستذهبين اليها اليوم ايضا ؟" ردت " نعم .."

تحشرج صوته وهو يسالها سؤالا آخر " هل تسأل ... عني .." وضعت يدها على كتفه لتقول بتعاطف " امنحها الوقت يا ظافر ... ألم يقل لك عمي بلال هذا ؟؟"

اخذ يمرر يده في شعره وهو يقول بحنق " الجميع ... الجميع يقول هذا وليس عمي بلال فقط ... حتى والدي !"

قالت بابتسامة مشجعة " اذن اصبر اخي ... الامر كان صعبا عليها جدا عندما واجهته بهذه الطريقة البشعة ..."

سألها بتركيز " هل .. هل تأكدتِ انها علمت بأن .. كل ما قالته تلك .. الحقيرة كذب ؟"

ردت وهي تهز رأسها ايجابا " نعم ... انا اخبرتها بنفسي رغم ان العم بلال اخبرها ايضا .." سأل بقلق " وماذا قالت لك ؟؟"

اسبلت اهدابها وهي تقول " لم ترد الا بجملة واحدة (لم يعد مهما !)"

شخر بقوة ليضرب بعنف على حافة السلم فأخذت سلسبيل تمسد على كتفه بحنان وهي تقول " اهدأ ظافر ... اهدأ اخي ..."

غامت عيناها بعاطفة الحب لاخيها وهي تراه يحيد براسه جانبا بينما صدره يهتز من جانبه الايسر ... قالت برقة " انت تشتاق اليها اليس كذلك ؟؟"

رد بصوت اجش مبحوح " مضى ... اسبوعان ... اسبوعاااان ..."

قالت سلسبيل فجأة وهي تنظر عبر احدى النوافذ " انظر ظافر ... انها تمطر !"

لم يرد على تعليقها عن المطر وقد التمعت عيناه فجأة وهو يسلطهما على وجه اخته ويقول " وهل ستبقين عندها حتى تنام ليلا ؟؟" ردت بدهشة " نعم ..." فقال وهو يبتلع ريقه بوضوح " سلسبيل ... اريد منك شيئا .."

عبست سلسبيل بمرح وهي تقول " لماذا اشعر ان ما تريده لن يعجب حوراء ... ؟!!"

همس لها ببضع كلمات وهي ابتسمت بمكر بينما علا صوت والدهما من عند باب مكتبه قائلا " على ماذا تتآمران يا اولاد الغازي ؟؟!!"

ضحكت سلسبيل وهي تخطو نحو والدها لتصل اليه وتتعلق بعنقه وهي تقول " العشق صعب يا آسري .."

همس آسر بمكر قرب اذنها " مهدي قادم ليقلك بنفسه الى بيت عمتك ..."

عقدت سلسبيل حاجبيها وهي تبتعد عن والدها وتدّعي الحنق قائلة " عندي سيارتي الخاصة ولا احتاج مساعدة من ابن عمي ..."

رد آسر وهي يعض شفته السفلى دون ان يخفي ابتسامته المستمتعة " كم احبك يا محتالة ... اذهبي مع (ابن عمك) بسيارته بدلا من الذهاب بسيارتك التي تشبه الصندوق الصغير .."

هذه المرة عبست مستاءة حقا وهي تقول " لا تستهِن بسيارتي ... انها رائعة وانا احبها هكذا .. صغيرة وبسيطة وعملية ... كما اني اعشق لونها الذي يضاهي لون البحر سحرا ..."

ضحك آسر ملئ شدقيه بينما سماع صوت بوق سيارة مهدي جعلها تبتسم في لحظة لتنحني نحو خد ابيها تقبله وهي تقول " الى اللقاء مساءا آسري ..."

تبسم آسر وهو يهز راسه يمينا وشمالا يراقب خطواتها التي تكاد تحلق لتصل لمهدي ...

التفت بعدها لينظر نحو ولده الشارد وهو يقف متكتفا قرب احد النوافذ يراقب المطر ..

ناداه آسر بهدوء " تعال ظافر ... هناك امر مهم .."
ثم التفت نحو باب مكتبه وهو يبتسم ويقول "
حتى تتفرغ للامر المهم الذي اتفقت عليه مع تلك
المحتالة التي تأسر قلبي .."

ما أن جلسا في غرفة المكتب حتى سأل آسر بطريقة
عملية بحتة " هل اتصلت بك سالي مرة اخرى ؟"

رد ظافر بملل " منذ يومين توقفت عن ارسال الرسائل
.. ما زال عقلها الغبي يصور لها اني احبها وافعل هذا
لاثير غيرتها !!"

رد آسر بابتسامة صغيرة " انه التعنت بنيَ وليس
الغباء ! وربما في النهاية هو نوع من انواع الغباء ..."

صمت للحظات ليقول بعدها " والدها سيصل اليوم
من امريكا ..."

تنبه ظافر للهجة ابيه الجدية فالتزم الصمت يستمع
له فاكمل آسر وملامحه هادئة تماما " سبب توقفها
عن ارسال الرسائل هو تدخل من والدها مباشرة
واليوم سينهي المسألة مع ابنته وسيأخذها معه
عائدا لامريكا ..."

عقد ظافر حاجبيه قليلا ليتساءل " ماذا فعلت ابي
لتجعله يتدخل ؟!!"

ابتسامة صغيرة علت فم آسر ليقول بعدها " لاشيء
غير اني انقذته من سجن محقق ومطاردة من الشرطة
الدولية ..."

فقال ظافر بريبة " لاتقل انك دفعت ديونه !
لااصدق انك تدفع مالا لمجرد ان تبعد سالي عني ...
انا استطيع التخلص منها دون اي مال يذكر .."

رد آسر بعينين تلمعان ذكاءا " والدها هو الوحيد من سيبعدها عنك لانه مصدر امدادها بالمال وعينة مثلها لاتستطيع العيش دون مال لتنفقه ..."

ابتسم ليضيف " كما اني لم ادفع مالا لتسديد ديونه وانما اشتريت ديونه فحسب ... والان روحه في يدي ... انها صفقة ... يبعد ابنته عنك ابعد يدي عن عنقه فلا اخنقه .."

لاح الصمت على ظافر فلم يبدِ ردة فعل فقال آسر بغموض " ينقصك تعلم الصبر بنيّ ... لابأس ... كنت مثلك في سنك .. ادرك صعوبة ان تصبر عليها وتنتظر قرارها الاخير ..."

رد ظافر بوحشية مفاجئة " قرارها الاخير لن يتغير ... انها لي ... ملكي ... "

اتسعت ابتسامة آسر ولم يعقب بشيء وهو يسبل اهدابه ويهمس بسره مستمتعا بالكلمة " امرأتي ...."

كانت تلوح بيدها باستمتاع وهي تركض نحوه .. اجمل ما فيها هذه الحيوية النارية التي سلبته قلبه وعقله .. لم تبالي بقطرات المطر المتساقطة برقة على شعرها ووجهها وكل شيء فيها في اعلان مبهج للشتاء ..

فتحت باب السيارة لتستقل الكرسي بجانبه وهي تبتسم باستمتاع وتقول " مرحبا يا وسيم ..."

لم يرد عليها وعيناه تلاحقان قطرات المطر العالقة على شعرها ... قلبه خفق بهجة لحمرة طفيفة غزت خديها ... قال اخيرا بصوت مبحوح " هل استحق منك كل هذا الانتظار ؟!!"

ردت ببشاشة وهي تدعي عدم الفهم " اقسم لك يا وسيم لم اكن اعرف انك ستقلني لبيت عمتي نجلاء ... كما اني لم اتأخر عليك بمجرد ان اطلقت بوق السيارة انا خرجت ..."

اخذ ينظر اليها للحظات طويلة بينما هي تتمسك بابتسامة بشوشة اقرب الى البلاهة !

تنهد وهو يشغل محرك سيارته وينطلق بها بهدوء ..

قريبا من بيت العمة نجلاء توقف مهدي فجأة ... كان على وشك الوصول فعلا لبوابة البيت عندما قرر

فجأة قطع ثرثرتها المغيظة عن استاذها الجديد والمقالب التي تعملها فيه ...

ركن سيارته جانبا والتفت نحوها بينما هي تتساءل بتلك البراءة المخادعة " لماذا وقفت هنا يا وسيم ؟ "

اقترب منها يسأل بضيق " لماذا لاترتدين القلادة التي اهديتك اياها ؟؟"

التمعت عيناها الشقيتان لتقول " ومن قال اني لاارتديها ؟!! انظر ... انها هنا تحت ملابسي لاتفارق رقبتي .." كانت فعلا تمد يدها عند ياقة قميصها المقفل لتسحب السلسلة وتتركها تتدلى على صدرها ...

همس مهدي بعاطفة حارة " سلسبيل .. ردي عليّ ... احتاج ردك الان ... اعلم ان ظافر وحوراء يمران بظروف صعبة وان الوقت قد يكون ...."

قاطعته بصوت غريب ونظرات اغرب " مهدي ... افتح القلب ..."

للحظة لم يفهم ما تقصد فأشارت له بعينيها نحو الاسفل فادرك انها تشير للقلب الذي اهداه لها ...

مد يده ليلتقط القلب وانفاسه تتحشرج ... فتحه فطالعته صورته ... صورة قديمة ربما كان في العشرين او الحادية والعشرين ... همساتها الناعمة امسكت بتلابيب قلبه وهي تقول " هذه الصورة معي دوما .. كنت اخبؤها عن الجميع ... انها سري الصغير يا وسيم ... " صمتت للحظة فقط قبل ان تزداد همساتها نعومة وهي تقول " انك انت سري .."

تطلع اليها وقلبه ينتفض لم يملك الا ان يجذبها لصدره يضمها بقوة آلمتها بينما شفتاه تهمسان قرب اذنها " انا احبك سلسبيل ... احبك ..." ترقرقت عيناها بالدموع ... انها دموع النصر !

قالت سالي بصوت حانق ملول " ابي لااريد العودة لامريكا ... كم مرة علي اعادة الامر ؟!!" ثم اسبلت برموشها لتخفي قلقها وهي تقول بنبرة ضجر مخادعة " انا حتى لم افهم تحذيرك القاسي بالهاتف ان لااتصل بظافر الغازي ! انا لااعرفه بشكل حميم لاتصل به باستمرار ... انه مجرد صديق او رفيق اذا احببت التسمية ... لاشيء خاص ... ولااعرف من اوهمك اني اسبب له المشاكل ليهددوك حتى ابتعد عنه ... الا ترى انك تبالغ بافتعال الامور ..."

رفع الاب راسه قليلا وهو يقول بهدوء ظاهري " بل تعرفينه جيدا ... هل تنكرين انك كنت تنشرين وسط الجالية العربية في امريكا انه خطيبك وان عرسكما قريب ؟؟"

رسمت ابتسامة مزيفة على فمها لتقول بمرح ظاهري " كانت مجرد مزحة ... قلت لك نحن اصدقاء واحببت اغاظته لااكثر ... ألم تكن تمازح اصدقاءك ؟!!"

رد الاب وهو يناضل للسيطرة على غضبه وحنقه منها " بل اردت ان تضعيه امام امر واقع ... اسمعيني سالي ... ستحضرين اغراضك الان سنعود الليلة لامريكا ..."

ضربت بقدمها الارض وتكتفت وهي تقول بطفولية متعمدة " لن افعل ... الا تفهم ؟؟!! لااريد ..."

زمّ شفتيه ليقول بعدها " حسنا تريدين البقاء هنا ؟! لك هذا ولكن عليك البحث عن عمل .."

عبست سالي قليلا وهي تسأل" ماذا تقصد ؟؟!!"

رد وهو يتكتف مثلها قائلا " اقصد اذا اردت العيش هنا عليك ان تجدي عملا لتعيلي نفسك لاني لن ادفع لك فلسا واحدا ..."

ابتلعت سالي ريقها فاستسلمت لسلاح النعومة وهي تقول " ماذا تقصد ابي ؟! انا ابنتك الوحيدة ... هل ستدعني اعمل لاعيل نفسي ؟؟ امي لن ترضى بهذا ايضا .."

رد باشمئزاز واضح " امك مشغولة بحفلاتها الخاصة لتدرك ما يحصل حولها اصلا ... انت الان آخر اهتماماتها ... "

ثم نظر اليها ونضحت عيناه بالبؤس وهو يقول " انتما الاثنتان من طينة واحدة تعيشان عالة علي !"

بدأت سالي تشعر ان الامور تفلت منها ! هذه المرة الاولى التي يكلمها والدها بهذه الطريقة !!

قالت بدهشة لم تخفها " ابي ! لماذا تكلمني بهذه الطريقة ؟!"

انفجر وهو يكاد يصرخ قائلا " لانه طفح الكيل ! انا اكاد اشهر افلاسي وانت لاتفهمين ... تريدين ظافر الغازي كأي لعبة جديدة دفعتني لاشتريها لك ان لم تنجحي بأخذها بنفسك عنوة.. لكن هذه المرة (بابا) غير قادر على المساعدة ... بل انه سيغرق وستغرقين معه ..."

اتسعت عينا سالي وهي تسأل بذهول وصدمة " ابي ... ماذا يحصل ؟!"

رد بنفس النبرة الهادرة في غضب" اذا اردت ان تحافظي على نمط عيشك الذي تعشقينه ودون ان تبذلي جهدا عليك الان تحضير حقائبك لنغادر البلد ونعود لامريكا ..."

ما زالت تنظر اليه بصدمة بينما اضاف الاب بنبرة قاطعة حادة لم تعتدها منه " وانسي تماما ... بل اشطبي من حياتك كل ما يتعلق باسم ظافر الغازي ... " ثم مسح وجهه بارهاق واضح ليقول وكأنه يحدث نفسه " والا فيرحمنا الله لان آسر الغازي لن يفعل ! "

بعد منتصف الليل

وقف تحت زخات المطر يتطلع في جنح الليل نحو شرفتها المظلمة ... لم يبالي بالبلل فكله كان في احتراق اليها !!

فرد كلتي ذراعيه جانبا واغمض عينيه ليهمس لحبات المطر التي تغرقه " اقسم اني لن اتحرر منها .... "

ثم فتح عينيه يتطلع لشرفتها مرة اخرى بينما ذراعاه ما زالا مفرودين جانبا ليهتف بصوت خنقه صوت المطر الهاطل " لااستطيع التحرر منك مولاتي .... بل لااريد !!.."

ثم صرخ بصوت اعلى " لااريييييييييييييد ..."

وسط دفأها ونومها الذي شابه بكاء متقطع من احلام بشعة شعرت برطوبة باردة تتسلل اليها ...

كانت منهكة لتستجيب فورا لكن البرودة تضاعفت وهي تتمثل بذراعين تحاوطانها وجسد يلتصق بجسدها بينما شفتين رطبتين اخذتا تغمران وجهها بقبلات مستعرة تناقض برودة ملمسهما ...

فتحت عينيها بشهقة لترى وجهه ماثلا امامها في ظلمة غرفتها ... اتسعت عيناها لتهمس بعدم تصديق " ظافر ؟!" دفن وجهه في عنقها يقبله باشتياق فاق كل الحدود وهو يهمس بشغف متقد " خادمك مولاتي ... لم يعد يعيش منذ طردته من جنانك ..."

الفصل الخامس عشر

اخذت تدفع كتفه الرطب وتتهرب من قبلاته وهي تهمس خوفا من ان يدرك وجوده احد من عائلتها " ظافر ... ابتعد ... كيف ... كيف دخلت .."

لكنه رد بهمس مختلف ينضح شوقا وعاطفة قائلا " لاشيء يقف بوجهي مولاتي عندما اريد قربك .."

كان يضمها بقوة لصدره وهي تهمس مقاومة " ظافر .. ظافر !" فيرد هو بهيام " يا ليت ظافر يموت بين ذراعيك هكذا ... فقط لو تعشقيني كما اعشقك .."

لكنها كانت تتماسك فقالت بحنق " ظافر .. يكفي ... ابتعد .. يا الهي كيف تجرأت ودخلت غرفتي هكذا ..؟؟!"

يقبل جانب وجهها رغم مقاومتها وهو يهمس " الشوق اهلكني وحطمني ... " ثم اخذت انامله تلامس القماش المخرم لاعلى قميص نومها وهو يقول بحرارة " اذن هذا ما ترتدينه وانت تنامين بعيدا عن ناظري ... بعيدا عن احضاني حيث يفترض ان تكوني .."

كانت ما تزال تقاوم وهي تحاول ان لاتصدر اي صوت لكن مقاومته متعبة جسديا وعاطفيا على حد سواء ... همس قرب وجهها وانفاسه المرهقة تداعب بشرته " لاتستنفذي قوتك بمقاومتي .."

اراد الوصول لشفتيها وهي تهرب منه وتهمس ب (لا) فقال برقة " قبليني حوراء .. لاتهربي بشفتيك مني ..."

اشتعل غضبها لعجزها عن ابعاده فقال بصوت منخفض ينفث لهيبا " انت مجنون ! هل تدرك ما تفعله ؟! هل تدرك اذا دخل علينا والدي الان ماذا سيحصل ؟!"

ابتسم وهو ينظر مباشرة لعينيها ثم قال وهو ينزل بنظراته لشفتيها " لقد اغلقت الباب بالمفتاح ..." نظرت اليه بغضب فاق كل الحدود قائلة " يا الهي ... ماذا تظن انك تفعل بالضبط ؟! وهل تحلم بأني سأسلم نفسي لرغباتك هذه ؟!"

عبس قليلا رغم انه ما زال يحتفظ بابتسامته ثم قال " انها ليست رغبة ... يا الهي ... لقد قلت سابقا انك ستتعبيني وانا اعلمك الحب ..."

زمّت شفتيها ثم قالت بسخرية مريرة " الحب ؟!! هل هذا ما كنت تتشاركه مع الفتيات اللواتي كنت تعاشرهن ؟ كتلك المدعوة سالي ؟! "

مرت لحظات ... لم يصدق كيف وصفت الحب الذي يكنه لها بطريقة جعلته يبدو بشعا ورخيصا ...

قال بغضب بارد " هل هذا ما تظنينه حوراء ؟؟ اني كنت احبهن كما احبك انت ؟ اني اريد الان معاشرتك مثلا لمجرد رغبة وشهوة اشعرها نحوك وادّعي انها الحب والعشق ؟؟"

لم تتغير تعابيرها بينما سمح لها بدفعه اخيرا والتسلل من سريرها بعيدا عنه .... اولته ظهرها وهي تلتقط روبها لترتديه وتلكأت ان تلتقط حجابها فاكتفت بالروب فقط لتستدير نحوه .. وجدته خلفها مباشرة دون ان تشعر بتحركه ...

اوشكت ان تشهق لكنها تمسكت بالغضب والاحباط لتستمد منهما القوة حتى تواجهه بالقول " انا اريد الانفصال عنك .."

رات تعابيره كيف تغيرت ... من هدوء وسيطرة على الذات الى صدمة ثم غضب !

قال بعد لحظات بلهجة قاسية لم يستخدمها معها سابقا " انت ضعيفة حقا !.. تدعين القوة والثبات ولكنك ضعيفة ومهزوزة ..."

اتسعت عيناها برفض لما يتهمها به ثم قالت بضيق " لست ضعيفة ومهزوزة .... ولكنه ماضيك .."

قاطعها بحدة ليقول " ماضيي كما تسمينه كنت تعرفيه ... لم ادّعي شيئا ولم اكذب عليك .."

اخذ نفسا قبل ان يكمل " اجل .. انا كنت ارتكب المعاصي ... كنت اقيم علاقات محرمة ... " ثم مد سبابته باتجاهها ليقول بنفس القسوة " واجهي ذاتك حوراء ... انت فشلت في التمسك بالواجهة التي وضعتها لنفسك .."

قاومت شعورا عارما برغبة في البكاء وهي ترد عليه " كم انت ماهر بقلب الامور لصالحك ؟!!"

قال وهو يرفع ذقنه بثقة " انا صادق معك ...
عشقتك منذ الطفولة ... مُذ وقعت عليك عيناي
لادرك وجودك تعلق قلبي بك ... تباعدنا ولكني
تباعدت عنك ظاهريا فقط بينما كنت اتتبع خطواتك
وادق تفاصيل حياتك .. وعندما وافقت على الزواج
مني اتفقنا ... اتفقنا ان نبدأ كزوجين صفحة جديدة
... ادخلتني في اختبارات انهكتني وانا اتوق اليك
طوال حياتي ... "

حادت بنظراتها بعيدا عنه وهي تهمس بانهاك "
كنت اظن اني قادرة ... كنت اظن نفسي اقوى ...
لكني ... لم استطع ..." ثم عادت والتفتت نحوه
بدموع غادرت عينيها رغم كل محاولاتها لحبسها
لتقول " هل تفهم ؟ لم استطع ... ولن استطيع ان
انسى او ان اطمئن لك ... كل ما تقوله عن عشقك لي
لايبعث فيّ الطمأنينة ... بالعكس يخيفني اكثر ..
يخيفني التفكير ان عشقك المتهور هذا سينطفأ
سريعا وستركنني جانبا لتعود لملذاتك وعلاقاتك
المحرمة ... ستجد فتاة اجمل مني تغريك او اكثر
حيوية وانطلاقا فتثير اعجابك وفي النهاية ستخون
عهدي لاتحطم انا ..."

نظر اليها بوجه مبهم حتى انه لم يظهر تأثرا بدموعها
فاكتفى بالقول " هل هذا ما توصلت اليه بعد
اعتصامك هذه الفترة بعيدا عني ؟!"

دموعها تسيل وهي تقول بضعف افلت زمامه " لن
احتمل العيش مع هذه الافكار .. افضل ان يتحطم
قلبي على ان اعيش هكذا .."

كان ينظر اليها بنفس الطريقة ثم قال وهو يتحرك
بعيدا عنها " لن اجعلك تدفعينا لهذا حوراء ... "

وصل الى باب الشرفة وبدلا من ان يفتحها التفت نحوها ينظر اليها في وقفتها المنهارة المرتبكة ليقول بهدوء غامض " عندما تحررين قوتك الحقيقية التي تكبلينها بافكار واهية اخبريني .." ثم اضاف بعزم لايلين " وانسي كلمة الانفصال هذه ... فاقسم برب العزة لن انفصل عنك الا وانا ميت في قبري ...."

فتح الباب ليخرج وقبل ان يغلقه خلفه قال بنظرات ساخرة " ادعي الله ان اقع هذه المرة لينكسر عنقي فموتي هو خلاصك الوحيد الان ..." ...

صباح اليوم التالي

كان يقاوم حاجته الملحة لضرب نزار هذا وهو يراقبهما من بعيد ... انه يكاد يلازمها منذ عودتها من الاجازة التي اخذتها بعد وفاة والدها ...

لم يتساءل كيف اندفع في ذلك اليوم الذي علم فيه بوفاة والدها ... لم يصبر حتى المساء ليذهب لمكان سكناها في تلك المنطقة الشعبية التي تكاد شوارعها لاتتسع لمرور سيارة صغيرة ! لكنه وجد مجلس العزاء بسهولة ... كان عبارة عن خيمة كبيرة مهترئة ضمت تحتها رجال من عينة واحدة ... وجوههم تحكي قصص مختلفة بنتيجة واحدة ، معاناة يومية وقتال شرس من اجل لقمة العيش ..

اوشك ان تأخذه مشاعره ليذهب ويعزي وربما يسأل عنها لكنه تراجع على بعد خطوات فقط وهو يستدرك غرابة تواجده هنا وفداحة سؤاله عنها بين اناس يعتبرون النظرة لفتياتهم خدش لاعراضهم شخصيا ...

وهكذا تراجع يتآكله شعور غريب بالعجز ... ليس العجز فحسب .. بل الغيرة ايضا وهو يرى من بعيد نزار وبصحبته عدد من موظفي الشركة البسطاء يحضرون العزاء بشكل بدى طبيعيا جدا ومتوافقا مع المكان ... هو فقط من كان وجوده بينهم غير ملائم والافدح سيثير الاقاويل حولها ...

وهكذا اكتفى بانتظار عودتها للشركة وشعور خانق يسيطر عليه ...

عاد ماهر لينظر اليهما ... نزار يبتسم لها مواسيا بينما هي تمسح دمعة تغافل عنها كبرياؤها لتسقط على خدها .. كم هي شديدة الاعتداد بنفسها وتأبى اظهار ضعفها ... حتى عندما عزّاها بوفاة والدها حالما عادت للعمل لم تظهر له الا الصلابة ..

حمد الله انها لاتستطيع ارتداء ملابس الحداد لان قوانين الشركة لاتسمح بذلك والا فانه لم يكن سيطيق رؤيتها بلون يعكس الحزن والاسى ... انها لاتستحق الا ان تكون سعيدة ... فتاة في ريعان الصبا تشع قوة وعاطفة لمن تهتم بهم .. تستحق ان تحصل على كل السعادة في الدنيا ...

تقدم ماهر ليمر بهما ملقيا تحية الصباح بشكل عابر مقصود ليثير غضبه تحية متحدية من نزار وكأن لسان حاله يقول (هل ستجرؤ على الاعتراض لتواجدي قربها وهي بهذه الحالة ؟؟) ...

كالعادة كتم ماهر انفعالاته وتغاضى ولو حاليا فقط عن هذا التحدي الاجوف ... فالحساب قادم وسيعلم هذا الابله عاقبة تحدي ماهر الغازي ...

تحرك ماهر بوجه لايعبر عن شيء حتى وصل المصعد وما ان دخله حتى رفع عينيه لينظر نحوهما فانسرقت انفاسه رغما عنه وهو يراها تهيم بنظراتها بعيدا عن كل ما حولها فبدت كاسطورة كبرياء غامضة حزينة ... و....بعيدة المنال !

سألها عبر الهاتف " ريمة ... هل انت مرتاحة بعملك ؟" ردت ببشاشة متعمدة " اجل سيد شاهر الحمد لله .. شكرا لاهتمامك "

أكد لها " اذا احتجت اي شيء ... اي شيء .."
قاطعته لتكمل له " لن اتردد لحظة بالاتصال بك ..."

صمت فبادرته لتقول " سيد شاهر ..." اجاب " نعم ..." قالت بجدية وشجاعة " انا اقوى مما تتصور ..."

عاد لصمته لتضيف بنفس الشجاعة " ليس لديك فكرة كم انا قوية عند اللزوم ..."

قال بصوت صادق " ساسألك لآخر مرة ... هل آذيتك ... بأي شيء ؟"

هذه المرة الصمت غلبها هي ... لكنه صمت التفكير العميق ... ارادت هذه المرة ان ترد بواقعية اكثر ... لم تعرف لماذا احتاجت لان تكون اكثر صراحة معه ... انها تعرفه ... لديه ميل طبيعي مترسخ فيه ليشعر بالمسؤولية تجاه كل من يحيط به .. لذلك لن يسأم سؤالها مرارا وتكرار حتى يطمأن عليها ... انه يعتبرها من ضمن مسؤولياته وهو لايعرف كم هي ممتنة انها حظيت على الاقل بهذا ...

قالت اخيرا " لاتسأل سيدي ... دعني اجد طريقي مرة اخرى ... وانت ايضا ... لاتضيع ما تملك .... فلديك كنز لتقاتل من اجل الحفاظ عليه ... لديك عائلة تعشقك وهم محظوظون بك وبوجودك معهم بل ومحظوظون اكثر بعشقك لهم .."

تنهيدته الصغيرة وصلتها رغم محاولته اخفاءها ... سألها بلطفه ورقته المعهودتين " كيف حال ابنة اخيك يسرا ؟" ردت بفخر " انها بالف خير ... قوية كعمتها ..."

نظرت لبوابة الجامعة ... اخذت نفسا عميقا قبل ان تخطو لتعبرها ... ها هي عبرت اخيرا لتعود لواقعها الثابت الحقيقي ... ها هي تخطو الخطوة الصحيحة الاولى لتستعيد احترامها لنفسها وذاتها ... لتلملم كبرياء مبعثر على قارعة الطريق وترمم قلب محطم لكنه ما زال صامدا ليقاوم ...

ترقرقت عيناها بالدموع ... انها العمة ريمة ... تلك القوية الشجاعة التي واجهت حباً ميؤسا منه ومن طرف واحد ...

لقد جعلتها تدرك انها اكثر حظا منها فما زالت في العشرين وما زال امامها فرص لاتعد ولاتحصى ... خنقتها العبرة وهي تتذكر اعتراف عمتها بعشقها لشاهر الغازي ... كان الألم واضحا في نظراتها في ابتسامتها وهي تداري بها ارتجاف شفتيهما ... ألم عمتها هذا غطى حتى على احساسها بالألم لحبها لماهر ... لخداعه لها ... لاستباحته ضعفها واستغلاله غفلتها وهي تظن انها تخطو خطوات الحب الاول الصحيحة ...

صوت ناعم ناداها " يسرا ... صباح الخير ... "

التفتت يسرا لزميلتها هيام فترد بابتسامة تدربت عليها طويلا ليلة الامس " صباح الخير ..."

اقتربت هيام لتنظر لزميلتها بتدقيق ثم سألتها باهتمام " كيف حالك ؟" ردت يسرا بنفس الابتسامة " بخير الحمد لله اصبحت افضل بكثير ...."

امالت هيام راسها جانبا تسألها بنظرات متفحصة " هل انت متأكدة ؟ ما زال وجهك شاحبا قليلا .. ربما ما زلت تحتاجين مزيدا من الوقت لتبقي في البيت حتى تتعافي تماما من وعكتك الصحية ..."

هزّت يسرا راسها سلبا وهي تقول " لا ... بقائي في البيت طال اكثر مما يجب ... احتجت ان اخرج للهواء الطلق .... "

ثم اخذت نفسا عميقا وهي تقول بابتسامة واثقة " ثم ان التعافي درجات ... هكذا تقول عمتي دوما ... ... "

تفاجأت نهى برؤية شاهر يدخل للمكتب المشترك للمشغل فقالت بحاجبين مرفوعين " شاهر ؟! "

رد مبتسما وهو يغلق الباب خلفه " صباح الخير ..." تقدمت منه وما زالت تعابيرها تحمل الدهشة لتسأله " ما الذي اتى بك ؟"

غمز لها قائلا " الا تريدين رؤيتي ؟" تودرت وجنتاها وهي تقول " لا.. طبعا لااقصد هذا ... لكن .. انت لم تأتي للمشغل سابقا في مثل هذا الوقت ... "

تقدم منها ليفاجأها بحركة حميمة لم يبادر لفعلها منذ وقت طويل ... امسك بخصرها ليجذبها نحوه فيهمس بشقاوة قريبا من اذنها " لكني ازورك احيانا .."

وضعت كفيها على صدره تدفعه بشكل غير جدي لتقول بعتب " بل تزور المشغل ويكون بعد العصر دوما فتقضي معظم الوقت مع نادية تسألها عن سير العمل بينما يأكلنا الغيظ انا ونجلاء وانت تعاملنا كطفلتين جاءتا لتلعبا فقط ..."

ضحك شاهر ملأ شدقيه فعبست نهى وهي تنهره قائلة " لاتضحك ...! " غمز لها والابتسامة المستمتعة تلازمه ثم قال " اصبحت تكثرين من القاء النكت ..." ازداد عبوسها وهي تقول " ولكنها نكت مستوحاة من الواقع ... "

اخذت تبعده باعتراض انثوي بينما هو يشد على ظهرها ليقربها وهو يقول بصوت مبحوح " تعالي ..."

نظرت اليه بتعجب " ماذا ! " قال بصبر وهو يميل نحو خدها يقبله ويهمس " تعالي الي ... هكذا .."

رغم تأثرها العاطفي بتقاربه الحميم هذا الا انها لم تملك الا ان تسأله بتردد " لماذا اتيت شاهر ؟ " رد بهمس حار وهو يضمها بقوة اكبر حتى الصقها بصدره " لاضمك لصدري هكذا ..."

استسلمت له تسترجع شعورا ارهقها الظمأ اليه بينما همساته تزداد رقة وهو يتلمس ظهرها " جسدك رقيق وانثوي بنعومته .. دوما كنت هكذا ودوما كنت حذرا معك حتى لااتسبب باذى لرقته هذه ..."

احمرت وهي تهمس " شاهر .. قد تدخل نادية او نجلاء ..." ضحك بخفوت وهو يقول " نادية او نجلاء ؟؟!! ستجدينهما عند باب هذه الغرفة كحارستين شرستين ليمنعا حتى طوفانا هادرا من الدخول الينا وقطع تواصلنا ..."

شهقت بنعومة وهي تراه يقترب بفمه من فمها قائلة بحرج " شاهر .." رد بعاطفة " اشتقت اليك ... اشتقت اليك قارورة العسل .." ثم لم يمنحها فرصة لقول المزيد ....

يوم عقد قران سلسبيل ومهدي

في غرفة نوم سلسبيل تعالت اصوات الموسيقى الشرقية مختلطة بضحكات سلسبيل وحوراء تشاركهما نهى بينما ينظرن لنجلاء وهي تتصارع مع نادية لتشد وشاحا عنوة حول جسدها وتطالبها قائلة " هيا نادية ... ... ارقصي قليلا ... لم ارَ امرأة ترقص اجمل منك .. هيا .. لايوجد غيرنا ... وما ان ننزل استعيدي هيئتك الوقورة التي تتمسكين بها ..."

ردت نادية وهي تقاوم لاخر مرة " لقد كبرت على هذا الرقص يا نجلاء ... توقفي ... سنقع ارضا ونحن نتصارع هكذا .."

عبست نجلاء والتمعت عيناها بتلك النظرة العازمة لتقول " انت من سيتسبب بوقوعنا هذا .. فقط اثبتي ودعيني اشد الوشاح حولك ولنحتفل على طريقتنا هنا ... لاتكوني لئيمة نادية .. تعرفين اني احب رقصك .."

تنهدت نادية باستسلام خصوصا مع الحاح الفتيات وحتى نهى اخذت تحمسها قائلة " هيا نادية ... سنمرح جميعا وقد اتعلم منك كيف ارقص .."

بحنق واضح اغلقت نادية عينيها مستسلمة ليدي نجلاء وهي تشد الوشاح بينما اخذت تندمج بالموسيقى تتمايل على انغامها ...

الباب موارب .. بفعل فاعل !... وهذا الفاعل لم يكن الا آسر ... يقف هناك .... عيناه تنسابان على طول جسد (امرأته) ... يستمتع بالنظر لرقصها الفاتن ...

ستبقى كما هي دوما ... هادرة كالبحر الذي سرقها منه ... تشع جاذبية ... خلاااابة ..

تطلع مهدي لعروسه التي تألقت بلون المشمش بينما تسريحة شعرها المتموجة جعلتها تبدو كتخيلاته عن نساء الامازون اللواتي عشق سحرهن وهو يقرأ حكاويهن في صغره ...

همس قريبا منها " احب شعرك هكذا ..."

مدت سلسبيل يدها لخصلات شعرها المموج قائلة بنظرة ماكرة " لكنك اعترضت عليه سابقا .."

اسبل اهدابه وهو يبتسم ابتسامة صغيرة ويقول " كنت اشعر بالغيرة لانك تتجملين لغيري .. هل يرضيك هذا ؟ "

هزّت كتفيها وهي تدير وجهها جانبا دون ان ترد عليه ... ناداها وايضا ... لم ترد ....

مال نحوها ليهمس " لااحب ان اتكلم ولاتردين عليّ .. قد ادللك الى ابعد حد لكن حذاري يا امازونية ان تختبري صبري كثيرا .."

التفتت نحوه تبتسم بحاجبين معقودين في تساؤل " امازونية ؟!!"

اتسعت ابتسامته ونظراته تهيم على وجهها ليقول بمرح " انهن حلم الطفولة والمراهقة بالنسبة الي ... كن يثرن فيّ كل انواع الانفعال والا عجاب حتى تتقطع انفاسي وانا اقرأ عنهن ..."

اسبلت اهدابها وهي تهمس " هل تراني مثلهن ؟"

رد بصوت اجش " بل اراك ملكتهن ... "

رفعت رمشيها لتنظر اليه بعينين لامعتين فهالتها تلك العاطفة الجامحة التي تشع من نظراته ...

قالت بصوت ساحر " الملكة تحبك يا وسيم .. تحبك بل وتعشقك ... "

ارتعشت شفتاه ونظراته تنزل لشفتيها ليهمس بصوت مبحوح " تجيدين اختيار الاوقات يا محتالة ... ساجعلك تدفعين ثمن تلاعبك معي وقتلي بالانتظار ..."

ضحكت بينما مهدي يضيف بلهجة اتسمت بالغرابة جملة استوقفتها واذبلت ضحكتها " ولكن اياك يا سلسبيل ان تتلاعبي بي .. نلعب معا فيما بيننا ... نعم ... تلعبين بي ... لا .... اياك ان تظني ان بمقدورك فعلها والنجاة من العاقبة بتسامحي ...! "

عن بعد وخارج الاسوار حيث لاينير ظلمة الشارع الا انارات متفرقة يقف رياض.... يراقب بصمت بيت آسر الغازي يعج بمظاهر الاحتفال ..

ها قد اصبحت تنتمي لرجل اخر الان .. رجل احبته فعلا بينما استخدمته هو رياض لاثارة غيرة من اختاره قلبها ...

يضع كلتي يديه في جيبي بنطاله يراقب الانوار المبتهجة وتصل مسامعه الاصوات المحتفلة فيتوجع قلبه رغما عنه .. لقد اثرت به عميقا هذه الصغيرة ... اعمق مما كان يتخيل ...

لقد تصور انه سينساها قريبا بعد فعلتها معه لكنه لم يستطع ... تقتحم فكره في خلواته النادرة التي يهرب منها لتفرض نفسها بذكرى ابتسامة ماكرة مشاغلة وعينين تبرقان ذكاءا وغموضا ....

همس بتنهيدة وهو يتحرك نحو سيارته المركونة على جانب الطريق " لقد تمكنتِ مني ... اوقعتني في مقلب من مقالبك .. لكن هذه المرة المقلب لاتصاحبه بهجة ناعمة وانما غصة في القلب ..!"

همست نجلاء بحنق قرب اذن ابنتها " اذهبي وابحثي عنه يا غبية ... انت تحبينه وهو يعشقك فماذا تنتظرين ؟؟!!"

قبل ان ترد حوراء كان بلال يقترب منها وهو يقول " ماذا تهمسين لابنتك .." ردت نجلاء بكبرياء " انصحها بضع نصائح زوجية افادتني معك .."

ضحك بلال بينما احمرت حوراء في خفر وحياء من والدها .. مد بلال يده يلامس وجنة ابنته وهو يقول بحنان " اذهبي اليه بنيتي ... لقد وعدتني بالقوة ... يكفي الوقت الذي مر لتتقبلي هذا الجانب المظلم من الحياة ... اعلم انك صُدمتِ او لنقل مثاليتك هي من صدمت ... لكن حان الوقت لتظهري قوتك حوراء ... اذهبي اليه فهو يستحق ان تشعريه بتمسكك به .."

همست حوراء بحيرة " لكن .. ابي .. انا ما زلت .." قاطعها بلال بينما نجلاء تتأفف " رأيته يتوجه لداخل البيت قبل قليل بعد ان انهكه ادعاء تجاهلك ... اذهبي وتحدثي معه .. اثبتي انك امرأة ناضجة ولست فتاة صغيرة مصدومة فتهرع لتختبئ بغرفتها ..."

هزّت حوراء رأسها ايجابا وتحركت بخطى متعثرة تبحث عنه بينما التفت بلال نحو زوجته الحانقة ليقول لها " ستجد طريقها صغيرتي فلا تحنقي هكذا ..."

تنهدت باحباط وهي تلف ذراعها حول ذراع زوجها وتقول له بعينين لامعتين " لماذا لاتقاتل ؟!! انا لاافهم سلبيتها هذه .. لم اتصورها هكذا حقا .."

تبسّم بلال ليقول برقة " انها ليست سلبية صغيرتي وانما تواجه الحياة الحقيقية وعليها الموازنة بين ما تؤمن به من مبادئ وبين الواقع ... "

انحنى نحوها ليقول بابتسامة مغيظة " ثم ليس كل الفتيات حاسمات بأخذ قرارهن مثلك ... انك فريدة من نوعك لتفعليها وانت بعمر الثامنة عشرة .."

ضحكت نجلاء بطفولية وهي تميل برأسها تسنده على كتفه بانفاس عميقة سعيدة ...

رأته يخرج من المطبخ وما ان رآها حتى اكتست ملامحه بالبرود ...

شعرت بتخاذل ساقيها لتحملانها نحوه فتسمرت في مكانها قرب السلم لتقول بتردد " مر... مرحبا ظافر ..."

رد ببرود تعكسه ملامحه " مرحبا ..." عضت شفتيها وهي تفكر (يا الهي .. انه لايساعدني ابدا ...)

اخذت نفسا قبل ان تقول ببلاهة " كيف حالك ؟"

رد بلهجة ساخرة هذه المرة " بخير... الحمد لله ..." نظرت اليه وارتباكها يقيدها " مبروك .. اقصد لعقد قران مهدي وسلسبيل ..."

لكنه لم يرد ! اكتفى بنظرات لاتعبر عن شيء دون ان يكلف نفسه عناء الاقتراب منها بينما لايفصلهما الا بضع خطوات ....

تشجعت لتسأله بألم لم تستطع اخفاءه " انت لا .. تكلمني ... منذ .. يوم ... اقصد الليلة التي ..."

انقطعت كلماتها وهي تختنق من بروده هذا الذي لم تختبر قساوته سابقا ... قال وهو يتكتف " ماذا تريدين حوراء ؟"

اوشكت ان تبكي لكنها تماسكت لتسأله بتمزق " هل سنستمر هكذا ؟" رفع ذقنه قليلا وهو يقول بصراحة جرحتها " انا بانتظار ان تعقلي .."

فردت بحدة " انا لست مجنونة ..." لم تتغير ملامحه بينما يقول وهو يتحرك نحوها " مؤكد مجنونة بافكارك السخيفة ..."

كانت تتصوره يقترب منها هي فخفق قلبها بشوق لايوصف لكنه خذل شوقها ليتجاوزها ويرتقي درجات السلم !

شعرت بغضب يعتريها وهو يتجاهلها هكذا صعدت خلفه بل وتجاوزته لتسبقه وتستدير لتقف امامه مباشرة موقفة خطواته بعناد !

نظر اليها ليقول بهدوء غريب " ابتعدي عن طريقي حوراء ..." لكنها كانت تتمسك بقشة شجاعتها فقالت بثبات " انا لم اكمل كلامي معك ... منذ اسابيع وانت تقاطعني .. "

نظراته حامت حول وجهها قبل ان يقول بغموض" انا لااقاطعك ولكن احميك من غضبي المستعر .."

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تقول بانفاس غاضبة مشحونة " انا من يجب ان تغضب ... انا من اتت اليها فتاة تقول لي (ظافر أمنت له ووهبته نفسي بعد ان وعدني بالزواج) .."

اختنقت بالبكاء وهو لايبدي ردة فعل واضحة بينما هي تكمل انفجارها قائلة " انا من كنت انظر لكفيها وهما تحيطان ببطنها والدموع في عينيها لتخبرني انها حامل منك ..."

ما ان اكملت جملتها الاخيرة حتى وارت وجهها خلف كفيها لتبكي بحرقة وبدلا من ان يواسيها اتهمها بغضب بارد " لو كنت قوية ... كنت واجهتها ودافعت عما تملكينه ... كنت دافعت عني وعن ارتباطك بي ... لو كانت عاطفتك نحوي قوية كنت مزقتِ وجهها لتقولي ان ظافر لي وحدي كما افعل انا من اجلك دوما ..."

ابعدت كفيها عن وجهها ولم تهتم بمسح دموعها بينما ترى غضبه يطفو على السطح وهو يقول هادرا " تتحدثين عن الغضب الذي من حقك ؟؟ حسنا انا اقول لك لا ... غضبك غير مبرر اصلا ... قد تغضبين بوقتها هذا افهمه لكن بعدها جعلتني اعاني الامرين من امر لم اخدعك فيه "

ضرب بيده على سور السلم الحديدي وهو يكمل هديره قائلا " سيكون مبررا لو كنت خدعتك ... لو اوحيت لك بغير حقيقتي ... كان بامكاني حتى ان اتهم تلك الحقيرة بالكذب بكل ما قالته نافيا اي علاقة تجمعني بها ولكني لم افعل ... كنت صادقا لاعترف بخطأي وصادقا وانا اتهمها بالكذب فيما قالته لك عن وعدي لها بالزواج وغيرها من الاكاذيب ... "

اخذت تشهق بالبكاء وهي تنظر اليه باستعطاف ليفهمها ويفهم ما تشعر به بينما ظافر يجاهد حتى يكبح نفسه ... اوشك ان يتجاوزها مرة اخرى حتى لايفعل شيئا يرعبها منه .. لكنها ادركت ما سيفعل فتحركت لتميل جانبا تمنعه خطوة البعاد هذه ثم ودون شعورها وضعت يدها على عنقه تهمس له

بتوسل " لا تتركني هكذا ... اتوسل اليك ... انا ... انا احبك ... احبك واغار عليك .... "

ما ان خرجت هذه الكلمات من فمها حتى قيدها اليه بذراعين من حديد يعتصرها بقوة ويقبلها بعنف عندما سمح لها بالتنفس همست وهي تذوب على صدره " يا الهي ..!" اعتصرها اكثر وهو يقول بعاطفة وحشية " اجل ... اشعري هكذا وانصهري كما انصهر ... " نادته متألمة من ضغطه " ظافر ..."

رد بحشرجة " اهمسي بأسمي هكذا مرة اخرى لافقد رشدي واخذك لغرفتي الان وليتجرأ احدهم عن منعي بأخذ حقي فيك ..." لم تكن تدرك ما تقول بينما اضعفها عشقها له وشوقها اليه فعادت لتهمس بأسمه " ظافر .."



شخر وهو يسند جبينه على كتفها ويقول بيأس " اقسم انك اكثر الاختبارات التي واجهتها صعوبة في حياتي ... كيف تستطيعين جعلي مجنونا لاملكك حالا وقويا من اجلك فقط لامنع نفسي من فعل ذلك ؟؟!! "

كانت ترتعش بين ذراعيه فتزيد جنونه فقال بقرار لارجعة فيه " زواجنا سيكون في عيد الاضحى ... انتهى ..."

رغم ضغف صوتها وهي ترد الا ان الكلمة وصلته واضحة ....

" لا ..."

الفصل السادس عشر والاخير ...

صدمته لم تأخذ الا ثانيتين اثنتين لتلتف اصابعه بعدها حول ساعديها بقوة تعتصرهما وهو يهمس بلهجة قاطعة " بل .... نعم ... ونعم ... ونعم ... "

اشتعلت عيناه بومضة غريبة ثم قال بصوت اجش " امامك خياران .. اما ان تذهبي بنفسك لوالدك الان وتخبريه بموعد زفافنا لتنهي المهزلة التي طالت .. او سانهيها انا بطريقتي التي لن تعجب احدا بكل تأكيد .."

هزت حوراء رأسها وقالت باصرار متراخٍ " انها ليست مهزلة ... انا افضل مزيدا من الانتظار .. ارجوك لاتحاول اثارة المشاكل والنزاعات في العائلة وانت تصر على رايك هكذا ..."

رد بنفس النبرة " نزاعات ؟ مشاكل ؟ صدقيني انت لم تري مني شيئا بعد ..."

ثم قرب وجهه من وجهها حتى لفحتها انفاسه وهو يقول بنبرة شرسة " الزفاف مولاتي سيتم في عيد الاضحى ... هذا قرار لارجعة فيه اتخذه نيابة عنا معا لانك في حالة رفض متعنت للاعتراف اننا خلقنا لكي يجمعنا بيت واحد .. "

ابتلعت ريقها وهي تنظر لعينيه الغارقتين في عاصفة الغضب بينما اضاف بنفس النبرة " بامكانك تجنب الاحراج ... فقط اختاري الصحيح .. من اجل العائلة على الاقل .. انزلي الان واخبريهم بنفسك انك موافقة على الموعد .."

هل هو العناد ام التشبث بمخاوفها لتحمي ذاتها وتطمئن مخاوفها ؟؟ لاتعلم ... ما تعلمه انها وجدت بعض القوة لترفض مرة اخرى قائلة " لا... اريد مزيدا من الوقت ... "

ابتسم ! ... اجل ابتسم ابتسامة اخافتها ... ثم اصابها نوع من الشلل وهي تراه ينحني قليلا دون ان تميز ما سيفعله لكنها مجرد لحظة بعدها وجدت نفسها محمولة على كتفه ليتدلى رأسها بوضع مقلوب خلفه بينما تناضل لتمنع حجابها من الانزلاق ارضا بيد ويدها الاخرى تضرب على ظهره وهي تنهره بهمس غاضب " كف عن هذا ... انزلني ظافر ... هل جننت ؟!!!!"

رد بعزم وهو ينزل بها درجات السلم " عليك الخروج اليهم الان واخبارهم بوضوح انك لاتحتاجين لمزيد من الوقت وانك ستموتين شوقا لاتمام الزفاف مثلي اليوم قبل الغد لكنك مضطرة للانتظار حتى عيد الاضحى بسبب الاستعدادات وما الى ذلك ... كلمات بسيطة وواضحة وحاسمة "

كان قد وصل باب البيت وما ان يفتحه ويخرج بها على هذه الحالة حتى ستتحول الليلة الى مأساة مخجلة ... توسلته قائلة وقد يئست من تعقله " انزلني ظافر ... يا آلهي الجميع في الخارج .. ابي سيجن .. ظافر توقف فقط ...لنتكلم مرة اخرى وبتعقل اكبر .."

يده على مقبض الباب بينما صوته يصلها واضحا وهو يقول " لقد تكلمنا حتى مللت الكلام .. واعطيتك الخيار العملي الوحيد امامك .."

قالت بضعف واستسلام " حسنا ظافر .. فقط انزلني اتوسل اليك .. لاتجعل ابي يراني بهذا الموقف .. دعنا نتفاهم ... لاتحرجني وتحرجه امام الناس هكذا "

ترقق صوتها وهي تستعطفه اكثر " انزلني .. ارجوك .. وسافعل كل ما تريد ..." .....

بعد خمس دقائق كانا يخرجان معا وذراعه تضم جسدها اليه بحزم ... قسمات وجهه عكست مزاجه المتصلب بينما هي تواكب خطواته تحاول ان لاتتعثر ...

الانظار تحلقت حولهما ... هي بوجهها المحمر وهو بوجهه الذي لايلين ...

التزم الصمت امام النظرات المنتظرة ليدفعها للكلام ما ان ضغطت انامله على خصرها ...

وهكذا وجدت نفسها تقول بابتسامة مرتعشة " لقد ... اتفقنا انا وظافر ... على .. ان يكون زفافنا في عيد الاضحى ان شاء الله ..."

كان التوأمان اول من اثار ضجة بحماستهما لسماع الخبر فأخذ محمود يصفر بينما محمد يهلل .. لحظات وتبعه تصفير اتى من سلسبيل ليغرق الجميع في الضحك وهم ينظرون لعروس الحفل تتصرف بعفوية محببة وخطيبها ينظر اليها بمرح ...

آسر رفع كأس العصير لفمه يخفي ابتسامة فخر وهو يراقب ولده كيف احكم قبضته على معشوقته فلم يترك لها خيارا الا ان تستسلم له ...

اما النساء فاخذت يتعانقن بفرح ويعانقن حوراء التي بدت اكثر صدمة منهن لاعلانها المفاجئ ..

ابتسم بلال بحنان ليقترب منه شاهر وهو يقول " اذن يبدو ان الحوراء رضيت ..."

رد بلال بهدوء " انها راضية منذ البداية لكنها كانت تحارب هوى القلب الذي ظنت انه قد يجرفها بعيدا عن ذاتها الحقيقية .."

اخر الحفل الذي عمّته فرحة من القلب اقترب مهدي من اخيه ليسأله ببعض القلق " ما بك ماهر ؟ انك لاتبدو على طبيعتك !" رد ماهر وهو يسبل اهدابه " لاشيء ... اشكو فقط من بعض الصداع "

ضيّق مهدي عينيه وهو يقول بجدية اكثر " اخبرني اخي ..." اصر ماهر على نفس الرد وهو يقول "

لاشيء ..." ثم سارع ليضيف بابتسامة " مبارك لك ولسلسبيل ..." لتتسع ابتسامته وهو ينظر نحو حوراء وظافر ويقول " ولهما ايضا...."

في اليوم التالي ...

منذ اسبوع وهو يلاحقها هكذا ... هذه الملاحقة ليست ضمن خططه المؤجلة للحصول على قلبها .. بل انها تعاكس هذه الخطط لانه لايريدها ان تدرك الان ضعفه نحوها ... لكن رغبته بأن يطمئن عليها ..أن يحميها لو لزم الامر .. تفوق قدرته على ادعاء اللامبالاة .. قلبه يغلبه ويدفعه نحوها دون شفقة او رحمة ....

كان مستعدا لحركتها المنحرفة نحو اليمين لتدخل ذلك الزقاق الضيق حيث يقع في منتصفه المبنى المتهالك حيث الشقة الصغيرة التي تقطنها مع عائلتها ...

هذه هي نقطة التراجع بالنسبة له ..

لايتقدم اكثر من هذا في طريق ملاحقتها منذ خروجها من الشركة لتستقل الحافلة فيلحقها بسيارته التي استعاض بها عن دراجته النارية منذ فترة قصيرة ... وما ان تترجل من الحافلة يركن سيارته جانبا ليلحق بها مشيا على الاقدام بين الفروع الضيقة حتى تصل لمقصدها ...

لقد تركت معهد السكرتارية ولم يتوانى عن السؤال هناك ليعلم انها اجلّت هذه الدورة فقط وستلتحق بالدورة المقبلة بعد شهر تقريبا ...

هل يحبها حقا ؟ هل... ؟؟؟ قال لنفسه بغيظ " اذن ماذا تفعل هنا يا غبي ان لم تكن تحبها حقا؟!"

زفر انفاسه وهو يعود ليخرج عبر ازقة حفظها لاجلها وبسببها ... عندما يراها في الشركة يشعر بعجز غريب ! تقف هناك بابتسامة ترسمها لاجل العمل وتقابل بها الوافدين من العاملين داخل الشركة او زوارها ... الجميع كان يحبها بلا استثناء ...

البارحة تفاجئ وهو يرآها تضاحك والده ! وقد بدت متوردة الوجه وهي تنظر اليه باعجاب ابويّ...

كان ممتنا لاختفاء نزار هذه الايام وقد علم انه اخذ اجازة لبضعة ايام حتى يسافر لزيارة اهله في الريف ...

انه يعاني من تضارب في مشاعره ... فما بين كبرياء يعذبه وهو يرى برودها الذي تختصه به دون سواه وبين قلبه الذي يتعلق بطرف بهجة تبعثها ابتسامتها الشقيّة فيخفق القلب وهو يناضل ليردع خفقاته ويصبره بنصر قريب ...

استقل سيارته والافكار ما زالت تتنازعه ... عاد ليحدث نفسه قائلا " لم اعد اعلم حقا ما الذي يمنعني عنك يا صفية ! هل هو الكبرياء ام خوف الخسارة ؟ ..."

زفاف ظافر وحوراء

كانت نجلاء تقف امام منضدة الزينة تمشط شعرها استعدادا لشده برباط قبل ان تغطيه بحجاب يلائم فستانها الفيروزي ... تحرك بلال ببدلته الكحلية الانيقة ليقف خلفها .. رفع بضع خصلات من شعرها يلثمها ثم همس " لازال شعرك حالك السواد لايعرف الشيب كيف يرسم خطوطه عليه .. "

حركت حاجبيها بمرح وهي تنظر له عبر المرآة وتقول " انت لاتراها لاني اجيد اخفاءها عنك قبل ان تتنبه لوجودها حتى لاتزغ نظراتك لمن لم يعرفْنَ الشيب حقيقة .... "

ضحك من قلبه ثم لف ذراعيه حول خصرها ليضمها اليه ويقول " صغيرتي .. انا من يجب ان يرتعد خوفا وانا ارى نضارتك وفتنتك سبحان من خلقك ..." عبست وهي تسأله " ممّ تخاف ؟ مني انا ؟!! "

تنهد بنعومة وهو يغرق وجهه في شعرها قائلا " انظري لنفسك في المرآة ... تكادين تبدين صبية من عمر ابنتك العروس بينما انا غزى الشيب شعري منذ سن الثلاثين ... لااستطيع الا ان تنزغ قلبي نزغات الشيطان ... استعذ بالله منها لكنه اللعين يجيد التلاعب بنا من نقاط ضعفنا ..."

ثم رفع رأسه ليواجه تلك النظرات التي فتنته ويضيف بعاطفة " وحبك نقطة ضعفي صغيرتي فيتسلل الي الشيطان عبرها ..." تنهدت وهي تقول" ماذا افعل بك ؟!"

استدارت بين ذراعيه لتواجهه بابتسامة تخطف قلبه في كل مرة ... رفعت كلتي يديها تمررهما عبر خصلات شعره ثم اخذت تغني اغنية قديمة لياسمين الخيام " دع شيبك يسفر ... يتألق .. والله احبك لاتقلق .. حبي شلال جبار ... حبي شلال جبار ... بعمق شعوري يتدفق ... حبي شلال جبار ... بعمق شعوري يتدفق .. لايوقفه عمر يجري او شيب في شعرك اشرق ... "

كانت عيناها تمتلآن فتنة طاغية جعلت قلبه يهدر في صدره وكأنه ابن السابعة والثلاثين يعرف العشق لاول مرة بينما هي تكمل غناءها " لايوقفه ... عمر يجري او شيب في....." وكما العادة ... تسبقه غازيته لتسحب رأسه نحوها فتقبله بروحها وقلبها معا ...

في قاعة العرس

تهادت العروس بثوب زفاف اثار شهقات المدعوين .. بدت متلألئة وخيوط التطريز الفضية تعكس الانوار وها هي تتأبط ذراع عريسها الذي شمخ بجانبها كغازِ ظفر اخيرا بمن قاتل من اجلها ....

همس آسر في اذن نادية التي ترقرقت عيناها بدموع الفرح " ألم اخبرك ان حوراء ستكون لظافر .. هذا ليعلمك درسا ان لاتشككي بكلامي ابدا .."

ضحكت بخفوت وهي تلتفت نحوه وتقول " هل تتعمد اغاظتي ؟! " رد بابتسامة وعيناه تلامسان كل انحناءة بوجهها " نعم ..." ثم مد يده يلامس

خصرها بتملك ويقول " تبدين شهيّة الليلة بهذا الثوب الليلكي... "

نهرته بصوت خفيض وهي تحاول ابعاد يده عنها " آسر ... "

لم تتمكن من ابعاد يده بينما مال نحو اذنها ليهمس بحرارة " بل آسرك ..." ضحكت وهي تضع يدها على ساعده تبعده قليلا وتقول " انت مغرور .."

غمز لها قائلا " وانت تحبين غروري هذا .." برمت شفتيها وهي تهز رأسها نفيا وتقول " لا ..."

ضحك عاليا ثم قال بثقة وهو يمرر يده على ظهرها " احب كلمة لا عندما تعني نعم ... اجدها اكثر حيوية واثارة ..." ثم تركزت نظراته على عينيها المتحديتين بمرح ليضيف بهمس " خصوصا من امرأة مثلك .."

فما كان منها الا ان اطلقت ضحكة من القلب وهو ينظر اليها باستمتاع ...

قدم شاهر عصيرا لزوجته سائلا اياها بابتسامة رقيقة " بم تسرحين ؟!" ردت ببساطة " بالولدين ... انهما لايعجباني .."

رفع شاهر حاجبيه قليلا والتقطت عيناه ابنه مهدي وبجانبه سلسبيل بينما ماهر يقف متباعدا قليلا في احدى زوايا القاعة على غير عادته ...

قال اخيرا " اولا انهما لم يعودا ولدين بل شابين ناضجين ، واحدهما على وشك الزواج ممن يحب .. فما بالك تقلقين ؟!"

قالت نهى بصوت حائر " هناك امر يقض مضجع مهدي .. " رد شاهر بلطف " يقض مضجعه ؟! لا .. ليس لهذه الدرجة .. ربما لديه ما يفكر فيه فدعيه يحله بنفسه ... " ثم صمت قليلا ليضيف بغموض " وربما نحن نتوهم الامر فقط "

نظرت لزوجها لتقول بتأكيد " لا شاهر ... انا امه واشعر به اكثر منك ... انه كتوم للغاية ويجيد اخفاء مشاعره بطريقة تثير الحنق ومع ذلك لايستطيع اخفاءها عني انا..." اسبل شاهر اهدابه وهو يسأل " هل تعتقدين انه شيء يخص سلسبيل ؟"

فردت نهى بضيق وهي تعود بنظراته لابنها البكر " بل انه يخصها على وجه التحديد ... انظر كيف يتمسك بخصرها بطريقة لااعرف شرحها حقا .."

تطلع شاهر نحو ابنه وخطيبته اولا ثم عاد بنظراته لزوجته ليمد يده يداعب خدها برقة ويقول بابتسامة مضيئة " حبيبتي .. اراك تبالغين حقا ... ام انك تغارين فحسب ؟" هتفت والكلمات تخونها " لا ... اقسم لك ... اشعر بشيء ولااعرف... تفسيره ... "

التزم شاهر الصمت بينما اضافت نهى بعبوس " لم تسألني عن ماهر ..؟!" تبسّم شاهر قائلا ببساطة " لاني اعرف ما به ..." رفعت نهى حاجبيها بعجب تتساءل " حقا ؟!" رد بكلمة واحدة " نعم ... "

سألته بالحاح امومي " ماذا به؟ اخبرني ... اريد ان اعرف ما يخفيه عني وانا اتوسل مصارحته فيأبى الاعتراف مدّعيا الانشغال بالعمل .."

اتسعت ابتسامة شاهر وهو يقول مغيظا " لن اخبرك .." عبست وهي تسأل " لماذا ؟! هل اخبرك بشيء ولايريدني ان اعرفه ؟؟" رد شاهر ضاحكا بخفة " لا ... لم يخبرني بأي شيء هذا الفتى الغامض المشاكس كعمه ... انا من توصلت لسبب انشغاله بنفسي ومع ذلك لن اخبرك .."

اوشكت ان تضرب نهى بقدمها على الارض كطفلة محبطة لكنها بدلا من ذلك اقتربت منه لتقول بحنق " ولكن لماذا ؟! ارجوك شاهر .. اخبرني .. ارجوك .." تطلع لعينيها وهو يقول بصوت مبحوح " لانك تهملين السؤال عني انا .. الا استحق بعضا من رحيق عسلك ؟"

احمرت نهى وهي ترد " شاهر ! انا لاامزح .. اريد فقط ان اطمئن .."

لكن شاهر واصل كلامه قائلا ببعض الجدية " احتاج تدليلك .. اكثر من هذين الشابين .. احتاج دوما لاشعر انك تراقبين سكناتي وتحللينها لتعرفي متى افرح ومتى احزن ... اريد سعيك نحوي لاشعر كم انا غالٍ عندك .."

ترقرقت عيناها وهي تهمس له بصدق " شاهر ... انا لااستطيع العيش بدونك ... حقا لااستطيع ... انا ... اسفة ... لاني لم اعرف كيف اعبر عن تمسكي بك ... اسفة لاني اهملت عن غير قصد ان اوصل لك كم احبك ... انت ركيزتي في هذه الدنيا وسندي واماني ... انت ابي وامي وكل عائلتي ... انت عشقي يا شاهر ... انا مستعدة لفعل اي شيء فقط لاجعلك فخورا بي .. فقط لاجعلك فخورا بنفسك انك اخترتني انا لاحظى بقلبك وعاطفتك .."

قال ومشاعره تسيطر على حواسه " احبك .."

في بيت ظافر وحوراء الجديد

تململ ظافر في وقفته بينما نادية تهدؤه " عزيزي لايجب ان تكون فاقدا للصبر هكذا ! كيف ستتعامل معها وانت بهذه الحالة ؟!" رد مغتاظا " امي انا فاقد الصبر لبقائكم جميعا هنا ! لقد هربت بعروسي من الفندق لاجدكم بانتظاري هنا !"

نهرته نادية " ظافر ! تأدب وانت تكلمني .."

تنهد وهو يعتذر قائلا " آسف ... لااقصد شيئا .. كل ما اريده ان تدعوني اتصرف معها بطريقتي ... انا افهمها اكثر مما تظنون واجيد التعامل معها .. فقط لو تعفوني من شرحكم المضني انها بريئة جدا ومرتعبة بعض الشيء ..."

تنهد مرة اخرى وهو يمسح وجهه بكفه قائلا " فقط لو تثقون بي اكثر ! ... لم يبقَ شخصا في العائلة لم يوصيني بها ! ابتداءا من ابيها لابي لعمي شاهر وحتى الصغيرة سلسبيل ! "

ابتسمت نادية برقة لتلامس خده وتقول بمداعبة " ربما نخشى ان يغلبك شوقك اليها وتجرفها بطوفان هي لن تستطيع استيعابه .."

نظر لامه بعينين لامعتين واثقتين ليقول " حبي لها اكبر من شوقي اليها ... متى ستفهمون هذا ..."

اطلقت نادية نفسا وقبل ان تقول شيئا اخر انفتح باب الغرفة لتخرج نجلاء وتغلق الباب خلفها مرة اخرى ...

نظرت لابن اخيها وزوج ابنتها ثم قالت بتمهل " عزيزي ... لقد هدأت حوراء قليلا الان .. لقد ساعدتها بتبديل فستان الزفاف ..."

مطّ ظافر شفتيه وهو يقول " انها احدى خساراتي هذه الليلة .." عبست نجلاء بغير فهم وهي تتساءل" ماذا تعني ؟!!" رد بضيق يحاول اخفاءه " لاشيء ... لاشيء عمتي .."

اخذت نجلاء نفسا ثم بدأت كلامها باسلوب هادئ " اريد فقط ان اوصيك بأنها ..." همس ظافر مقاطعا اياها " يا الهي ! ليس مرة اخرى !"

ازداد عبوس نجلاء وهي تسأله " ماذا ؟ ماذا بك ؟؟!!"

ضحكت نادية وهي تسحب نجلاء من ذراعها وتقول " تعالي نجلاء فوجودنا اصبح غير مرغوب به بطريقة لايمكنني وصفها لك ..."

كست الحيرة ملامح نجلاء وهي تقول لنادية " لكن ماذا به حقا ؟! .." كانتا قد وصلتا السلم بينما نادية تقول بحزم " دعيهما .... اعتقد اننا فعلنا فوق المطلوب ..."

لمحت نادية ظافر خلفهما ينزل السلم فقالت ببعض الدهشة " ماذا تفعل؟ عد لعروسك .. نحن نعرف طريق الخروج .."

ابتسم ابتسامة مغيظة وهو يقول من بين اسنانه " اتأكد فقط من غلق الابواب حتى اضمن عدم عودة احد ليتذكر ان يوصيني بها خيرا مرة اخرى ..."

طرق الباب وانتظر لبضع لحظات قبل ان يدخل وهو يلقي التحية بابتسامة مشعة " مساء الخير ..."

وجدها تقف فوق سجادة الصلاة ترتدي المئزر الخاص وتمسك في يدها القران ... بدت شاحبة رغم جمالها الفاتن ... همست بتقطع " مسا ... مساء الخير .."

تبسم وهو يخلع سترته السوداء بعفوية ليتوجه نحو الخزانة ويعلقها .. كان مدركا لذلك التوجس وهي تنظر لتحركاته في الغرفة ... قال برقة وهو يبحث عن ملابس نومه " تبدين اتممتِ صلاتك حبيبتي .."

جاءه صوتها مرتعشا " نعم ... و .. انت .. يجب .."

التفت نحوها بنفس الابتسامة وقال " سابدل ملابسي في الحمام واتوضأ لاصلي ... لاتقلقي .."

تحرك نحو الحمام حاملا ملابس نومه مقاوما النظر نحوها .. مستمتعا بشعور لايوصف لانها ... اخيرا ... هنا ... معه ... في بيت لهما فقط ...

عندما انهى صلاته والتفت نحوها وجدها ما تزال تقف نفس الوقفة الا انها تخلت عن الامساك بالقرآن ويبدو انها نسيت ان تخلع مئزر الصلاة ...

اقترب منها على مهل ليقول بنعومة " هل تحتاجين لجيش غفير كي يوصيني بك خيرا هذه الليلة ؟"

احمرت وهي تبتعد بعينيها عن مواجهة عينيه ...

وقف امامها مباشرة وهمس لها " انظري الي حوراء ... "

لكنها لم تستطع فقال بحنو " دعيني اساعدك لخلع حجاب الصلاة الطويل هذا .." ودون ان ينتظر ردها اخذ يساعدها فعلا ... قال بصبر " لاتتشنّجي حبيبتي .. "

بعد ان خلعه عنها كتم انفاسه ينظر لشعرها وقد تركته منسدلا ببهاء ليشع باضاءة الغرفة ويتوهج لونه ... قميص النوم الذي اخفته تحت الروب كانا باللون الابيض ... ابيض كقلبها وروحها ...

همس وهو ينحني ليطبع قبلة على خدها " مولاتي ....." ارتعشت فعاد ليهمس برقة " انت اشتقت نعم ... لكني احبك اكثر ..." رآها كيف تبتلع ريقها لتقول بانهاك " ما ...ماذا.. تعني ؟"

رد وهو يلامس خدها بانامله " اعني عندما اقربك اريدك راغبة بكل جوارحك لاتعيقك اي مخاوف من اي نوع ..."

تخضبت وجنتيها بينما اكمل بنفس الرقة " اتمنى ان تثبت لك الايام الى اي درجة اعشقك لاني كما يبدو لم استطع ايصال مشاعري اليك .."

اطرقت دون ان تجرؤ النظر اليه ...

تركها ليتوجه ناحية السرير الكبير الذي افترش بكل ما تحلم به العروس من نعومة وجمال ثم قال " تبدين مرهقة حبيبتي ... تعالي لتنامي ..."

لم يشعر بأي حركة خلفه ... التفت نحوها ليراها ما زالت تقف هناك والشحوب يعود اليها ...

ابتسم وهو يغمز لها قائلا " حسنا ... يبدو ان لديك مشكلة في الوصول للسرير ..."

همستها كانت مختنقة وهو يعود اليها ليحملها " ظافر .. لا ..." مال نحو اذنها ليهمس " ظافر سيحمل مولاته حتى السرير وبعدها سيشرف بنفسه على جعلها تهدأ لتنام قريرة العينين .."

سكنت اليه واستسلمت وهو يضعها على السرير بعد ان ابعد الغطاء ... كان يدرك انها على وشك البكاء لكنه تغاضى عن قول شيء والتحق بها ليضطجع بجانبها وهي تتمدد على ظهرها بلا حراك !

اخذ وضعا جانبيا ليستند على كوعه ويقول " اتمنى ان لااكون احلم مرة اخرى .." رآها تعض شفتها السفلى ثم انحدت نظراته لملابسها فقال بحنان " هل ستنامين بروبك هذا ؟"

اكتفت بهز رأسها بنعم بينما تأبى النظر نحوه ...

قال ضاحكا بنعومة " حسنا ... اذكر اني في احدى المرات جعلتك تغفين على ارضية الحديقة وانت تستلقين على ظهرك وتقرأين بكتاب القصص الذي اهدته لك امي ... هل تذكرين ؟"

هزّت راسها مرة اخرى وهي تقول بصوت خفيض متلعثم " نعم ... كنت في ... الثامنة ... وانت قلت ان هناك بعض الحشائش الصغيرة التي تشابكت بشعري فاخذت تلتقطها منه وانا اقرأ ... لينتهي الامر باغفاءتي ! "

ضحك مرة اخرى وهو يمد يده ليلامس شعرها ويقول " كانت احدى الاشياء التي اكتشفتها عنك ... انك تنامين ما ان يتلاعب احدهم بخصل شعرك .... " صمتت بينما هو اكمل بشغف " لكنك لم تعرفي انه لم يكن هناك اي حشائش وربما كان القليل ولكني ادّعيت وجود الكثير ! كنت مستمتعا بملامسة شعيراتك الكستنائية ..."

همست وهي تسترخي لترخي جفونها " هل ستجعلني انام الان ؟ "

رد بحشرجة " نعم ... تبدين وكأنك لم تنامي طوال ليلة الامس ..." قالت " نعم ... انا .. كنت ... كنت .. لاتغضب من ترددي .." ابتسم وهو يواصل مداعبة شعرها ويقول " ما دمتِ الان في بيتي وستنامين على سريري كل ليلة لم يعد يغضبني شيء على الاطلاق ..."

استرخت اكثر واطلقت تنهيدة من الاعماق ثم شيئا فشيئا شعر انها تستسلم لسطان النوم حتى اخذها منه رغما عنه ....وعنها .....

همس لها وهي تنام ملئ جفنيها " اجل ... حبيبتي ... مولاتي ... نامي بعمق ... فالعشق الجارف يهدر نحوك بصمت هادئ يخفي صوت هديره بعزم حتى لايرعبك ... سيسعى اليك حتى تستقبليه بشوق يوازي الشوق التي نبتت بذوره في قلبي منذ سنوات ..."

انحنى ليطبع قبلة ناعمة على شفتيها ويقول " سامحيني اذا تحايلت لالهب شوقا مماثلا في قلبك .... سامحي لهفتي المجنونة ... "

بعد ساعات ...

النوم تراجع رويدا رويدا لتوقظها حركة لامست خصرها وبطنها ... قالت وهو تفتح جفنيها ببطئ " امممم ... ماذذا ... ماذا تفعل ؟"

رد صوته الحبيب بهمس عاشق " افتح حزام هذا الروب اللعين لترتاحي اكثر ..."

اوشكت ان تعترض قائلة " لكن .." طبع قبلة على شفتيها وهو يهمس " اششش ... استرخي وابتهجي بفجر رائع ... ثقي بي .. لقد استعاد وجهك لونه اخيرا ... "

نظرت الى وجهه القريب من وجهها فلم تشعر بالغربة ! وكأنها اعتادت وجوده معها منذ الازل ...

سألته بحنان وهي تنظر لعينيه المرهقتين " ألم تنم ؟" رد مبتسما بشغف حار " هل انا مجنون لافعل ؟! فربما اغفو واصحو لاجد نفسي كنت اعيش حلما لااكثر ... لقد تعبت من مرارة الخيبة التي تكررت على مر السنوات .." احمرت وهي تسأله بخجل رهيب " يا الهي .. هل ... هل كنت تحلم ..بي .. انني .."

ضحك وهو ينظر اليها بوقاحة ليقول " نعم ... هل تريدين التفاصيل ؟ " عضت شفتها السفلى ثم قالت بلهجة قاطعة " لا .."

فرد وهو يدّعي الخيبة " لماذا ؟!! انها تفاصيل مشوقة ..."

كان قد تمكن من فتح حزام الروب واوشك ان يسحب روبها بعيدا عندما شهقت هامسة " لاتفتح الروب ... ارجوك .. "

مال بوجهه ليقبل شفتيها بينما يده تسحب روبها بعيدا فهمست بضعف وارتعاش " لا ... ظافر .." همسه الحار لامس بشرتها وهو يقول " كلمة نعم اجمل من بين شفتيك ..."

سألها بانفاس مضطربة وعيناه تغرقان في عينيها " هل تحبينني حوراء ؟" ردت بقلب يخفق بجنون " ننتعم ..."

تنهد بحرارة قائلا " اخيرا حصلت على نعم .." شعرت بيديه تتجرآن عليها اكثر فتشنجت قليلا فهمس لها " اهدأي ... نحن نتكلم فقط .."

ارتبكت ولم تعرف كيف تتصرف فسألها بنعومة " الا تستطيعين لمسي على رقبتي مثلا كما لمستني يوم عقد قران سلسبيل ثم تقولين (احبك ظافر ..)"

غامت عيناها بعاطفة تغرق فيها فرفعت يدا مرتعشة تلمس رقبته ثم همست له " انا احبك ... احبك جدا ... "

هدر بعاطفة حارقة " قبلة الصباح تستحقينها بجدارة مولاتي ... لان قلب اسيرك يكاد ينفجر بكلمة الحب التي تطلقينها ببساطة هكذا وانت بين احضانه " همست باسمه " ظافر .." كان يقبلها ويهمس " نعم .." فتعود لهمس اسمه " ظافر .." ليرد مرة اخرى وهو يصارع شوقه " نعم ... " فالتهب شوقها اليه لتهمس هذه المرة " نعم ..."

بعد يومين

كان الارتباك يتملك ماهر وهو يضغط على زر الطابق العشرين حيث مكتب والده ... تلك الغبية التي اخذت مكان صفية لاتعرف شيئا !

كل ما تعرفه انه عرض عليها العمل في الاستقبال بدلا من البريد وليس لديها اي فكرة عن مصير الموظفة التي كانت تشغل المكان قبلها ...

ذهب لقسم التوظيف في الطابق الخامس عشر ولم يعطوه اجابة واضحة ... كل ما قيل ان السيد شاهر امر بتوظيف فتاة اخرى مكان صفية ... اما صفية فسيخبرهم لاحقا بمصيرها ...

وها هو يجد نفسه بوضع غريب ! يحاول ان يجد لنفسه عذرا مقنعا وهو يتوجه لوالده يسأله عنها ولماذا اتخذ هذا القرار بشأنها ... انه مستعد لفعل المستحيل حتى يعيدها للعمل ... لايمكن ان يجعلها تعاني بلا مصدر للرزق ...

دخل المكتب الكبير والذي يضم عدة مكاتب لفريق عمل السكرتارية التابع لوالده تحت اشراف مدير المكتب الجديد الذي حل محل ريمه وهو الاستاذ حسام ... لكنه لم يلتفت لاحد وهو يتوجه نحو الباب الرئيسي مباشرة الذي يؤدي الى مكتب والده الخاص .

طرق الباب مرة وهو يستعيد هيئته المتوازنة قبل ان يفتح الباب ويدخل ....

اي توازن استعد به اختل فجأة وهو ينظر لوالده يضاحكها ... هي من يبحث عنها كالمجنون .. تجلس هنا بهدوء بوجهها الجميل المورد في كرسي امام مكتب والده بينما الاستاذ حسام يقف الى الجانب ويشاركهم الضحك ....!

تنحنح وهو يعود لقناع التماسك الذي يجيده ليقول باستفزاز لم يملك ان يمنعه " مرحبا ... هل فاتني شيء هنا ؟ فمكتب الاستقبال في الطابق الارضي كما اظن ..."

التفتت نحوه ترمقه بتلك العينين الواسعتين لتشع برودا يناقض تألق خديها بحمرة خفيفة بينما قال والده بهدوء شديد " الانسة صفية ستعمل ضمن طاقم السكرتارية ... تحتاج لبضع تدريبات فقط وبعدها ستلتحق رسميا بالطاقم ..." ثم امال شاهر راسه جانبا وهو يضيف " هل هذا يفسر لك وجود موظفة الاستقبال السابقة هنا ؟"

هزّ ماهر كتفيه بلا مبالاة ظاهرية ثم قال وهو يبرم شفتيه " لايهمني الموضوع ... استغربت وجودها هنا فحسب ... "

ثم استدار موليا للجميع ظهره ليتوجه نحو الباب وهو يقول " ساعود اليك لاحقا ابي ... اعذروني لدي عمل مستعجل ... "

بعد اسبوع

لم تتردد صفية لحظة واحدة لتدخل المصعد الكهربائي الذي طلبته ولم تظهر اي ردة فعل لرؤيتها لماهر داخل المصعد ... فقط اكتفت بهز رأسها بتحية باردة ردها لها بابتسامة مستفزة ...

انغلقت باب المصعد و حلق الصمت ....

هذا الصمت هو ما تواجهه به كلما رأته قريبا من مكاتب السكرتارية .. فيهملها ليضاحك باقي الفتيات ..

سألها فجأة " هل تآلفت مع عملك الجديد ؟"

ردت بأدب " نعم شكرا .."

لم ترَ ابتسامته المستفزة وهو يسألها " كيف حال نزار ؟ ما زلت اراه يحوم حولك مرتديا حلة الرجل الشهم .."

نظرت اليه بطرف عينها لترد قائلة " لاعرف لماذا يعتقد البعض ان من حقه سؤال الاخرين عن خصوصياتهم دون معرفة سابقة بهم .."

اتسعت تلك الابتسامة المستفزة على شفتيه ليتساءل ساخرا " وهل اصبح نزار من الخصوصيات ؟"

اخذت نفسا واغمضت عينيها قليلا وهي تهمس " واحد اثنان ثلاثة .... نفس عميق ..." رسمت تلك الابتسامة التي تغيظه لتقول " عفوا سيد ماهر ومع ان الامر لايعنيك ولكني مضطرة ان اضع لافكارك حدا ..." ثم امالت راسها جانبا لتضيف " انا ونزار سنعقد قراننا الاسبوع المقبل "

اجفلت حقا وهو يضرب بيده جانبا ! تصورتها مجرد حركة غضب عكستها نظراته اللامعة القاسية لكن المصعد توقف فجأة ! قالت بعبوس وهي تواجهه " لماذا اوقفت المصعد ؟ "

سالها وهو يسبل اهدابه " هل ستتزوجين نزار حقا ام انها مجرد دعابة ؟ "

ردت بصلابة " انا لاامزح بهذه الامور ... واعد تشغيل المصعد لو سمحت ..."

وبدلا من ينفذ ما ارادت تحرك نحوها بخفة وسرعة لتتراجع للخلف حتى استند ظهرها لاحدى جدران المصعد ! حشرها هناك وهو يضع يده على الحائط المعدني خلفها ينظر مباشرة لتلك العينين الغاضبتين اللتين لاتعرفان الخوف ولا الضعف ...

قالت بشموخ " هل تعتقد انني لم اتعرض لتحرش في حياتي ؟ لقد واجهته مرارا واصبح اسهل ما عندي ردعه ... فابتعد ارجوك لاني اكن من الاحترام والوفاء والاعتراف بالجميل لوالدك ما يمنعني من ايذائك ... "

همس لها وعيناه تشتعلان " قولي انك لن تتزوجيه حقا ..." ردت بهدوء شديد متعمد " قلت لك سابقا ... جد لنفسك فاكهة بعيدا عني لتتذوقها ..."

فاجأها هذه المرة وهو يبتعد ضاغطا على الزر المناسب ليعود المصعد لعمله وفي لحظة وصل لوجهته فخرجت صفية مرفوعة الرأس رغم حيرتها من استسلامه السريع ! تركته خلفها دون ان تدرك صراعه مع شعورين هادرين ... قلب يتمزق ... وغضب يتأجج !

رآها تقف في هذا البرد قرب الشاطئ حيث طلبت رؤيته بالحاح ... ترتدي بنطال من الجينز وسترة شتوية بينما تغطي شعرها المحلول بقبعة صوفية لتتطاير خصله هنا وهناك مع هواء البحر البارد ... تلك الصغيرة الذكية ... هل ستسأله ؟!!

اقترب منها فاستدارت وهي تستشعر قدومه ... قال لها بهدوء " مرحبا ..." ردت بنفس الهدوء وهي تتكتف " مرحبا ..."

بادرها السؤال " لماذا طلبت رؤيتي هنا ؟ ألم نتواعد اللقاء هذه الليلة لنخرج سوية ؟"

ردت بغموض ذكّره بغموض عمه آسر " ربما مللت لعبة الخطيبين .... وربما لاني شعرت بحاجتي لبعض القوة التي يمنحني اياها البحر ... "

ناداها بحزم " سلسبيل .. لااحب طريقتك الملتوية هذه ؟ ما بك ؟"

ردت عليه بسؤال مباشر " انا التي اسألك مهدي .. ما بك ؟" اطرق قليلا وهو يسأل مدعيا الدهشة " ما بي ؟!"

اقتربت منه وهي تواجهه بقوة " هناك ما لم تستطع تجاوزه اليس كذلك ؟!" لم يقل شيئا فاصرت قائلة " اجبني مهدي .." رفع عينيه لها ليرد بصراحة " نعم .."

جرحه جرح قلبها الذي عكسته نظراتها للحظة لكنها لم تضعف فقالت بشموخ لايناسب الغفران الذي تطلبه " ألن تغفر لي ؟"

صمت ... لم يستطع الرد ....

تجمدت ملامحها للحظات ثم استعادت قوتها لتقول ببرود صاعق " حسنا ... اذن عليك ان تختار ... لاني لن اكمل معك هكذا .."

اشتعلت عيناه بالغضب وهو يسألها مستهجنا " ماذا تقصدين انك لن تكملي ؟"

ردت بثبات " اقصد نفسخ خطبتنا .." اشتد غضبه ليقول بلهجة لاذعة " تقصدين نفسخ عقد قراننا ... هل نسيتِ انك شرعا وقانونا زوجتي الان ؟"

هزّت كتفيها بلا مبالاة وهي تقول " لامشكلة .. الشيء ذاته ..." اقترب منها في خطوة ليمسك كتفيها بعنف هادرا " الشيء ذاته ؟ حسنا ... لا سلسبيل ... ليس الشيء ذاته ..."

وفي لحظة كان يعتصرها بوحشية غاضبة يقبلها بجنون وهي تبادله عاطفة اطاحت بعقله ...

تماسك وهو يبتعد عنها دون ان يفلتها ... ليقول بانفاس متقطعة " انسي تماما كل السخافات التي تفوهتِ بها الان ..." ردت بشفتين مرتعشتين " لن افعل ... لاني لااستطيع ... انت لن تغفر لي ابدا وسينتابك الشك يوما ما بطريقة بشعة وهذا لن اسامحك عليه ابدا اذا حدث .."

همس " يا الهي .." قبل ان يعود لجنونه حتى اختنقا معا فافلت شفتيها الهامستين باسمه " مهدي .."

هدر صوته " هل تعرفين ما تمثلينه لي سلسبيل ؟ هل تدركين ؟! انت قطعة مني ... القطعة الاغلى ... تسكنين اعماقي تشاركيني حياتي لحظة بلحظة حتى وانت لست معي ... "

همست برقة " مهدي .. انا .." ضمها لصدره دافنا وجهه في شعرها المتطاير ليهمس لها " انه ليس شك يا غبية ولكنها غيرة ... غيرة جنونية ... انت لاتعرفين هذا الجانب مني ... لااحد يعرفه .."

رفع رأسه لينظر لعينيها اللتين اغمضتهما بقوة وكأنها تقاوم البكاء ... قال بحشرجة " افتحي عينيك حبيبتي ... انظري الي .."

فتحت عينيها على مهل لترى تلك العاطفة التي طالما انتظرتها تفيض من نظراته ... قال لها بصوت أجش " لن نعود لذكر هذا الموضوع ابدا .."

ردت بوهن " قل هذا لنفسك .."

طبع قبلة سريعة على فمها ثم قال " انا قادر على التعامل مع هذا فقط اعتادي طبعي .. احتاج لوقت ... فقط لبعض الوقت ... "

دمعة واحدة افلتت منها فضمها لصدره بقوة وكأنها يضمها لقلبه ثم قال " مجنونة انت لتعتقدي اني قد افرط بك لاي سبب .. قد اغضب .. قد اعاقبك اذا قللت احترامي .. قد افعل اشياء لاتعد ولا تحصى وانت ايضا قد تفعلين بي اشياء لاتعد ولاتحصى ولكننا في النهاية معا ... معا سلسبيل ... قوليها حبيبتي ... قولي اننا سنبقى معا مهما اختلفنا ... مهما حصل "

همست وهي تلف ذراعيها حوله " مهما اختلفنا ... مهما حصل ..."

الخاتمة

تلتقط انفاسها بعد هجوم عاطفي فاجأها به وهما يحتميان تحت الشجرة من زخات المطر حولهما ...

همست بانفاس دافئة " انت مجنون ظافر ... قد يكون هناك من يراقبنا ونحن لاندري ..."

همس وذراعاه تعتصرانها " من المجنون الذي يخرج في هذا الجو البارد ليركب الدراجة الهوائية في حديقة عامة .."

ردت حوراء ضاحكة " نحن فقط .."

ادّعى العتب وهو يقول " انت من ذكر بحنين وشوق رحلتنا السابقة بالدراجات الهوائية فلم اتوانى ان احقق لك رغباتك .."

رفعت حاجبا واحدا وهي تقول بابتسامة شقيّة " وانتهيت بسحبي بين الاشجار لتحقيق رغباتك انت !"

رد ببراءة مصطنعة " كنت احميك فقط من المطر ثم وجدت باردة فارتدت تدفأتك ببضع قبلات فحسب .."

حركت راسها بطريقة مرحة وهي تمازحه قائلة " كم انت حنون ..!"

عض شفته وهو يهمس بشغف " ألم اكن حنونا ليلة زفافنا لاقضيها وانا اهدهدك كطفلة حتى تشعري بالامان وتنامي قريرة العين ...؟؟"

احمرت قليلا وهي تعبس قائلة " هل ستعيّرني بهذا طويلا ؟" ضحك بخفة وهو يضمها اكثر قائلا بهمس " لاخر يوم في حياتي ..."

اوشك ان يقبلها عندما ابعدت وجهها لتهتف بفرح " لقد توقف المطر ! هيّا لنعاود ركوب الدراجة .."

رد بحسرة " خسارة ... الاختباء تحت الاشجار اكثر متعة ..."

ضحكت وهي تفلت منه لتتوجه نحو المكان الذي تركا فيه دراجتيهما عندما فاجأهما المطر ثم قالت " هيا ظافر ... لاتحرمني هذه المتعة.."

تبسم برقة قائلا " من يراك الان لايراك في اول مرة ركبت فيها ! كنت قد دفعتك دفعا لفعلها ... "

ردت بمرح وهي تلتقط دراجتها لتجفف مقعدها بمناديل اخرجتها من جيب سترتها " اجل ... لكني اكتشفت اني اعشق ركوب الدراجات ..."

ثم التفت نحوه لتراه يجفف مقعد دراجته هو الآخر فقالت برقة " لقد جعلتني اكتشف اشياء لاتعد ولا تحصى عن نفسي ..."

اقترب منها وهو يغيظها قائلا " كحبك للفوز في لعبة المونوبولي حتى ولو كان عن طريق الغش ؟"

ضحكت وهي تقول " هذا من ضمنها لولا غضب التوأمين وتذمرهما الدائم .."



وقف مع دراجته بموازاتها فمدت يدها تلامس خده وتقول بصوت ينضح عاطفة " اكتشفت ايضا اني احب ان اشعر بتملكك لي لانك تجعلني اشعر بالاكتمال .."

ثم مالت نحوه لتفاجئه بقبلة على شفتيه وقالت بهمس عاشق " احبك ... مولاي ....."

*** تمت ***

ترقبوا الجزء الثالث من السلسلة

قريباً ان شاء الله